الحميمية

أن أثق بنفسي وفي الآخر

نظرة جديدة لحياة جديدة

OshO

ترجمة: هدى الخطيب

اصداراتنا الأخرى

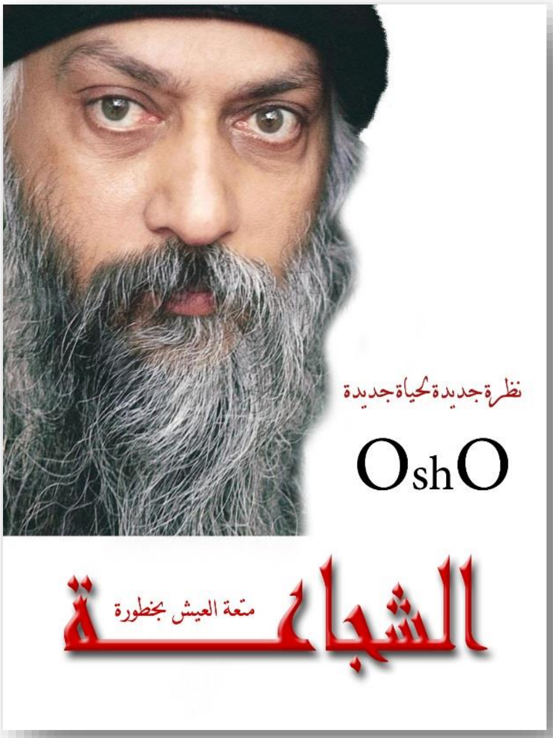

ترجمة: هدى الخطيب
هوامش: احمد الفرحان

يمكن طلبه عن طريق رسالة إلى
ahmad@baytalsafa.com

"لو كان الفقر رجل لقتلته" رغم حجم الصدقات التي يدفعها الشعب البترولي. إلا أن لا زال الفقر والمرض والطمع موجود. نحتاج إلى حياة جديدة تنفض الغبار لتنتعش الإنسانية من جديد.

المال أمانة، فانتبه أين تصرفه.. للسلاح أم للسلام.

الدعم المعنوي لا يقل أبدا عن الدعم المادي، لأن كلاهما يعبران عن قدرتنا على صنع واقع صحي جديد.

يمكن الإرسال عبر موقع PayPal باستخدام البطاقة الائتمانية، إلى البريد الإلكتروني ahmed@baytalsafa.com أو عبر أي وسيلة تحويل أخرى مناسبة.

BAYTALSAFA.COM

الحميمية، أن أثق بنفسي وفي الآخر

المقدمة

الكل يخاف من الحميمية، ومن الألفة والمودة.. الحميمية تعني أن تكشف نفسك أمام غريب. وكلنا غرباء، لا أحد يعرف الآخر، فنحن غرباء حتى عن أنفسنا، لأننا لم نعرف أنفسنا بعد.

الحميمية تقربك أكثر للغريب، عليك أن تزيل كل الحواجز، بمجرد إزالة الحواجز تحضر المحبة والحميمية. ولكن الخوف ينتابك حينما تفكر إذا ما هدّمت كل الحواجز وألغيت كل الدفاعات بينك وبين الغريب، فما الذي يمكن للغريب أن يفعل بك؟ إننا نخبئ الكثير من الأمور داخلنا.. لا نخبئها عن الآخرين فقط، بل حتى عن أنفسنا. ولأننا مُنِعنا من أمور، ونشأنا على أمور فرضتها لنا الإنسانية المريضة، مع الكثير من المكبوتات والمحرمات والتابو.[1]

إن الخوف الذي تشعر به مع الغريب، هو نفس الخوف الذي تشعر به أثناء تواجدك مع شخص تعيش معه ثلاثون أو أربعون عاما من الغربة. ستجد أن هناك مسافات تفصل بينكما، مسافات تُعتَبر مسافات أمان، في تلك المسافة تضع دفاعاتك وحواجزك. تخاف منه أن يعرف نقاط هشاشتك الداخلية فيستغلها، ولهذا تحاول أن تختبئ عنه خلف تلك الخطوط الحمراء التي خلقتها بنفسك.

الكل يخاف من الحميمية. المشكلة أصبحت ولا زالت تتعقد أكثر وأكثر، لأن الكل يريد المحبة والألفة. والكل يري الحميمية، فلولا الحميمية لكنت وحيداً في هذا العالم، من دون صديق.. من دون حبيب.. من دون أي أحد يمكن الوثوق به، من دون أي أحد تستطيع أن تفتح جروحك له. والجرح لا يمكن شفاءه إلا إذا كشفته، غيرَ أن تغطيته تعرضه للخطر، تعرضه للالتهاب، والسرطان.

الحميمية حاجة ضرورية، فالكل يتوق إليها. تريد من أحدهم أن يكون حميما معك، تريده أن يكسر دفاعاته وحواجزه ويصبح بين يديك ليفتح جروحه ويرمي أقنعته كلها، ويتخلى عن شخصيته الزائفة الظاهرة.. تريده أن يقف عاريا كما هو. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الكل يخاف من الحميمية. تتوق أن تعيش الحميمية مع الآخر، ولكنك لا تريد أن تتخلى عن دفاعاتك وحواجزك. ومن هنا يكمن الصراع بين الأصدقاء وبين العشاق. لا أحد يريد أن يتخلى عن أقنعته، لا أحد يريد أن يصل إلى عرِيٍّ كامل و صادق.. ويبقى الأثنان يتوقان للحميمية.

إذا لم نسقط كل المكبوتات والمخاوف التي وهبتها لنا الأديان والثقافات والمجتمعات والأهل والتقاليد، لن يكون بإمكاننا عيش الحميمية مع أي أحد.. عليك أن تكون أنت المبادر.. أن تبدأ بكشف حقيقتك وتتخلى عن أقنعتك.

---

[1] التابو هي كلمة تستخدم للدلالة على الخط الأحمر الذي لا يمكن الخوض فيه أو تحريفه أو التطرق له، قد يقرنه البعض بمفهوم الحلال والحرام ولكنه يدلل أيضا على الخطوط الاجتماعية والأعراف والسياسية والثقافية أيضا.

لكن إذا لم يكن لديك أي ضغوطات أو تثبيطات أو ردع أو كبت، لن يكون لديك أي جروح أيضاً. إذا عشت حياة بسيطة وطبيعية، لن يكون لديك خوف من الحميمية. ستكون تجربة ممتعة غامرة لشعلتين تقتربان وتندمجان مع بعضهما لتصبحا لهيب واحد.. شعلة واحدة. وسيكون هذا اللقاء مشبع ووافي ولطيف. ولكن قبل أن تقدم على الحميمية وتخطو خطوتك.. عليك بتنظيف فنائك الداخلي بشكل كلي، عليك بتنظيف منزلك الخاص بشكل كلي.

المرء الذي يتأمل، هو القادر على أن يحقق الحميمية، لا يوجد لديه ما يخبئه، لأنه قد تخلى عن كل ما يسبب له الخوف من الآخرين.. سيكون عنده الصمت والقلب المحب المنفتح.

عليك أن تقبل نفسك كلها. وإن لم تستطع على تقبل نفسك بكلتها، فكيف تتوقع من الآخر أن يتقبلك؟ لقد تعرضت لكثير من اللوم من قبل الآخرين، وتعلمت أن تلوم نفسك. ولهذا تستمر في اخفاء حقيقتها، لأنك تخجل وتخاف المزيد من لوم الآخرين ومعاتبتهم. تعرف بأن شر ما يختبئ فيك، أمور شريرة حيوانية تقبع داخلك. لابد أن تحوّل موقفك وتتقبل نفسك كأحد الحيوانات على الأرض.

إن كلمة حيوان Animal ليست سيئة. إنها ببساطة تعني "حي/حياة" أتت من كلمة "Anima"، فكل ما هو حي فهو حيوان. ولكن لُقِنَ الإنسان: بأنه ليس حيوان، وأن الحيوانات تختلف عن البشر بشكل أو بآخر ومرتبة الحيوانات أقل من البشر، وأنتم مرتبة أعلى لأنكم بشر، الإنسانية اليوم منحت نفسها مرتبة عالية ولكنها مرتبة مزيفة.

الحقيقة أقولها، إن الوجود لا يقبل التكبر والفوقية أو الدونية. بالنسبة للوجود جميع الأمور متساوية.. الأشجار، الطيور، الحيوانات، البشرية.. بالنسبة للوجود، كل شيء مقبول تماما كما هو، لا يوجد أحد ناقص أو مكروه.

إذا قبلت شهوتك دون نقد أو لعن، إذا قبل بأن الانسان نفسه وكل موجود في العالم هش، والحياة هي خيط ضعيف جداً ممكن قطعه في أي لحظة.. إن بمجرد قبولك ذلك، تسقط الأنا الكاذبة -بأنك الاسكندر العظيم، أو محمد علي الثالث[2]- ستفهم ببساطة أن الكل جميل ببساطته، بطبيعته، إنسان عادي، وكل إنسان لديه ضعف، لأن الضعف جزء من طبيعة الإنسان، فأنت لست مصنوع من ستيل، بل من جسد لحمي هش. دائرة حياتك تقع بين درجة الـ٩٨ والـ١١٠ فقط. أي أن حياتك صغيرة جدا وبسيطة محصورة في اثني عشر درجة من الحرارة. فلو هبطت أسفل هذه الدرجة، فإنك من عداد الموتى، أو صعدت أعلى من تلك الدرجة، كذلك ستكون من عداد الموتى. ويمكن أن تطبق هذه الفكرة على الكثير من أمور حياتك المختلفة. وأحد تلك الاحتياجات، أن تكون محتاجا لأحد، أن تُحَب وأن تُعشَق، أن تكون مقبولا من أحد ما. ولكن لا أحد يتقبل ذلك الجزء من طبيعته.. أن يكون ضعيفا.

---

[٢] Muhammad Ali Clay: ملاكم أمريكي ، اعتنق الاسلام، ولقب بملاكم القرن، وحصل على رقم قياسي في أسرع لكمة على مر التاريخ. من مواليد ١٩٤٢. (Ali.com)

نحن نعيش حياة تملؤها المظاهر والأقنعة، تملؤها المجاملات والنفاق إلى درجة أن الحميمية تشكل خوف بالنسبة لنا. قد يبدو ظاهرك قديساً، ولكن بالعمق لازلت انسان مخلوق كوني ضعيف، لديك ما لديك من الرغبات والأحلام.

أول خطوة هي ان تقبل نفسك كما هي. أن تقبل نفسك كلها، بالرغم من عادات المجتمع. العادات التي قادت الإنسانية كلها نحو الجنون. عندما تقبل نفسك كما هي، فإن الخوف من الحميمية سيختفي. ولن تستطيع حينها أن تفقد احترامك أو تفقد أبهتك، لا يمكنك أن تفقد الأنا أو السموم التي تحيط حولها، لأنك ببساطة تكون قد تخليت عن ذاتك.. وتعود ببساطة كالطفل الصغير، بريء تماما. عندها يمكنك أن تكشف ما بداخلك. البشاعة والمكبوتات والضغوطات التي كانت بالأمس حاجز ومانع، قد اختفت اليوم.. وسيكون كل ما هو باطني فيك أصلي وخالص ونقي. عندها ستكون حاضراً للحميمية، وستشجع الشخص الآخر أيضا ليصبح حميم معك. انفتاحك وكشفك لباطنك سيساعد الآخر لأن يكون منفتحا أيضا. بساطتك الغير متعمدة، بساطتك التلقائية ستسمح للآخر أن يستمتع بتلقائيته وبراءته والحب والانفتاح.

نحن نعيش في سجن المعتقدات الغبية، ولهذا نخاف أن يكتشف الآخر حقائقنا الداخلية. في الحقيقة إننا مخلوقات هشة جدا، بل نحن المخلوقات الأكثر هشاشة في الوجود. الطفل البشري أكثر الأطفال هشاشة في عالم الحيوان. لأن أطفال الحيوانات الأخرى تستطيع البقاء من دون أم، ومن دون أب، ومن دون عائلة.. ولكن طفل الإنسان سيموت على الفور، لذا فهذه الرقة لا يحبذ الخوف منها أو سبها أو لعنها أو احتقارها، إنها أعلى مستويات التعبير عن الوعي. فزهرة الجوري بطبيعتها هشة، لأنها ليست حجر. فلا حاجة لك لتشعر بالإثم لأنك كالزهرة ولست كالصخرة.

عندما يصبح شخصان حميمان من بعضهما تختفي الغربة بينهما، لا يعودان غرباء عن بعضهما. هذه تجربة جميلة؛ أن تعرف بأنك ليس أنت فقط من يحمل ضعف بداخله، وإنما الآخر أيضا لديه ضعف أيضاً.. وربما الكل مليء بالضعف. فدائما ما يكون العنصر الأعلى في الكيان، أو التعبير الأعلى في الكيان هو الأضعف من جميع العناصر أو الصور الأخر. فلنأخذ الزهرة مثلا، جذور الزهرة قوية جدا، ولكن الزهرة نفسها لا يمكن أن تكون قوية، وجمالها يكمن لأنها رقيقة. في الصباح تتفتح بتلاتها لتستقبل شعاع الشمس، ترقص طوال اليوم مع الريح، تحت المطر، وفي المساء تنام البتلات فتنهمر أوراقها.. وهنا تكون قد ذبلت.

كل ما هو ثمين وجميل، نجده مؤقت لا يدوم. لكنك تريد أن يدوم كل شيء لك؛ فتحب شخص ما، وتعِدَه بأنك ستحبه طوال حياتك، بينما تعلم جيدا بأنك لست واثقا كيف سيكون عليه مستقبل حياتك، تعطي وعود زائفة. ويكون الأجدر بك أن تقول: "أنا أحبك في هذه اللحظة، وسأعطيك كل المحبة بهذه اللحظة، إنما لا أعلم ما ستجلبه لي اللحظة القادمة.. لا أعرف شيء عنها.. كيف أستطيع أن أعدك بشيء لا أعرفه؟ يجب أن تغفر لي".

ولكن العشـــاق اليوم يقدمون أنواع كثيرة وألوان من الوعود التي لا يســـتطيعون الوفاء بها. وعندما يقدمون مثل تلك الوعود يأتي الغباء وتكبر الفجوة بينهما أكثر فأكثر، عندها يبدأ الصـــراع والقتال والنضـــال، في حياة وعلاقة كان لها معنى أن تصـــبح أحلى وأسعد وأطول.

إذا كنت واعيا بأنك تخاف من الحميمة، يمكنك أن تحول ذلك إلى تجلي عظيم لك، وثورة.. وذلك إذا نظرت إلى ما تحمله في داخلك، وأخذت بحذف ومحو كل شـــيء تخجل منه، فتتقبل طبيعتك كما هي، ليس كما يجب أن تكون، بل كما هي. أنا لا أعطيك تعاليم كي تكون كما "يجب"، فالتعاليم التي تعلمك وتوجهك على أن تكون كما "يجب" تجعل عقل المرء مريض. على المرء أن يتعرف على جماله دون أن يحقق الـــــ"يجب" الاجتماعية، بمعنى أن تختفي الكينونة منه ويختفي هو ككائن منفصـــل عن الوجود يناضـــل من أجل أن يكون كما يجب، بل أن يذوب في الوجود.. وهنا يكمن البهاء والجمال ورونق الكينونة العظيمة للطبيعة العظيمة، فالأشـجار لا تعرف الوصـايا العشـر، والطيور لا تعرف الكتب المقدسـة. فقط الإنسـان الذي خلق مشـكلة لنفسـه، لاعن بذلك طبيعته الخاصـة وناقداً لها.. أصـــبح مبتور عن حياته، أصـــبح يعاني من ووســـواس قهري، وأخذ يعاني من انفصـــام بالشخصية.

ليس فقط الناس العاديين، ولكن حتى الناس المميزين مثل ســـيجموند فرويد، الذي أسهم بعظمة في فهم عقل الإنسان. طريقته كانت تحليليه، حيث كان يدعوك لتعي كل ما هو خفي فيك داخل عقلك الباطن. وهذا هو الســـر، أنه بمجرد أن شـــيئا لا واعيا فيك يصـــبح واعيا، فإنه يتبخر وتغدو أنظف وأخف. كلما ذاب اللاوعي وأصبح واعيا، كلما خفت اوزار اللاوعي عليك أكثر وأكثر.

هذه حقيقة كبيرة لا محدودة. الشـــرق أدركها منذ آلاف الســـنين، ولكن في الغرب قدمها سيجموند فرويد، دون أن يعرف أي شيء عن الشرق وسيكولوجيته. كانت مساهمته تلك فردية، ولكن ســـتندهش إن عرفت أنه لم يكن فرويد مســـتعدا لكي يصـــبح مادة للتحليل. من أوجد التحليل النفســـي، وهو فرويد، لم يقبل لأحد أن يحلله. وزملائه أصـــروا مرة تلو الأخرى: "لقد قدمت لنا طريقة للتحليل النفسـي، ولقد حللتنا جميعا، لماذا تصـر على ألا يتم تحليلك أحد؟"، أجابهم: "انسـوا هذا الموضـوع" لقد كان خائفا من كشـف نفسـه، لقد أصـبح عبقري عظيم، وكشـف نفسـه أمام الآخرين سـينزله إلى مسـتوى الناس العاديين، سـيدرك أصحابه بأن لديه المخاوف نفسها والرغبات نفسها والمكبوتات نفسها الموجودة لدى جميع الناس. كما إنه لم يتحدث عن أحلامه قط، بل كان يســـتمع فقط لأحلام الآخرين. وكانوا زملائه متعجبون جدا ويتســـاءلون: "ســـيكون من العظيم أن نعرف عن أحلامك". لكنه لم يتحدث عن أحلامه، لأن أحلامه كانت عادية كأي فرد آخر، وهنا يكمن خوفه.

غوتاما بوذا لم يخاف التأمل، لقد ساهم في إضافة التأمل للمجتمع، كما ساهم فرويد بابتكار التحليل النفســـي لخدمه المجتمع، لقد قدم بوذا نوع خاص من التأمل، كما إنه لن يخاف من التحليل النفسي -لو عرض له ذلك- لأنه رجل يتأمل.. فأحلامه تتبخر شيئا فشيئا، ويبقى في صـــمت وســـكون عقلي، لن يكون في عقله زحمة أحلام ورغبات. وعندما يأتي الليل ينام بعمق، لأن ما الأحلام سـوى أفكار لم يعشـها الإنسـان في الواقع، رغبات وأمنيات لم تطبق في الواقع، ولهذا يحاول المرء أن يكمل رغباته على شكل أحلام أثناء النوم.

من الصعب أن تجد رجلاً يحلم بزوجته أو امرأة تحلم بزوجها. ولكن سيكون من الشائع جدا أن يحلموا بزوجات الآخرين، أو أن تحلم المرأة بأزواج الجيران. الزوجة متوفرة للزوج، ولهذا لا يتم كبت رغباته اتجاهها، ولكن ستظل زوجة الجار دائما أحلى، يظل العشب أكثر اخضرارا في مزرعة الجار. والذي لا يمكن الوصول إليه يخلق رغبة دفينة بالحصول عليه. وما لا تملكه طوال اليوم، تستطيع أن تحصل عليه وتملكه على الأقل في الأحلام. ولازالت الأحلام مجانية، لم تصادرها ضريبة الحكومة.

ولن يطول الأمر، فقريبا سيصادرون الأحلام أيضا، وطرق مصادرة الأحلام متوفرة وموجودة الآن، يستطيعون أن يراقبوا نشاط عقلك ويعرفوا إن كنت تحلم، وقد يتوصل العلم لأن يعرض حلمك على الشاشة. يتم توصيل قطبين كهربائيين في رأسك، وستنام سريعا، وتحلم كما يحلوا لك، تقوم بمضاجعة زوجة جارك. وسيتم عرض ذلك الحلم كفلم على شاشة السينما. وسيكتشفون حقيقة الرجل الذي كان مؤمنا متزمتاً قديساً.

بهذا القدر يمكنك أن ترى ما إذا كان الشخص يحلم أثناء النوم، راقب جفنه الأعلى، إن كان هناك حركة تحت الجفن أم لا، فإن تواجدت تلك الحركة أثناء النوم، يعني إنه يحلم.

ربما قد يأتي يوما ما يتم فيه عرض حلمك على الشاشة. وقد يأتي يوما يجبرونك على حلم معين. ولكن إلى الآن لم يوجد معهد تحدث عن هذا الشيء، لازال الناس أحرار بما يحلمون. إنه حق من حقوقهم.

غوتاما بوذا لا يحلم. التأمل طريقة لتذهب أبعد من حدود عقلك. بوذا يعيش في صمت كامل أربعة وعشرين ساعة، لا توجد صخور ولا دوائر في بحيرة عقله، لا أفكار ولا احلام ولا رغبات. لكن سيجموند فرويد يخاف من التحليل النفسي، لأنه يعرف بماذا يحلم.

لقد سمعت عن حادثة حصلت لثلاثة روائيين روسيين عظيمين؛ تشيكوف[3]، جوركي[4]، تولستوي[5].. كانوا جالسين على مرتفع في حديقة ويغتابون أحد ما. لقد كانوا أصدقاء مقربين وعظيمين. لقد كانوا عباقرة جميعا، وقد صنعوا قصص عظيمة لدرجة أنه إن أردت أن تعد اليوم أفضل عشرة قصص في العالم، فسيكون خمسة على الأقل من نصيب هؤلاء الروائيين الروس قبل الثورة.

كان تشيكوف يروي عن النساء في حياته، وجوركي انضم إليه وقال بعض الأمور عنهم. ولكن تولستوي بقي صامتا. تولستوي كان أورثذكسي متزمت، متدين مسيحي. ستتعجب لو علمت أن المهتاما غاندي وضع ثلاثة أشخاص كمعلمين له، أحدهم كان تولستوي.

---

[3] Anton Chekhov: (1860-1904)
[4] Maxim Gorky: (1868-1936)
[5] Leo Tolstoy: (1828-1910)

يبدو أن تولستوي كان كابت لنفسه بدرجة كبيرة، لقد كان من أغنى الأغنياء في روسيا -كان عضواً في مؤسسة النبلاء- ولكنه عاش كمتسول فقير، لأن "طوبى للفقراء، فإنّ لهم ملكوت السماوات،"[6] لهذا لم يكن مستعد للتخلي عن مملكة الله. هذه لا تعتبر بساطة وتواضع، ولا تعتبر "اللارغبة أو انعدام الرغبة" إنها رغبة شديدة الإلحاح. بل إنها طمع كبير، وغريزة بصورة كبيرة. إنه يضحي بهذه الحياة ومتعها لأنها حياة صغيرة، ويريد أن يستمتع بجنة الله ومملكته إلى الأبد. إنها صفقة ناجحة ومساومة جيدة.. إنها تشبه لعبة الحظ، ولكن نهايتها أكيده.

تولستوي كان يعيش حياة عزوبية. ويأكل فقط الطعام النباتي. كان تقريبا كقديس، ومن الطبيعي أن تكون أحلامه بشعة. عندما أخذ "جيكوب" و"جوركي" يسألانه: "تولستوي لماذا أنت صامت؟ قل شيئاً"، قال: "لا أستطيع أن أقول أي شيء عن النساء.. بل سأقول شيئا واحد، ليس الآن وإنما إذا اقتربت من القبر، سأضع قدم واحدة في القبر وسأقول ما لدي ثم أقفز في القبر".

تستطيع أن تفهم لماذا كان يخاف جدا من قول شيء ما، لقد كان يغلي في داخله، شيء ما في الداخل وصل إلى حد الغليان. وسوف تستوعب الآن بأنك لن تكون هناك حميمية مع رجل يشبه تولستوي.

الحميمية ببساطة تعني أن أبواب القلب مفتوحة لك؛ دروب القلب ترحب بك لتأتي وتدخل وتستضيف. وهذا لن يحصل إلا إذا كان لك قلب ليس فيه كبت او خوف. القلب الذي لا يغلي بكل أنواع المكبوتات والحواجز والانحرافات، هو القلب الذي لا ينحرف عن الحق. قلب طبيعي كما هي الشجرة طبيعية كما هم الأطفال أبرياء.. عندها لن يكون هناك خوف من الحميمية.

هذا ما أحاول عمله: أساعدك أن تخفف الحمل من لاوعيك، أن تخفف الثقل عن عقلك. لكي تصبح طبيعيا، ليس هناك أفضل من أن تكون بسيطا عاديا ونقيا. وعندها يمكن أن تحصل على أصدقاء حميميين، وعلى علاقة حميمية قدر الإمكان، لأنك لا تخاف من شيء. ستكون كالكتاب المفتوح، يمكن للكل قراءته، لا يوجد شيء لتخفيه.

> كل سنة يذهب نادي الصيد إلى منطقة التلال في مونتان.[7] يعمل الأعضاء قرعة ليقرروا من الذي سيتولى أمور الطبخ، ووافقوا على إنه من يتذمر عن الطعام سيحل محل الطباخ الذي لا يعرف الطبخ. وأدركوا بعد بضعة أيام إنه لن يكون هناك احتمال أن يتكلم أحدهم وينتقد الطعام. و"ساندرسون"[8] قرر أن يقوم بخطة يائسة، حيث وجد بعض فضلات حيوان الرنة، وأضاف قبضتين منها في كفه للحساء. وفي تلك الليلة بدأ البعض بالتذمر بأصوات خفيفة غير مسموعة وغير مفهومة.

---

[6] الموعظة على الجبل، وفي ترجمات أخرى للإنجيل (طوبى للفقراء بالروح، فإن لهم ملكوت السماوات) و(هنيئا للمساكين في الروح، لأن لهم مملكة الله)

[7] Montana: ولاية في شمال أمريكا.

[8] Sanderson

ولكن لم يجرء أحد أن يطق بصوت مسموع. إلا أن فجأة كسر أحد الأعضاء الصمت وقال: "هذا الشيء طعمه كطعم فضلات الحيوان، ولكنه جيد"

لديك وجوه عديدة في الداخل، تفكر بشيء وتعبّر بشيء آخر.. لم تعد وحدة متكاملة صحية وعضوية بذاتها. استرخ وحطم الشرخ الذي خلقه فيك المجتمع. قل ما تريد أن تقول، تصرف وفقا لتلقائيتك، ولا تهتم لعواقب الأمور. إنها حياة صغيرة لا تضيعها بالتفكير بما سيحدث هنا أو في الحياة الاخرى.

يجب أن يعيش المرء بكليته، بمتعة.. بالضبط مثل الكتاب المفتوح.. متاح لأي كان أن يقرأ. وبالطبع لن يتم تسجيل اسمك في كتب التاريخ بهذا الترف. وما الهدف من أن تصنع اسمك في كتب التاريخ؟

عش ولا تفكر بأن يذكرك الآخرون، ستكون ميت في المستقبل، فملايين الناس عاشوا على هذه الأرض، ولا نعرف أسماءهم حتى. تقبّل هذه الحقيقة البسيطة، أنت هنا لبضعة أيام، وبعدها ستذهب. وهذه الأيام القليلة لا يجب أن تقضيها في النفاق والخوف.. هذه الأيام يجب أن تحياها بتهلل وطرب واحتفال.

لا أحد يعرف شيء عن المستقبل، جنتك وجحيمك وإلهك –ربما وعلى الالأرجح- كلها فرضيات. ولم يتم اثبات أي شيء منها علميا. إن الشيء الوحيد الذي بيدك هو حياتك.. اجعلها غنية بقدر ما تستطيع. بالحميمية بالحب، بأن تفتح نفسك لكل الناس، ستصبح أغنى. وإذا كنت تعيش بحب عميق، بمصداقية عميقة، بحميمية عميقة مع أناس كثر، تكون قد عشت بطريقة صحيحة. وفي أي مكان تتواجد، مهما كان هذا المكان، لن يهم طالما تعلمت هذا الفن، وهي أن تعيش بسعادة.. فإنك ستتمتع أينما حللت.

إذا كنت بسيطا، محبا، منفتحا، حميميا، ستخلق جنة الفردوس من حولك. أما إذا كنت منغلقا، وفي حالة دفاع عن نفسك، دائم القلق من أن يكشف أحدهم أفكارك، أحلامك والتواءاتك وعيوبك. فستعيش بجحيم أينما كنت. جهنم فيك وكذلك الجنة. إنها ليست أماكن جغرافية. بل مقامات روحية يعيشها المرء.

نظف نفسك، والتأمل لا شيء سوى تنظيف النفس من كل القمامة التي تجمعت في عقلك. عندما يتم تنظيف العقل يصبح صامتا، والقلب يصبح غنيا. وستكون على استعداد من دون أي خوف، بل بمتعة عظيمة أن تكون حميميا مع الآخر. وبدون الحميمية فإنك ستعيش وحيدا هنا بجانب الغرباء الآخرين. مع الحميمية ستعيش مع الأصدقاء جميعهم.. مع أناس يحبونك.. الحميمية تجربة عظيمة، وعلى المرء ألا يفوت تلك الفرصة أبدا.

ألف باء تاء.. الحميمية

الناس يخوضون في بحث عن التأمل، الصلاة، طرق جديدة للوجود. ولكن البحث الأعمق، البحث الأساسي هو كيف تتصل مرة أخرى بالأكوان وتكون موصول بجذور الوجود مرة أخرى. سمه تأمل، سمه صلاة.. أو أي شيء تريده. لكن الشيء الأساسي هو كيف لك أن تغرس جذورك في الوجود مرة أخرى. لقد أصبحنا أشجار مقطوعة الجذور. ولا يوجد أحد مسؤول عن ذلك، نحن كلنا مسؤولون، بأفكارنا الغبية التي تتصارع مع الطبيعة وتحاول هزيمتها والتغلب عليها.

نحن جزء من الطبيعة، كيف للجزء أن يتغلب على الكل؟ بالأحرى يجب أن تصادق الكل، يجب أن تحبه، أن تثق به.. شيئا فشيئا بهذه الصداقة، بهذه المحبة والثقة تشرق الحميمية وتصبح أقرب لها. تقترب منك الطبيعة أكثر، فتبدأ بإماطة اللثام عن وجهها، فتكشف لك عن أسرارها، فتظهر لك وتوحي أسرار الألوهية. أسرار الألوهية تتكشف فقط لمن هم أصدقاء الكون والطبيعة.

إبدا من حيث أنت

الحياة بحث، بحث دائم ومستمر، بحث مستميت ويائس.. بحث عن شيء لا يعرف المرء ما هو. نجد الحاح عميق للبحث، ولكن لا يعرف المرء عما يبحث. وهناك حالة ما في العقل، فمهما يحصل عليه لن يعطيك الرضا. ويبقى الحنق كأنه مقدر للإنسان أن يعيشه، فكل ما تحصل عليه يصبح خاليا من المعنى بعدما تحصل عليه.. فتبدأ بالبحث مرة أخرى عن شيء آخر.

إن البحث يستمر سواء حصلت على شيء أم لم تحصل عليه. سواء قبلت بما حصلت عليه أو لم تقبل، البحث سيستمر على أي حال. الفقير يبحث، والغني يبحث، والمريض يبحث، والقوي يبحث، والذي لا قوة له ولا سلطة يبحث أيضا، الأغبياء يبحثون والحكماء يبحثون.. ولا أحد يعلم بالتحديد ما الذي يبحثون عنه، وعما يبحثون.

ماهو هذا البحث؟ ولماذا يتواجد معنا؟ إن عملية البحث بحد ذاتها يجب أن تُفهم. يبدو أن هناك فجوة في التكوين الإنساني، في العقل الانساني، في تركيبته. الوعي نفسه فيه فجوة ما، فجوة سوداء. تستمر في رمي الأشياء داخلها، ولكنها لا تمتلئ، ترمي الأشياء التي تحصل عليها، وتختفي الاشياء تلك حالما تدخل تلك الفجوة. لا شيء يجعل هذه الفجوة تمتلئ. لا شيء يساعد نحو الاكتفاء والرضا. تستمر في عملية البحث في هذا العالم وتبحث أيضا في العالم الآخر، أحيانا تبحث في المال وفي السلطة وفي البروستيج، وأحيانا تبحث

في الله، وفي الرحمة، وفي الحب والتأمل والصلاة.. لكن البحث يستمر.. ويبدو الإنسان وكأنه مريض بـ"داء البحث".

البحث لا يسمح لك أن تكون هنا الآن، لأن البحث دائما يأخذك إلى مكان آخر. البحث عن عرض ما، هو رغبة، إنه موجود بسبب الفكرة التي تقول بأن ما تبحث عنه موجود في مكان آخر، في زمن آخر.. ما تبحث عنه موجود، ولكنه موجود في مكان آخر، ليس هنا حيث أنت تقف، بل هناك حيث أنت لم تصل. إنه موجود بالتأكيد ولكن ليس بهذه اللحظة، ليس الآن ولكن في مكان آخر. ولهذا يبدأ "داء البحث" بالإلحاح عليك، يستمر في سحبك من مكان إلى آخر، يستمر في دفعك من كان على آخر، يستمر في رميك إلى الجنون أكثر وأكثر.. ولا يجعلك تكتفي أبدا.

سمعت قصة عن متدينة صوفية، هي رابعة العدوية:

> في مساء أحد الأيام، والشمس تغيب، كان هناك القليل من الضوء في الطريق. وجد الناس رابعة جالسة على الطريق تبحث عن شيء ما. كانت امرأة عجوز، وعيناها كانتا ضعيفتان، كانت تنظر بصعوبة. لذا أتى إليها الجيران لمساعدتها. سألوها: "عما تبحثين؟"
>
> قالت رابعة: "هذا السؤال غير صحيح.. أنا أبحث وإن استطعتم مساعدتي فساعدوني."
>
> ضحكوا وقالوا: "يا رابعة، هل جننت؟ أنت تقولين إن سؤالنا غير مقبول، ولكن إن كنت لا تعرفين عما تبحثين، فكيف نستطيع أن نقدم المساعدة؟"
>
> قالت رابعة: "حسنا -لأرضيكم فقط- أنا أبحث عن إبرة، لقد فقدت إبرتي."
>
> بدأوا بالمساعدة، ولكن فورا أدركوا أن الطريق كبير والإبرة شيء صغير جدا. لذا سألوها: "أرجوك قولي لنا أين فقدتها بالضبط، حددي لنا المكان، لأن من الصعب أن نجدها فالطريق طويل جدا. ويمكن أن نبحث عن الإبرة للأبد.. أين فقدتها بالتحديد؟"
>
> قالت رابعة: حسنا -لأرضيكم فقط- أنا فقدتها في المنزل.
>
> تعبوا: "فلماذا تبحثين هنا؟"
>
> وقد نقل عن رابعا أنها قالت: "لأن هنا على الطريق يوجد نور، وداخل المنزل لا يوجد نور"

هذا الحديث له دلاله ومؤثر فعلا. هل سألت نفسك عما تبحث؟ هل حدث وجعلتها نقطة تنطلق منها للتأمل لتعرف عما تبحث؟ لا، حتى في لحظة الغموض، لحظات الحلم، لديك بعض اللمحات، بعض الإشارات التي تشير إلى ما تبحث. لكنها ليست دقيقة وكافية، فحتى هذه اللحظة لم تصل إلى تعريف واضح عما تبحث عنه.

فإذن حاول تعريفه، لأن كلما عُرّف الشـــيء، كلما قلت حاجتك للبحث عنه. البحث ممكن له أن يستمر في حالة كان بها الشيء غامضا. البحث يستمر حينما تكون الأمور غير واضحة، ولهذا تستمر بالبحث، مشدود برغبة داخلية، مسحوب نحو الشيء.. بسبب الحالة الداخلية الطارئة. شـــيء واحد تعرفه: بأنه يجب عليك أن تبحث. هذه هي الحاجة الداخلية للبحث، ولكنك لا تعرف عما تبحث، وإن لم تعرف عما تبحث، فكيف ستجده؟

إنه شـــيء غامض، تعتقد أنه موجود في المال، أو الســلطة أو البروســـتيج أو الاحترام.. ولكنك ترى الناس المحترمين، ذو النفوذ يجوبون في حالة من البحث وشـــعور من النقص.. هم أيضــــا يبحثون كما تبحث أنت. وكذلك ترى الناس ذو الثراء الفاحش، يجوبون في حـالة من البحث.. يبحثون ويبحثون إلى آخر يوم في حياتهم. فإذن الغِنى لن ينفع، والسلطة لن تنفع.. البحث يستمر على الرغم مما تملك.

يجب أن يكون البحث عن شيء آخر، هذه الأسماء والملصقات التي يتم تعليقها على الأشـخاص: المال، السلطة، الوجاهة.. إنها فقط عناوين ترضـي العقل. إنها فقط تسـاعدك لتشعر بأنك تبحث عن شيء ما. هذا الشيء باقٍ ولا زال لم يُعرف.. شعور غامض جدا.

إن أول الأمور مهمة للباحث الحقيقي (الباحث الذي أصــبح واعيا قليلا ويقظا) من المهم له أن يُعرّف البحث، أن يكون لديه فكرة واضـــحة عما هو "البحث".. عليه أن يجلبه من مستوى ووعي الحلم، إلى مستوى الوعي العميق، فينظر له مباشره، أن يواجهه ويقف وجها لوجه امامه. وفي هذه اللحظة تحول ما يبدأ بالحدوث. إذا بدأ "البحث" تتوضـــح صورته، ستبدأ تفقد اهتمامك فيه. كلما حددت هوية البحث، كلما تلاشى من الوجود. بمجرد أن تعرفه بصورة واضحة، فجأة يختفي.. إنه يتواجد فقط حينما لا تنتبه له، حينما يكون في اللاوعي، وحالما تسلط عليه ضوء الوعي، يموت فجأة.

كرر هذه الجملة: **يتواجد البحث فقط عندما اكون نائما**. البحث يتواجد فقط عندما تكون غافل، البحث يتواجد فقط في حالة اللاوعي.. اللاوعي يخلق حالة البحث هذه.

نعم، رابعة على حق. في الداخل لا يوجد نور، وحيث أنه لا يوجد نور ولا وعي في الداخل فإنها ستستمر بالبحث في الخارج، لأن في الخارج يبدو أن العملية أسهل وأكثر وضوحا.

حواسنا خارجية، العين تفتح على الخارج. اليد تتحرك وتنتشر في الخارج. الأرجل تتحرك في الخارج، والأذن تســمع الأصـــوات الخارجية والإزعاج. كل ما هو متاح لك مفتوح للخارج. كل حواسـنا الخمس خارجية، ولهذا تبدأ بالبحث هناك، حتى ترى، تشـعر، تلمس، تتذوق.. نور الحواس الخمسة موجود في الخارج، إنما الباحث يتواجد في الداخل.

هذه التقســيمة يجب أن يتم فهمها. الباحث يتواجد في الداخل. ولكن لأن النور في الخارج. يبدأ يتحرك الباحث طامحا، محاولا إيجاد ما يبحث عنه في الخارج، ظانا أنه سيرضيه ويكمّله. ولن يحدث هذا أبدا. لا يمكن لهذا أن يحدث بطبيعة الأشياء.. إن لم تبحث عن الباحث بذاته، فإن جميع تلك الأمور لا معنى لها. إذا لم تصــل لمعرفة من أنت، من تكون؟ فإن كل عملية البحث ستكون فاشلة، لأنك لم تعرف من هو الباحث. من دون معرفة الباحث، فكيف لك أن تسير في الطريق الصحيح، في الاتجاه الصحيح؟ مستحيل.

هذه هي النقطة الاولى التي يجب أن توضع بعين الاعتبار.

اذن ما يهم الآن هو أمرين: الأول أن تعرف ما تبحث عنه بشكل واضح جدا، ما هي مادتك وما هو موضوعك، فلا تذهب تتخبط في الظلام. وركز اهتمامك على مادة بحثك، عما تبحث حقاً؟ لأننا نريد شيء ما ونذهب لنبحث عن شيء آخر.. لهذا ننجح بالحصول على شيء ولكن ما نحصل عليه ليس هو ما نبحث عنه. فهل رأيت الناس الناجحون؟ هل تستطيع أن تجد فشل أعظم من ذلك؟ لقد سمعت بالمثل القائل "لا شيء ينجح كما النجاح" إنه مثل خاطئ، بل أود أن أقول "لا شيء يفشل كما النجاح" ولابد أن هذا المثل أخترع من قبل أناس أغبياء.. أنا أكرر بأن لا شيء يسقط كما النجاح.

لقد قيل عن ألكسندر العظيم إنه في اليوم الذي أصبح فيه هازم العالم ومالك له، أغلق أبواب غرفته وبدأ بالنواح.. لا أدري إن حد هذا الشيء أم لا، ولكن إن حدث ذلك، فيكون الاسكندر في غاية الذكاء.. لقد اضطرب الجنرالات الذين كانوا معه:

> ما الذي قد حدث؟ لم يجدوا الكسندر العظيم ينوح أبدا.. لم يكن من هذا النوع من الرجال، لقد كان محاربا عظيما، وجدوه يخوض ويخرج من المآزق والصعوبات الشديدة، في حالات كثيرة واجه مخاطر كثيرة، حيث الموت كان وشيكاً، ولم يشاهدوا دمعة واحدة من عينيه. لم يجدوه بائسا في أي لحظة من لحظات حياتهم معه. فما الذي حدث الآن؟ عندما نجح! عندما أصبح هازم العالم؟
>
> دقوا الباب، دخلوا، وسألوه.. ما الذي حدث معك؟ لماذا تبكي كالطفل الصغير؟
>
> قال: الآن وقد نجحت.. عرفت الفشل أيضاً. لقد أدركت في هذه اللحظة بأنني لا زلت أقف في المكان الذي كنت أقف فيه قبل أن أبدأ بكل هذا الهراء، حينما تغلبت على العالم وهزمته. لقد أدركت بأن لا يوجد عالم ثاني لأهزمه، وإلا لاستمريت في رحلتي لأهزم مكان آخر، عالم آخر.. والآن لا يوجد عالم آخر لأهزمه. لا يوجد شيء آخر لأفعله، بل سأجلس مع نفسي هكذا.

الرجل الناجح دائما يجلس مع نفسه بالنهاية، وعندها سيعاني من عذاب جهنم، لأنه أضاع كل حياته، بحث وبحث، خاطر بكل شيء يملكه. حقق النجاح الخارجي، ولازال قلبه خاليا وروحه لا معنى لها ولا عطر ولا بهجة.

لذا، أول الأمور مهمة ها هنا هو أن تعرف بالضبط ما الذي تبحث عنه. وأنا مصر على أن تعرف ما الذي تبحث عنه، فكلما ركزت بناظرك على شيء ما عندما تبحث عنه، كلما بدأ هذا الشيء بالاختفاء. عندما تكون عيناك ثابتتين تماما، فسيختفي ما تبحث عنه فجأة، فستتجهان عيناك ناحيتك.. عندما لا يكون هناك مادة للبحث عنها، عندما تختفي كل المواد، يحيط بك الفضاء والخلو والفراغ.. لذا الفراغ هو ما يجلب لك التحول..

عندها تعي ما بالداخل.. تنظر فجأة لنفسك. في تلك اللحظة تدرك أن لا يوجد ما تبحث عنه خارجا. وعندها تولد عندك رغبة جديدة، رغبة التعرف على هذا الباحث.[9]

اذا توافر لك ما تبحث عنه خارجا، فأنت رجل دنيا، إما أذا لم يتوافر لك ما تبحث عنه خارجا، واختفت جميع الأشياء.. عندها يمكنك أن تسأل: عمن يكون هذا الباحث؟ من هو هذا الباحث؟ والآن يصبح من المهم لك أن تتعرف على نفسك. بهذه الطريقة يمكن لي أن أعرف رجل الدنيا ورجل الدين. إذا لازلت حتى الآن تبحث عن شيء ما، قد يكون هذا الشيء في الحياة الأخرى، أو في هذه الحياة، قد يكون في الجنة، الفردوس.. هذا لا يهم، لا يشكل فرق.. تظل لا زلت في خانة رجال الدنيا، حتى لو كنت تبحث عن شيء ما يتعلق بالآخرة، كالجنة مثلاً. إذا توقفت جميع الأمور التي كنت تبحث عنها واختفت من أمامك، وفجأة صرت مهتما لتتعرف على هذا الكائن الباحث الباطني فيك، ما هي الطاقة التي تدفعك للبحث؟ من أنت؟ عندها تكون لحظة التحول، وكل القيم التي تعرفها تتغير.. ويبدأ اهتمامك يتوجه نحو الداخل، نحو الباطن.. وعندها لن تجلس رابعة مرة أخرى على الطريق لتبحث عن الابرة التي فقدتها في مكان ما داخل المنزل المظلم.. داخل ظلمة روحها.

عندما تبدأ تتجه نحو الداخل، ستجد أن الظلمة شديدة. إن رابعة محقة نحو الظلام الشديد داخل المنزل، وذلك بسبب العديد من الحيوات التي حييتها دون أن تدخل نحو الداخل، كانت حواسك متجه تنحو الخارج، نحو العالم الخارجي. هل شعرت مرة بظلام المنزل، حينما تعود من رحلة قضيتها خارج المنزل حيث الشمس ساطعة في الخارج، عندما تدخل البيت فتشعر فجأة بظلمة شديدة . إن العينين مركزة وبشدة على الضوء الخارجي، وعندما يكون هناك ضوء شديد ساطع أمام العين، فالبؤبؤ يتقلص. أما في الظلام فالبؤبؤ يسترخي ويتوسع أكثر. في الظلام فتحة البؤبؤ أكبر، أما في النهار ففتحة البؤبؤ أصغر. وهكذا هي الكاميرا. والكاميرا تشبه العين في عملها لتوضّح الصورة.

لذا عندما تدخل فجأة المنزل بعد رحلتك في الخارج، يبدو المنزل مظلم بشدة، ولكن إن جلست لفترة، فإن الظلمة تختفي شيئا فشيئا ويزيد النور، وعينك تستقر وقد تستطيع أن تنظر وتعرف ما يوجد في الداخل. لحيوات عديدة كنت تعيش تحت الضوء الساطع الخارجي، لهذا عندما تحاول أن تدخل إلى باطنك تكون قد نسيت كيف الوصول إلى الداخل، وكيف توازن نظرك مرة أخرى. والتأمل ليس إلا إعادة استعادة الرؤية في الظلام، واعادة تنظيم عمل البؤبؤ، واعادة هيكلة النظر والرؤية.

في الهند نسمي هذه بالعين الثالثة، إنها ليست عين فعلية في مكان ما، إنه أعادة توازن لرؤيتك، لتتآلف وتتوافق وتتكيف مع الظلام. شيئا فشيئا يدنو الظلام ولا يعد بعد ذلك مظلم. بل وتبدأ تشعر بأن نور ما بدأ يشرق من الداخل، وكأنه نور كهربائي غامض.. وإذا استمريت بالنظر للداخل –مع الوقت- تدريجيا وببطئ ستشعر بأضواء جميلة تشع من باطنك. هذه الأضواء ليست هجومية شديدة شرسة كضوء الشمس عند الظهيرة، بل أنوار

---

[9] تذكرني هذه السطور بقصة النبي ابراهيم، عندما كان يبحث عن الجمال المطلق والإله المطلق الذي لا يختفي في النهار ولا يتغير اوجهه في الليل.. فأدرك بأن ما يبحث عنه هو الله، وان الله ليس هذه النجوم ولا القمر ولا الشمس، بل هو الله أكبر الذي خلق السماوات والأرض. كأن هذه القصة تبدو حوارا داخليا في نفس النبي ابراهيم، وأخذ يتحول من طبقه إلى أعلى في مراتب الوعي. وهكذا يكون التفكر.

أشبه بالقمر، ضوء لا يكسر العين ولا يزغل النظر، إنه ضوء بارد وحنون ولطيف، إنه مريح كمن يربت على كتفك بحنان. إنه كراحة يد المعلم المستنير.

شيئا فشيئا عندما تكون قد تآلفت مع الضوء، ستجد أنك المصدر لهذا الضوء. الباحث هو مادة البحث. عندها سترى أن الكنز منك وفيك. وكل المشكلة هي أنك كنت تبحث عن هذا في الخارج، كنت تبحث عن هذا في مكان آخر بالخارج، إنما هو موجود في داخلك. إن هذا كل ما في الأمر.

كل شيء متوفر لك، بقدر ما هو متوفر لأي شخص آخر، كما هو القدر الذي وفر الكثير لبوذا، لموسى، لمحمد، لبال شيم[10]. إنه متوفر لك أيضا. كل المشكلة إنك كنت تنظر إلى الجهة الخاطئة. وبما يخص اهتمامنا بالكنز، فنحن لسنا فقراء.. الواحد منا ليس أفقر من بوذا أو محمد- الله لم يخلق انسان فقيرا- ولا يمكن أن يحدث أن يخلق رجلا فقيرا. لأن الله يخلق الكائنات من أناه الإلهية، فكيف للغني أن يخلق فقيراً؟ أنت نهر الله الذي ينهر، أنت جزء من وجوده، كيف لله أن يخلق رجلا فقيراً؟ أنت غني، غنى بلا حدود، غناك لا حدود له، كما هي الطبيعة.

لكنك كنت تنظر بالاتجاه الخاطئ، ولهذا الفرص كانت تفوتك، وهذا لا يعني أنك لن تنجح بحياتك، بل يمكنك النجاح. ولكنك ستظل فاشل، لأن لا شيء سيرضيك في العالم الخارجي، ولا شيء يمكن أن تحصل عليه من العالم الخارجي كما هو العالم الداخلي، لا يمكن المقارنة بين هذا وذاك.. الكنز الحقيقي يوجد هاهنا في الداخل. النور الداخلي، الرحمة الداخلية واللطف الداخلي أيضا.

يمكن معرفة النفس عند التناغم الباطني. في الحالة العادية، فإن كل ما تعرفه عن نفسك تستخلصه من رأي الآخرين بك.. يقولون لك: "أنت جيد" فتعتقد أنك جيد. يقولون: "أنت جميل" فتظن أنك جميل. يقولون: "أنت سيء" أو "أنت بشع".. أي ما يقوله الناس عنك، تستمر في جمعه، ومن ثم يكون ذلك هويتك الخاصة. وهذا بالطبع أمر خاطئ، فلا أحد يمكنه أن يعرفك، أو يعرف من أنت غير أن تعرف نفسك بنفسك. إن الآخرين يعرفون جوانب ما، جوانب صناعية من كيانك.. إنهم يعرفون الأمزجة الفورية التي تعيشها وفق المواقف المختلفة، ولكنهم لا يستطيعون اختراقها، لا يمكنهم الوصول إلى جوهرك. حتى لو كان الآخر هو حبيبك، فلا يستطيع أن يخترق ويصل إلى عمق أعماقك. في ذلك العمق البعيد، أنت وحيد، تعيش وحدة تامة، هناك فقط يمكن للمرء أن يعرف نفسه من يكون.

الناس يعيشون طوال حياتكم يصدقون ما يقوله الآخرون، يعتمدون على آراء الآخرين، ولهذا تجدهم يخافون من آراء بعضهم البعض. فإذا اعتقد أحدهم بأنك سيء، تصبح سيء. وإذا وبخك، تبدأ أنت بتوبيخ نفسك. إذا قالوا إنك مذنب تبدأ تشعر بالذنب. وذلك ليس إلا لأنك مضطر للاعتماد على آرائهم، وما عليك سوى أن تؤكد وتأيّد أفكارهم. وإلا فسيغيرون آرائهم اتجاهك نحو الأسوأ.

[10] Baal-shem/بعل شيم توف (1689-1760): حاخام يهودي صوفي، مؤسس حركة الحاسيديم. (موسوعة ويكبيديا)

مشـــكلة أخرى قد تظهر أمامك.. بينما يســـتمر الكثيرون من الناس بتغذية عقلك بمختلف من الآراء المتناقضـــة –الآراء المتصـــارعة- لذا ســـتجد أن هناك ارتباك ما موجود بداخلك. شـخص يقول بأنك ذكي، وآخر يقل بأنك غبي، كيف سـتقرر هويتك بهذا الموقف؟ لهذا ستجد نفسك مقسوم. سترتاب وتحتار من تكون.. تتأرجح بين المتناقضات والتعقيدات. وهذه التعقيدات كثيرة، لأنك تعيش بين آلاف من الناس.

كل يوم تتواصـــل مع الكثير من الناس، وكل فرد منهم يغذي فكرة ما في عقلك. وليس هناك من يعرفك تماما، حتى أنت لا تعرف نفســـك تماما. فإذن كل هذه الأفكار والصور الذهنية عن نفسك تتقاتل في باطنك.. فتخلق حالة من الجنون. ستجد فيك أصوات عديدة.. كلما ســـألت نفســـك: من أنا؟ فإن العديد من الإجابات تحضـــر أمامك. اجابة ما من أمك، واجابة من أبوك، اجابات عديدة من معلميك.. وهكذا إلى مالا نهاية. من المستحيل أن تقرر أي الاجابات هي الصحيحة، كيف تقرر؟ ما هو المعيار الصحيح؟ وهكذا يضيع الفرد في دوامة الجهل بالذات.

لأنك تعتمد على الآخرين، لهذا تخشى الوحدة.. تخشى أن تصل إلى باطنك. لأن في اللحظة التي تصـل فيها إلى الوحدة الباطنية، سـتبدأ تشـعر بالخوف من فقدان نفسـك –في الحقيقة أنت لا تملك نفســك أســاســا- ولكن أيا كانت "النفس" التي صــنعتها من الآخرين وآراءهم، يجب أن تتركها خلفك. لهذا من المرعب ان تترك كل هذا وتنطلق في الوحدة. كلما تعمقت أكثر كلما قل نصيب معرفتك بنفسك. كلما تعمقت في الوحدة كلما جهلت نفسك. وإن كنت في هذا الدرب، درب معرفة النفس، باتجاه الوحدة، قبل أن تتعرف على نفســـك، قبل أن تصل على الوحدة عليك برمي كل الأفكار عن نفسك، عليك بالتخلي عن كل الصور الذهنية عن نفســك. ســتكون هناك ثغرة، ســيكون هناك نوع من اللاشــيء.. تصــبح أنت اللاشــيء. ســتكون تائه تماما. لأن كل ما كنت تعرفه من قبل يصــبح ســراب، لا يمكنك أن تتقبله. وما يمكن أن يكون حقيقة فلم تعرفه بعد.

المتدينون المسيحيون الحقيقيون يسمونها "ليلة ظلمة الروح"[11] يجب أن يمر بها كل انسـان. وبمجرد تخطيها، يبزغ الفجر، والشـمس تشـرق. ولأول مرة يقف المرء أمام نفسه، أما شـعاع الشـمس، وسيرى أن كل شـيء كافٍ وصـافً ومكتمل. سيسمع تغريد العصافير لأول مرة!

كن حقيقي

الاسـتقامة الحقيقية تعني الاصـالة والثبات، ولا تعني الكذب ولا تعني لبس الأقنعة. مهما كان شكل وجهك الحقيقي.. اظهره مهما بلغت التكلفة.

تذكر، هذا لا يعني أن عليك تعرية الآخرين.. إذا كانوا ســـعيدين بكذبتهم. هم من يـقـرروا طـريـقـهـم ولـيـس أنـت. لا تـقـوم بـخـلـع قـنـاع أي شـــخـص.

[11] The dark night of the soul

فالناس دائما ما يفكرون بهذه الطريقة، يقولون في أنفسهم؛ على هذا الشخص أن يكون صادق وصريح معي. ومن هذا المنطلق يحاولون تعرية الآخرين، ويتساءلون، لماذا تختبئ خلف الأقنعة؟ فأنت لا حاج لك بها.

أقول لك: لا.. أرجوك تذكر كن مستقيم وصادق بنفسك. أنت لست محتاج لأن تعري وتوجه الآخرين. إن استطعت أن تنمي وتحول نفسك نحو الأفضل فهذا يكفي. لا تحاول تشكيل الآخرين كما يجب، ولا تحاول أن تعلمهم أيضا، ولا تحاول أن تغيّرهم. إن تغيرت أنت، فهذا كافي كرسالة موجة للكل.

أن تكون أصيل، هو أن تكون حقيقي وصادق مع نفسك. كيف لك أن تبقى أصيل صادق؟

هناك ثلاثة أمور يجب أن تتذكرها: أولا، لا تلتفت لما يقوله لك الآخرون، كيف يجب أن تكون وكيف جب أن تظهر. اسمع دائما لصوتك الداخلي. وإلا ستكون حياتك هباء منثورا. أمك تريدك أن تصبح مهندس، والدك يريدك طبيب، وأنت تريد أن تكون شاعر، فما العمل؟ بالطبع فكرة أمك سليمة وتفكيرها اقتصادي، أغنى الناس هم المهندسون. والأب أيضا رأيه معقول، أن يكون المرء طبيبا فهذا جيد في المجتمع، وله وزنه في سوق العمل. أما شاعر؟ هل جننت؟ هل أصابك الخبل؟ ألا تعلم أن الشعراء ملعونين، ولا أحد يريدهم، ولا حاجة للمجتمع بهم. يمكن للشعر أن يتواجد بدون شعراء، ولكن لا يمكن للعالم أن يتواجد بدون مهندسين، فالمجتمع يحتاجك ولهذا لك قيمة، وإن لم يحتاجك أحد فإن لا قيمة لك بتاتا.

إن أردت أن تصبح شاعر، قد تكون شحاذا. قد لا تصبح غنيا بسبب الشعر. ولكن في الحالة الأخرى فإنك لو صرت مهندسا فستكون عظيما في المجتمع وستكسب الكثير من المال. ولكن في الحقيقة لن تحصل أبدا على اكتفاء. ستظل مشتاقا متلهف تشتهي أن تكون شاعر.

سمعت عن أحد العلماء العظام، طبيب جراح وقد نال جائزة نوبل، سُئل مرة: عندما تسلمت جائزة نوبل، لم تبد السعادة على محياك فما الأمر؟ أجابهم: "طوال حياتي وأنا أود أن أكون راقص، لم أرد أن أكون جراحا، ولكن الآن لم أصير جراحا فقط، بل جراحا ناجح. وهذا حمل ثقيل علي. كنت أريد أن أكون راقصا فقط.. لازلت راقصا حقيرا غير ناجح بالرقص. هذا ألمي، هذا عذابي. كلما رأيت أحدهم يرقص أشعر بالبؤس، أشعر بسعير جهنم داخلي، فما الذي يمكن عمله في جائزة نوبل؟ لن تتحول الجائزة إلى موهبة رقص لي، لن تعطيني رقصة"[12]

---

12 في أغلب الأحيان ومع الناس البسطاء يستمر هذا الأمر، وقد يحصل مع جميع الناس، فكل فرد وقد تخبط في بداية حياته في أي مجال يدخل في البداية يحب الشعر أو الغناء أو الموسيقى أو الطيران أو التجميل. وهي أمور تلفت نظرنا كصغار، ولكن الظروف تأخذنا في مجال آخر، أو قد نحب المجال الذي نعمل من أجله. في حالة الناس البسطاء، قد تظل رغبة الطفولة تزنّ في قلوبهم وعقولهم. بينما المرء الذكي أو الواعي، يمكنه أن يتحكم برغباته ويحب ما يعمل له ويلغي الرغبات الماضية بإرادته.

تذكر، كن مخلصا وحقيقي لصوتك الداخلي. قد يؤدي بك إلى المخاطر، حينها اطع واذهب للخطر. وابق صادقاً مع الصوت الداخلي. وفي هذه الحالة قد تصل في يوم ما أن ترقص مع رضا وتسليم داخليين.

التفت دائما إلى كيانك، ولا تسمح للآخرين أن يتلاعبوا بك ويسيطروا عليك. وهم كثيرون.. فالكل حاضر وجاهز أن يغيرك، الكل جاهز لكي يعطيك الاتجاه الذي لم تسأل عنه. الكل يقدم لك دليل لحياتك. إنما الدليل موجود فيك، أنت تحمل الخريطة الكاملة.

أن تكون حقيقي أو اصلي، هي أن تكون حقيقي مع نفسك. إنها ظاهرة خطرة جدا. من النادر أن يستطيع المرء ممارسة هذا الأمر. ولكن متى مارستموه فإنكم تحققون وتصلون إلى المستحيل. تحققون شيء ما من الجمال، من الرشاقة، من التناسق، من اللطف والرضا والاطمئنان والسرور.. شعور لا يوصف.

السبب هو أن الكل حانقاً لأن لا أحد استمع لصوته الداخلي. أردت أن تتزوج فتاة، ولكنها كانت محمدية[١٣] وأنت هندوسي براهمي. لم يرض والداك بهذا الزواج. والمجتمع لن يتقبل به لأنه خطر على المجتمع. الفتاة فقيرة وأنت غني، لذا فالزواج من فتاة غنية هندوسية من طبقتك مقبول من الجميع ومقبول من جميع النواحي ولكن ليس من ناحيتك أنت. ولهذا أنت تعيش حياة بشعة، فتذهب للدعارة، ولكن حتى العاهرات لن يساعدوك، فلقد عَهَرتَ بكل حياتك، وأسرفت بحياتك كلها.

استمع دائما لصوتك الداخلي، لا تسمع لأي أحد، فهناك آلاف الوساوس حولك، لأن الكثير من الناس يعرضون بضاعتهم المتجولة عليك، إنه سوق عالمي، والكل يستمتع في بيع بضاعته للآخرين. الكل صار بائع متجول. اغلق عينك واستمع لصوتك الداخلي. هذا هو كل ما عليك.. أن تتأمل، أن تستمع لصوتك الداخلي. هذا أول الطريق.

الأمر الآخر، النقطة الثانية التي أود الحديث عنها، إنها تأتي فقط حينما تخطو الخطوة الأولى وتستمع لصوتك الداخلي، فإن الاستماع لهذا الصوت يجعل الخطوة الثانية حاضرة للتطبيق، وهي ألا تلبس الأقنعة. إذا كنت غاضبا، كن غاضبا. إنها مخاطرة ولكن لا تبتسم لأنها ستكون مزيفة كاذبة تختلف عن حقيقتك. لقد علموك أنه يجب أن تبتسم حتى لو كنت غاضبا. ولكن ابتسامتك ستظل زائفة، إنها فقط حركة على الشفتين ولا شيء آخر. القلب مليء بالغضب بالسم، بينما الشفه تبتسم. بالطبع ستظهر زائفة.

ثم أن هناك أمور أخرى تحدث أيضا، عندما تريد أن تبتسم في وقت الغضب. فإنك تعطل نظامك الميكانيكي في ردة الفعل، فتصبح عديمة الفائدة ومنتهية الصلاحية. فوقت غضبك تبتسم، ووقت كراهيتك تحب.. وعندما تأتي لحظة العشق، فجأة ستجد أن ميكانيّتك لا تعمل. تريد أن تبتسم في لحظة من اللحظات، فإنك ستجبر شفتيك أن تبتسم لكي تبتسم. سيكون قلبك مليء بالفرح، تشعر بغصة في القلب وعبرة في الحنجرة، إلا أن ابتسامتك لا تظهر بسهولة، وإن ظهرت فستكون ابتسامة باهتة ميتة. لن تجعلك سعيد ولم تتسامى معها للأعلى. ولن تكون ابتسامة كشعاع يشع من حولك وينشر الفرح.

---

[١٣] مسلمة.

عندما تريد أن تغضب، اغضب. الغضب ليس خطأ. إذا أردت أن تضحك، إضحك. الضحك ليس خطأ.. لا شيء خاطئ إن ضحكت بصوت عال. شيئا فشيئا ستجد أن كيانك كله عاد ليعمل مرة أخرى. وعندما يعمل بكامله، سيكون له صدى وأثر على من حوله. بالضبط كما يعمل صوت السيارة السليمة، السيارة التي تعمل جميع اجهزتها بتناغم.[١٤]

يمكنك أن تشعر بذلك أيضا، حينما تعمل ميكانيكية شخص ما بكفاءة، ستستشعر برنين حوله. إنه يمشي، ولكن مشيته تبدو كأنها رقصة. يتحدث ولكن كلماته تحمل شعر ما، بها نغم غامض. إنه ينظر لك، ولكن نظرته ليست كالماء البارد، بل كالشمعة الدافئة. عندما يلمسك، تستطيع أن تشعر بالطاقة تسري في جسدك، تردد قوي من الحياة ينتقل إليك. ولك ليس إلا أن ميكانيكيته تعمل بكفاءة.

لا ترتدي الأقنعة. وإلا ستخلق عطل في كيانك، ستتكون انسدادات في ميكانيتك. وطالما أن هناك الكثير من تلك الانسدادات الآن في جسدك. لأن الشخص الذي يكبت غضبه، فإن فكّه يصبح مسدود. كل الغضب يتصاعد نحو حنجرته، ويصل إلى فكه، ويتوقف هناك. يداه تصبحان بشعتان، لا يحتويان على الحركة المنسجمة. ولن ترى جمال وتناسق بهما. وذلك لأن الغضب يصل إلى الأصابع ويقف هناك، وتتوقف الطاقة عن التدفق. تذكر أن للغضب مخرجان لكي يتحرر: أحدهما الأسنان، والآخر هو الأصابع. كل الحيوانات عندما تغضب فإنها تعض بأسنانها. وتبدأ بتقطيع فريستها بأظافر يديها. إذن الأظافر والأسنان هما النقطتان اللتان يتحرر الغضب من خلالهما.

إذا عملت على كبت أي شيء، فإن هناك جزء من الجسد يناظر تلك المشاعر التي عملت على كبتها. إذا لم تستفرغ البكاء، فإن عيناك ستفقد بهائهما ورونقهما، لأن الدموع ضرورية، الدموع ظاهرة حية ومنعشة. عندما تشعر بالنحيب، وتشرع بالبكاء مرة ومرة وأخرى، تبكي بصورة صادقة وتذوب في ذلك البكاء، تصبح أنت البكاء نفسه، تبدأ الدموع تنهمر من عينك، فتنظف الدموع عينك وتصبح منتعشة من جديد، تصبح شابة ونظيفة كالأطفال.

لهذا النساء لديهن عيون أجمل، لأنهن لازلن يستطعن البكاء. إنما الرجال فقدوا جمال عيونهم لأن لديهم فكرة خاطئة حول البكاء، تنص على أن الرجال لا يبكون ولا يجب أن يبكون. إذا بكى طفل صغير مرة، يحاولان الوالدين ايقافه بقولهما: "لماذا تبكي كالفتيات؟" إن ذلك هراء وغباء، كلام ليس له معنى. لأن الله اعطاك –الرجل والمرأة- الغدد الدمعية نفسها. وإن خلق الرجل على أساس أنه لا يجب أن يبكي، فلن يخلقه الله بغدد دمعية. تقدير المسألة بغاية البساطة. فلماذا تتواجد نسبة الغدد الدمعية عند المرأة نفسها عند الرجل؟ لأن العين تحتاج إلى البكاء والنحيب. وهو شيء جميل جدا أن تبكي وتنتحب من أعماق قلبك.[15]

---

[١٤] نتذكر هنا أن الأطفال يعيشون بتناغم، بدون أقنعة.. لأنهم لم يتأثروا بعد بآراء الآخرين، ولم يصبحوا سياسيين ذو أقنعة متغيرة.. ولهذا تجد ضحكتهم تملئ المكان فرح.

[15] في هذه الفقرة، نلتمس القانون أو المعيار الذي يعتمد عليه أوشو، وهو قانون الطبيعة، فكل ما يوجد في الطبيعة هو قانون الله. وهو القانون الحقيقي الذي يمكن من خلاله أن نعرف شريعة الله. بينما المبدأ الذي يقول أن الرجال لا يجب أن يبكوا، فهو مبدأ اجتماعي لا يمت للحقيقي/الطبيعة بصلة. ومن هنا يمكن أن نقيّم كل ما نمر به من أحداث ووقائع ونقاشات، نقيسها بمقياس الطبيعة، القوانين الطبيعية. ولا تتوقع أن جميع الناس يتقبلون هذا الامر (لأنه يعتمد على قانون الطبيعة) فمنهم من يؤمن بأن الطبيعة فيها ما هو خير وما هو شر للإنسان، فالله فطر الإنسان على الخير والشر ليبلوهم أيهم أحسن عملا، فيجب على الإنسان أن يقمع أو يكبت أو يتخلى عن

تذكر، إذا لم تكن قادر على البكاء والنحيب من أعماق قلبك، فلن تستطيع الضحك أيضا من أعماق قلبك. وذلك لأن الضحك والبكاء قطبين متقابلين. إن الناس الذين يستطيعون الضحك، أيضا يستطيعون البكاء. والناس الذين لا يستطيعون البكاء لا يستطيعون الضحك. ربما لاحظت أحيانا أن الأطفال إن ضحكوا عاليا ولمدة ما، يبدؤون بالبكاء بعد الضحك. لأن الاثنان مرتبطان ببعضهما. سمعت مرة أن الأمهات يقولون لأبنائهم: "لا تضحك عاليا وإلا ستبكي لاحقا".. إن ذلك صحيح تماما.. إنه يشرع بالبكاء ما إن تنتقل الطاقة من قطب إلى آخر. كن صريحا مهما كانت التكلفة.

٠٠والشيء الثالث بخصوص الصراحة والأصالة، هو أن تكون دائما حاضر في هذه اللحظة "الآن"، لأن الزيف والأكاذيب والأقنعة تدخل عليك إما من الماضي أو من المستقبل. كل ما مضى قد مضى، لا تهتم به، ولا تحمله كهم أو ثقل أو ذنب؛ لأنك إن حملت الماضي على عاتقك فلن تتصرف بطبيعتك وحقيقتك في الحاضر. كما أن كل ما لم يصل لك بعد، فإنه لم يصل بعد.. لا تقلق ولا تهتم بالمستقبل. وإلا فإن القلق سيسكن معك في حاضرك وفي هذه اللحظة التي تعيشها. كن مخلصا للحاضر، وبعدها ستكون صريحا نقيا. أن تكون حاضرا ها هنا الآن، هي الأصالة الطيبة، لا ماضي ولا مستقبل، وكل ما ستقوله سيكون حق.

الحقيقة ليس مسألة فلسفية منطقية، عندما أقول "حقيقة" لا أعني أنه الاستنتاج الذي تصل له عن طريق المنطق، ولا بالطرق العقلانية. "الحقيقة" أعني بها أصالة الحال الذي تعيشه، جوهر الحال وعمقه. لا تعرض للخارج ما هو ليس بالداخل، لا تتظاهر بما ليس فيك. عبر عما أنت عليه مهما كانت المجازفة، كن ما أنت عليه مهما كانت التكاليف. لا تكن منافق أبدا. إن كنت حزين فأنت حزين. هذه هي حقيقة اللحظة.. لا تخبأها، ولا تضع ابتسامة زائفة على وجهك، لأن هذه الابتسامة الزائفة ستحدث شق، وتناقض فيك. سيصنع هذا الشق منك شخصين اثنين، جزء منك سيكون مبتسما وهذا بالطبع هو الجزء الأصغر. والجزء الآخر وهو الأكبر الذي سيكون حزين دائما. وسيستمر هذا الانفصال مرة وأخرى..

عندما تغضب الآن، فإنك لا تظهر غضبك للآخرين... تحاول أن تحفظ صورتك الجيدة عند الناس، ولا تريد تدميرها أو محو تلك الصورة، فالناس يظنون إنك حنون، وآخرون يقولون بأنك لا تغضب أبدا. إنهم يقدرون ذلك لك، وهو جيد جدا للأنا Ego. وإن عبرت عن غضبك فستدمر تلك الصورة الجميلة عنك. إذن الأفضل من أن تدمر تلك الصورة الجميلة، هو أن تكبت غضبك وتخزنه في داخلك، ولكن ظاهريا أمام الناس، تكون حنون وعطوف وطيب. ومن هنا يبدأ الفصل، والناس أيضا يقومون بهذا الأمر طوال حياتكم. يفصلون باطنهم عن ظاهرهم، ويستمر هذا الشرخ موجود. حتى لو جلس كل فرد في غرفة وحيدا، تختفي الحاجة للتظاهر والنفاق. ولكن المرء يستمر بالتظاهر حتى لو كان وحيدا. ومن هنا تكون قد صنعت طبيعة أخرى جديدة. لم يعد الناس بسيطين وطبيعيين حتى في الحمامات. حتى لو كانوا وحيدون تحت الدوش، لم يعودوا طبيعيين على فطرتهم نقائهم الأولي. ومن هنا لم يعد الأمر في ما اذا كنت حقيقي أم لا، أن تصبح صادق أم لا.

نصفه السيء، لكي يفوز بالاستنارة أو الجنة..إلخ. هناك دراسة سلطت الضوء على القبائل البداية كالهنود الحمر في استراليا، يؤمنون أن النساء تحبلن عن طريق دخول الأرواح في رحمهن عبر السباحة في البحر. وليس عبر التزاوج الجنسي الذي يقومون به. وهذا الإيمان نابع من أساطيرهم الدينية التي جعلتهم لا يعاينون حقيقة الواقع الذي يعيشونه.

وإنما أصبح النفاق جزء من شخصيتك، أصبحت عادة ترافقك طوال حياتك. وكلما تعودت عليها ومارستها، أصبح الشرخ بين باطنك وظاهرك أوسع وأوسع.

عندما لا يلتقي طرفي الكيان فيما بينهما، ولا يعد هناك جسر بينهما، فإننا نسمي ذلك شيزوفرينيا. عندما لا تستطيع التواصل مع النصف الآخر من كيانك، فإنك تخلق شخصين بدل أن تكون شخص متكامل بذاته. ومن هنا ينشأ مرض الشيزوفرينيا، المرض العقلي الحاد. وحتى لو اعدنا النظر ووضعنا شخص عادي وشخص مريض بالشيزوفرينيا، لن نجد فرق كبير، وذلك لأن حتى الشخص العادي بنظرك هو مقسم، وإنما بدرجة أقل من الشيزوفرينيا.

ما أقصده هو أن ليس على المرء التظاهر، فقط كن ما أنت عليه في هذه اللحظة. إن شعرت بالسعادة عبر عن السعادة، إن شعرت بالحزن لا داعي لأن تتظاهر بالسعادة. لقد علمنا المجتمع أن تظل ثابت وتبقى بهذه الحال. إن شعرت بالحزن، وفجأة قد يختفي الحزن للحظة ما بدون سبب، وفجأة ستبدأ بالضحك. إن هذا التصرف لن يفعله إلا الأطفال والمجانين. ولا يتم توقع هذا الأمر من الناس العاديين، لأنهم علموا أن لكل سلوك سبب، فإن كنت حزين، عليك أن تنتظر موقف ما حتى تبدأ بالضحك والابتسامة..[16]

بل الأمر أيضا أعمق من ذلك، ليس فقط أنك تتظاهر بالسعادة عندما تكون حزين، بل حتى لو تريد أن تبتسم، فإنك تتظاهر بالحزن أيضا، وذلك بسبب الفكرة السخيفة التي تقول بان المرء عليه أن يكون متزن ومتماسك في كل لحظة. وهذا هو الخطأ، كل لحظة لها طريقتها الخاص بالتعبير عن نفسها، ولا تحتاج أن تجعل اللحظات متماسكة مع بعضها، الحياة نهر جاري مستمر ومتغير مزاجيته. ولهذا على المرء الا يقلق بشأن الثبات، ألا يهتم كيف يكون متماسك وثابت. إن المرء الذي يهتم كيف سيكون ثابتا فإنه سيعيش كذبة، ولن يعيش الحق. الأكاذيب تبقى ثابته، ولكن الحق دائما متغير، الحق يحتوي على متناقضات، ولهذا تجد الحق غني وضخم وجميل.

إذن، إن شعرت بالحزن كن حزينا، بدون نقد أو كره أو تقييم كونك جيد أو سيء. لا يوجد حاجة لتعرف إن كنت سيء أو جيد. وعندما ينتهي الحزن، عليك أن تتركه يرحل.. عندما تشعر بالفرح ابتسم، ولا تشعر بالذنب لأنك كنت حزينا قبل قليل فكيف لي أن أبتسم الآن؟ لا تنتظر اللحظة المناسبة لكي تبتسم، لا تنتظر أحد ليقول نكتة أو يحطم الثلج أو يرقص حتى تبتسم، لا تنتظر اللحظة المناسبة، لأن هذا يعتبر نفاق. عندما تكون سعيدا كن سعيدا، لا حاجة بك أن تتظاهر بأي شيء.

تذكر أن كل لحظة حقيقة قائمة بذاتها، لا تتصل بالماضي ولا بالمستقبل.. كل لحظة هي بذاتها لحظة عظيمة. إن اللحظات لا تلحق بعضها بتتابع، وليست على خط مستقيم واحد. كل لحظة تجد مكان مناسب لها في الحياة حتى تعبر عن نفسها..

[16] هنا أيضا نجد أوشو يحبذ التلقائية، كالنهر الذي يمشي، فإنه ينهر في أي وقت، لو كان يحتوي على الطين أو لو كان يحمل الخشب، فإنه يستمر بالمشي وبالتعبير عن نفسه. وهذا نظام الطبيعة، أن تشعر بالغضب وقتما تشعر به، وأن تعبر عن الفرح وقتما تشعر به، دون أن تنتظر "سبب" منطقي يدفعك لأن تعيش حال مختلفة عما كنت تعيشه. إن انتظارك لـ"سبب ما" يعني أنك تعتمد على نظام عقلي منطقي وليس على نظام الطبيعة الذي يدعوك بالتغيير والتحويل دون انتظار الأسباب "العقلية" لذلك. إن انتظار "السبب العقلي" يعني أنك تعمل بنظام كما هو الكمبيوتر التي تنتظر أحد ليكبس عليه الزر حتى يؤدي الأوامر، وهذا مخالف لفطرة الإنسان، الذي له إرادة حرة ومزاجية ومخزون من الطاقات المكبوتة الماضية التي قد تطفح على السطح في أي وقت.

وكذلك عليك أن تكون كذلك، أن تعيش هذه اللحظة لا أن تعيش لحظة أخرى.. وهذا في صميم ما نعني به، أن تكون على الحق.

الحق يعني الأصالة، الحق يعني الصدق والأمانة، الحق ليس منطق، إنما هو حالة يعيشها المرء. كما إن الحق ليس مثاليات. لأن المثاليات زائفة. فإذا فكرت أن تكون كبوذا، فلن تكون حقيقي نقي أبدا. ستفترض مثال بوذا على طبيعتك. نعم تستطيع أن تجلس مثل بوذا، تستطيع أن يجلس كالتمثال من الرخام، ولكن في عمق أعماقك لن تكون سوى نفسك، لن تكون مثل بوذا. وهنا تبدأ بتقليده، لن تكون صادق مع نفسك. لأن ما تقلده سيكون موجود في الخارج، وهناك مسافة بينكما وعليك أن تقلده، فتغير حقيقتك الأصلية حتى تجلب حقيقة مزيفة لتمثلها.

الإنسان الحق لايتوجد لديه مثل أعلى، إنما يعيش لحظة بلحظة، يعيش كما يشعر في هذه اللحظة، يحترم مشاعره وعواطفه ومزاجيته، وهذا ما أريده من الناس.. الأصالة، الحقيقة، الصدق والأمانة مع أنفسهم.

استمع لنفسك

استمع دائما لمشاعرك. لا حاجة لأن تنظر حولك. لا يمكنك أن تعرف ما في بال الناس بمجرد النظر إليهم، لأن وجوههم ليست حقيقية، بالضبط كما أن وجهك أنت لا يعكس حقيقتك. ما يظهره شكلهم الخارجي يختلف عما في داخلهم، كما أن مظهرك يختلف عما في باطنك.

هذا هو النفاق في كل المجتمعات، أن المرء لا ينظر ما بداخله، يخبئ وجهه الحقيقي. ويظهر هذا الوجه للشخص الحميم فقط، ولكن من هو هذا الحميم؟ لأن حتى العشاق اليوم لا يظهرون حقيقتهم ويكشفون وجههم الأصلي لبعض. فهم لا يعرفون بعضهم، يثقون ببعض في هذه الدقيقة فقط، وليست في الدقائق الآتية. ومن هنا ينعزل كل منهما عن الآخر، ويصبح كالجزيرة في عرض المحيط.

لا تنظر للآخرين، انظر لنفسك فقط، واترك ما في العمق أن يطفوا على السطح.. مهما كان ما تخاطر به، لا يوجد خطر أعظم من الكبت، إذا قمعت باطنك فسوف تفقد عطر الحياة والشغف فيها. ستفقد كل الحياة إذا استمريت في الكبت، لأنه سيكون بمثابة السم لكيانك كله.

استمع لقلبك، وأي شيء يخطر بقلبك اظهره للخارج، وبعد فترة ستصبح ماهر بالتعبير عما يجول في باطنك، وسوف تستمتع بذلك. بمجرد أن تدرك كيف هي الحقيقة، ستشعر بالسعادة ولن ترضى مجددا لأن تكون خداعا زائفا. نحن نستمر بالزيف ولبس الأقنعة لأننا لم نذق طعم الحق، فمتى ما ذقنا الحق لن نتخلى عنه ابدا. إن الحقيقة قد كبتت منذ نعومة أضفارنا، وقبل ان يصبح الطفل واعيا للحق، علموه أن يكبت،

بطريقة غير واعية، بطريقة ميكانيكية يستمرون ويساعدونه على كبت وقمع نفسه الحقيقية، دون أن يعرف ما هي الحقيقة وكيف تكون.

كن أصيلا لنفسك، لا توجد مسؤولية أخرى غيرها، المرء مسؤول اتجاه كيانه، فأنت جواب لنفسك والله لن يسألك لما لم تكون شخص آخر، بل سيسألك لماذا لم تكون أنت كما أنت.

هناك قصة تحكى عن راهب يهودي من جماعة الحاسيديين[17]، كان اسمه جوزياه Josiah، وكان في حالة احتضار.. سأله أحدهم لماذا لم يكن يصلي لله، حيث كان متأكد بأن موسى سيشهد على ذلك. فأجابه: "سأقول لك شيئا واحداً، الله لن يسألني لماذا أنا لست موسى، سيسألني لماذا أنا لست جوزياه".

هذه هي كل المشكلة، كيف تكون نفسك. وعندما تستطيع أن تكون نفسك فإن جميع المشاكل الأخرى تكون قد حُلت. عندها ستكون الحياة كلغز جميل تحياها، وليست علة أو مشكلة تفكر بها.

ثق بنفسك

الثقة والأيمان بالحق يمكن أن يتحققا إذا وثقت بنفسك أولا. إن الثقة بنفسك هو أمر أساسي وأولي. فإذا وثقت بنفسك تستطيع أن تثق بي، تستطيع أن تثق بالناس وبالوجود. ولكن إن لم تثق بنفسك فلن تثق بأحد أبدا.

المجتمع يدّمر الثقة ويقتلعها من جذوها في المرء. المجتمع لا يسمح للفرد أن يثق بنفسه. إنه يعلمك كل الصور الأخرى للثقة، أن تثق بالوالدين، أن تثق بالكنيسة بالمعبد بالمسجد، أن تثق بالولاية بالله..إلخ. ولكن الثقة الأساسية الأولية، وهي أن يثق المر بنفسه، فإنه يدمرها تماما. وبعدها فإن كل صور الثقة الأخرى ستكون مصطنعة، وتميل لأن تحمل لون من ألوان الغضب في داخلها. ويبقيان الإيمان والثقة بلاستيكيين مثل الورود البلاستيكية، فلا جذور لها حتى تنمو الورود حيث العطور.

المجتمع يدمر الثقة متعمدا، لهدف ما. فالمرء الذي يثق بنفسه يكون خطرا على المجتمع الذي يعتمد على عبودية افراده. المجتمع الذي يستثمر كثيرا بالناس عبر العبودية. فإن الرجل الذي يؤمن ويثق بنفسه، سيكون مستقل. فلا تستطيع أن تستنتج أو تتوقع سلوكياته، سيمضي بطريقه الخاص حيث الحرية والحياة الحقيقية. سيثق فقط عندما يشعر، عندما يحب. عندها ستكون ثقته عظيمة وهائلة. ثقته ستكون مليئة بالحق والحياة. ولكن متى ستكون هذه الثقة هائلة مليئة بالحياة؟ فقط عندما يشعر بها.

---

[17] Hasidim: **الحاسيديم** هي حركه روحانيه اجتماعيه يهودية نشأت في القرن السابع عشر. مؤسس الحسيديه الرئيسي هو رمبم وتلميذه الماجيد من مزريتش، الذي بدوره نشر وعمم هذا في جميع أنحاء شرق أوروبا وتحولها إلى حركه كبيره ومؤسسه. الفكر الحسيدي وخصوصاً في الأجيال الأولى تميزت بالدعوة إلى عبادة الرب وطاعته ومحبة إسرائيل واتباع الصالحين. وفي الأجيال الأخيرة تمتاز الحسيدية بشكل أساسي بوضع مزارات حسيديه مخصصه حول سلالات الحسيديم.

لا أن يخاف ويحسب الأموال ويحلل.. بل يثق عندما يرقص قلبه ويكون جاهز لأن يخاطر في سبيل هذه الثقة. فقط عندما يشعر بها بأنها الحق، فقط عندما يرقص قلبه لها. وإلا فلا تستطيع أن تجبره على أي نوع من الاعتقاد.

المجتمع يعتمد على المعتقد، أسلوبه هو أسلوب التنويم المغناطيسي الأوتوماتيكي. هدفه هو صنع رجال آليين وآلات، ليسوا بشر. المجتمع يقوم على الناس الغير مستقلين، بحيث أن يظلوا دائما يحتاجون أن يكونوا تحت سيطرة لقوة ما، لطاغ ما لأدولف هتلر، لموسليني أو ستالين أو ماوتزو.[18] هذه الأرض الجميلة حولناها إلى سجن كبير، بحيث أن قوة صغيرة بأيدي أشخاص مهوسوون، استطاعوا أن يقللوا من الإنسانية كلها ويحولونها إلى حشد. ولن يبقى المرء بينهم إلا إذا رضية بسخافات ذلك الحشد، المجتمع.

فحينما تطلب من طفل ما أن يؤمن بالله، لن يجد لذلك معنى.. ليس لأن الله ليس موجود، ولكن لأن الطفل بعده طفل، ولم يشعر بهذا العطش الذي يأخذه نحو الله، لم تولد لديه الرغبة بعد. الطفل لا يكون مستعد ليذهب ليبحث عن الحق، أو عن حقيقة الحياة المطلقة. لا يكون الطفل ناضج بذلك العمر حتى يتساءل ويبحث عن حقيقة الوجود. إن علاقة الحب هذه لابد أن تتحقق في يوما ما، ولكنها تحدث فقط إن لم يكن هناك أي معتقد مكروه على الايمان به. إذا تم تعليم الطفل وتلقينه منذ نعومة أظفاره بمعتقدات، لا يحتاج لها في ذلك الوقت، عندها ستكون حياته كلها عبارة عن تقليد اعمى، ويعيش حياة مليئة بالمعتقدات الميتة التي لا تحرك فيه ساكن.

نعم، سيتحدث عن الله لأنهم قالوا له أن الله هو الله. علموه بصورة سلطوية، وقيل له من قبل الناس ذوي السلطة عليه منذ طفولته، كالأبوين والرهبان والمعلمين، قالوا له أن عليه أن يلتزم بذلك المعتقد.. فبدت عليه القضية كقضية موت أو حياة. ولم يكن باستطاعته أن يعترض على والديه، لأن من دونهما لن يستطيع أن يعيش. كان من الخطر عليه أن يقول لا، بل عليه أن يقول نعم. ولكن قبوله هذا واستسلامه ليس صادق به أبدا.

كيف ستكون "النعم" الخاصة بالطفل صادقة وهو يقولها كوسيلة سياسية لكسب رضا الوالدين؟ لم يحولوه إلى شخص متدين بل جعلوه شخص دبلوماسي، جعلوه سياسي. وبهذا تكون قد دمرت نواته التي تجعله صادقا حينما يكبر.. بهذا الطريقة تكون قد سممته، وعطلت ذكائه الفطري.. لأن الذكاء لا يظهر إلى عندما تكون هناك رغبة وشغف للمعرفة.. والآن بعد أن لقن بإجابات جاهزة منذ صغره، فلن يتواجد شغف المعرفة والتساؤل الذي يأخذ روحه في رحلة الحياة، لأن الإجابة قد قدمت له سابقا، غذي قبل أن يجوع، عرف الجواب قبل أن يتساءل. ومن دون وجود الجوع، فإن هذا الطعام الذي أدخل قسراً في معدته لا يمكن هضمه، فلا وجود للجوع حتى يتم هضمه. لهذا الناس يعيشون مثل الأنابيب التي تمرر المواد دون أن تهضمها.

على المرء أن يكون صبورا جدا مع الاطفال، وحذر ويقظ وفطن بألا يقول شيء قد يعرقل فطنتهم وذكائهم من الوصول، ألا يحولهم إلى هندوسي أو مسيحي أو محمدي. الفرد يحتاج إلى صبر غير محدود. ويوما ما ستحدث هذه المعجزة، عندما يبدأ الطفل بالتساؤل.. وحتى عندما يتساءل فلا تزوده بالإجابات الجاهزة المعلبة..

---

[18] Maoze-dongs

فهذه الاجابات الجاهزة لن تفيد أحد، لأنها باهتة وغبية.. عليك فقط أن تساعده في رفع درجة ذكائه بدل أن تجعل ذكائه يتوقف عند حدود اجاباتك المعلبة.. قدم له الطرق والحالات التي تقدم له التحديات، افتح مداركه لكي تعينه على أن يزداد ذكاء وفطنة، ستجده يسأل أسئلة أكثر حدة وعمق.. بحيث أن يخترق السؤال عمق ذاته، ويصبح السؤال كسؤال الحياة والموت..

هذا الأمر غير مسموح به، فالوالدين يخافون والمجتمع يخاف أيضا... فإذا أصبح الأطفال أحرار، فمن يدري؟ قد لا يعودون مرة أخرى إلى حضيرة الوالدين أبدا.. قد لا يعودون إلى مكان تعبدهم، كالكنيسة أو المسجد، قد لا يعودوا ليدخلوا تحت مظلة كاثوليكية او مظلة بروتستانتية أو هذا أو ذاك! من يدري كيف سيكون عليه الوضع وما الذي سيحدث إن صاروا أذكياء بأنفسهم؟ فلن يكونوا تحت سيطرة أحد، وستتعطل سياسات المجتمع في السيطرة عليهم.

لهذا السبب، إن أول شيء يفعله المجتمع ومؤسساته هي أن يحطموا الثقة؛ ثقة الطفل بنفسه، وبالتالي لا اعتماد ولا اطمئنان ولا جرأة يملكها. فهم يجعلونه مهزوز وجبان. وبهذه الحالة يمكن التحكم به. إن كان واثق بنفسه فلا يمكن السيطرة عليه.. بل سيحافظ على نفسه وثباتها، وسيقوم بما تمليه عليه فطرته وذكائه الطبيعي، ولن يفعل ما يرضي الآخرين، بل سيذهب برحلته الخاصة، ولن يفي أو يؤدي رغبات الآخرين، ولن يقلد أحد، فلن يكون مقلداً أبدا.. لن يكون باهت أو جامد كالموتى، بل سيكون مليء بالحياة.

دمر ثقه الطفل بنفسه، وتكون قد أخصيته.. بهذا تكون قد أخذت قوته، وسيكون دائما بلا قوة ولا حول وبحاجة دائما لشخص يهيمن عليه، يوجهه ويأمره. والآن يمكن أن يصير جندي كما يجب، مواطن جيد، مسيحي جيد، محمدي جيد، هندوسي جيد.

نعم، سيصبح مواطن جيد، ومسيحي جيد..إلخ، ولكنه لن يكون فرد حقيقي أصيل. لن يكون لديه جذور، سيبقى بلا جذور طوال حياته، سيعيش من دون جذور، ومعنى أن تعيش بدون جذور هي أن تعيش في بؤس، في جهنم.. بالضبط كما الأشجار التي تحتاج جذور في الأرض، فالإنسان أيضاً شجرة، يحتاج إلى جذور في الوجود، وإلا سيعيش حياة غير مفهومة، عديمة الذكاء.. حياة غبية جاهلة.

في الأمس كنت أقرأ قصة..

> ثلاثة مجرمون، كانوا أصدقاء لوقت طويل، التقوا يوما ما على شاطئ البحر. وبينما هم مستلقون تحت الشمس، بدأوا بالمباهاة والتفاخر، فقال الأول: التقيت صدفة مع رجل فقد رجليه في الحرب، أعطيته قدمان صناعيان، وكانت معجزة، فقد أصبح من أكبر العدائين في العالم، وهناك فرصة له لكي يصبح بطل ويفوز في الأولمبياد القادم.
>
> قال الثاني: هذا شيء نكرة بالنسبة لما حصل معي أنا، لقد التقيت صدفة مع امرأة سقطت من الطابق الثلاثين، كان وجهها قد سحق تماما، وقد خضعت لعمليات عظيمة بالجراحة البلاستيكية. وبالأمس قرأت عنها في الصحيفة أنها أصبحت ملكة جمال العالم.

اللص الثالث كان متواضعا، نظرا إليه صديقاه وسألاه: "ماذا فعلت مؤخرا؟ ما الجديد؟

فأجابهم: لم يحصل لي الكثير، وليس مسموحا لي أن أقول أي شيء عن ذلك..

ازداد فضول صديقاه، وقالوا: ولكننا أصدقاء، نستطيع أن نحتفظ بسرك، لا تقلق، لن ننشر سرك قط.

قال: حسنا إذن، إذا كنتم كذلك، إذا وعدتموني بالكتمان. فقد أوتي إلي برجل قد فقد رأسه بحادث سيارة، كنت قلقا ومحتار بما الذي سأفعله له، هرعت إلى صديقتي، فقط من أجل أن افكر ما الذي يجب أن أفعله، وفجأة وجدت أمامي قرنبيط، ولم أجد شيء آخر، زرعت القرنبيط مكان الرأس.. أتعلمون شيئا؟ لقد أصبح ذلك الرجل رئيس الولايات المتحدة.[19]

بإمكانك أن تدمر الطفل، ويظل باستطاعته أن يكون رئيس الولايات المتحدة. لا توجد ملازمة أن تكون ناجح بدون فطنة ونباهة وذكاء. في الحقيقة، من الصعب أن يكون المرء ناجح حينما يتمتع بالفطنة والذكاء، لأن الشخص الذكي خلاق ومبدع، ودائما يأتي قبل وقته المناسب، ولهذا يحتاج الآخرون وقت لكي يفهمونه.

الشخص الغير ذكي يمكن أن يفهمه الآخرون بسهولة، لأنه يتلاءم ويتأقلم بسهولة مع نازية المجتمع. المجتمع باستطاعته أن ينسج نظريات ويحكم على الأشخاص العاديين، ويقيمونه بأنه ناجح أم غير ناجح.. ولكنهم يحتاجون لسنوات طويله حتى يقيّموا العباقرة.

أنا لا أقول أن الشخص الذي لا يتمتع بذكاء وفطنة لا يمكنه أن يكون ناجحا.. بل سينجح، ويصبح مشهور. ولكنه سيبقى تقليد فقط.. وهذه هي حالة الشقاء والبؤس. فأنت لا تعلم ما البركة والنعمة والسعادة التي تغسلك بها الحياة يوميا وتمطرها عليك.. لن ترى جمال الوجود إذا لم تكن لديك تلك الحساسية لتتعرف عليها، لن يكون بإمكانك أبدا أن ترى المعجزة العظيمة التي تحيط بك، والتي تعبر وتمر عليك ملايين الطرق والصور يوميا، لن تراها أبدا، فمن يدركها سيحتاج إلى قدرة كبيرة جبارة ليفهم، ليشعر، ليدرك بها.

هذا المجتمع موجّه بالسلطة، مبنى على القوة.. المجتمع هذا حازم جدا وبربري. قله من الناس –السياسيون، الرهبان، البروفسورات، المتحكمون بالملايين- المجتمع يتم التحكم به بحيث أن لا يسمح لأي طفل أن يكون فطن وذكي ونبيه. وبالصدفة القليل جدا أن يصل مستنير ما الأرض، بطريقة ما من زمن لآخر، شخص ما يهرب من قبضة وأصفاد المجتمع.. مرة في الدهر يبقى شخص ما غير مسموم بسموم المجتمع.. ولابد أن هذا يحدث بسبب ما، لخطأ ما في المجتمع.. ولو علم المجتمع أمر هذا الطفل فإنه سينجح تماما في تدمير جذوره وثقته بنفسه. وبمجرد أن يحدث هذا لن يكون بإمكانك أن تثق بأي أحد.. بمجرد أنك لا تستطيع أن تحب نفسك.. لن يكون بإمكانك ان تحب أي احد آخر.. هذه حقيقة مؤكدة، ولا توجد استثناءات لهذه القاعدة. تستطيع أن تحب الآخرين فقط إذا أحببت نفسك. ولكن المجتمع يلعن حب النفس، ويسميها أنانية أو نرجسية.

---

[19] يستخدم اوشو النكت لتمرير ما يريد قوله.

نعم، حب النفس يمكن أن يصبح أنانية، ولكن ليس بالضرورة أن يتحول كل حب نفس إلى أنانية. يمكن لحب النفس أن يتحول إلى نرجسية إذا لم يتحرك عن النفس، يمكن أن يتحول إلى نوع من الأنانية إذا اقتصر على حب النفس دون غيرها.. وإلا سيكون حب النفس نقطة بداية لحب الآخرين.

الشخص الذي يحب نفسه عاجلاً او آجلاً سيزدهر الحب حوله.. الشخص الذي يثق بنفسه، لا يمكنه إلا أن يثق بالآخرين، حتى هؤلاء الذين يخدعونه، وحتى الذين خدعوه سابقاً. نعم، لا يستطيع ألا يثق بهم، لأنه يعرف بأن الثقة والإيمان والتصديق أكثر قيمة من أي شيء آخر.

تستطيع أن تخدع شخص ما، ولكن بماذا يمكن أن تخدعه؟ تستطيع أخذ بعض المال أو الممتلكات منه. ولكن الفرد الذي يعرف جمال الثقة بنفسه وبالآخرين، لا يتشوش بأي من هذه الأمور والخداعات الصغيرة. سوف يظل يحبك، ويثق بك. وعندها تحدث المعجزة.. إذا وثق بك شخص بصدق، من المستحيل خداعه.. من المستحيل.

يحدث هذا كل يوم في حياتنا.. طالما إنك تثق بشخص ما، فإنه من الاستحالة أن يغشك، أو يخدعك. كلما زادت ثقتك به، قلت فرصة خداعك. تجلس في محطة القطار وحقائبك بجانبك، تقول للشخص الذي بجانبك: لو سمحت سأذهب لشراء تذكره، راقب حقائبي. ثم تغادر صالة الانتظار وأنت واثق بالغريب. وهل صدف وأن خدعك هذا الغريب الذي وثقت به؟ يمكن أن يخدعك إذا لم تثق به.

الثقة فيها من السحر ما فيها.. والسحر هذا ينبع من داخلك، كيف يخدعك هذا وانت قد وثقت به؟ كيف يتدرك وينحط ويخدعك؟ لن يكون بإمكانه أبدا مسامحة نفسه إذا خدعك.

هناك خامة أساسية في وعي الانسان، وهي أن يثق وأن يوثق به. الكل يستمتع أن يثق به الآخرون، لأن ثقتهم تعبر عن احترامهم له. ويحدث هذا بشكل أكبر إذا وثقت بغريب ما. لأنه لا يوجد سبب لوجود الثقة بالغرباء.. ولكن تستمر الثقة موجودة بينهم. بثقتك لغريب ما، فإنك ترفع درجته عاليا، وقيمته بقيمة غالية جدا. ومن المستحيل له أن يسقط من المستوى العالي الذي وضعته به، وإن سقط من ذلك المقام، فلا يمكنه مسامحة نفسه، وعليه أن يحمل ثقل الذنب طوال حياته.

الإنسان الذي يثق بنفسه يصل لمعرفة جمال ذات الأشياء الأخرى، يصل لمعرفة أنه كلما وثقت بنفسك، كلما تفتحت، وكلما أصبحت بحالة من الراحة والاسترخاء وألا تتعلق بالأمور المزعجة وتقف عنها. وكلما صار المرء متفتح ومستقر وأصيل، كلما أصبح أهدأ، وكذلك يبدأ بالثقة بالآخرين.. يصير أكثر هدوء وهذا الهدوء يتغلغل فيه عميقا إلى داخل كيانه. كلما وثقت بنفسك أكثر كلما حلقت عاليا.. الذي يثق بنفسه يستطيع أن يعرف ما هو الإيمان، ويمكنه أن يثق بالمجهول.

ابدأ بالوثوق بنفسك، هذا درس جوهري ومهم.. ابدأ بحب نفسك، إذا لم تحب نفسك فمن سيحبها؟ ولكن تذكر، إن أحببت نفسك فقط دون غيرها، سيكون هذا الحب شحيح وضعيف.

متدين يهودي عظيم، اسمه هليل[20]، قال: "إن لم يكن المرء لنفسه، فمن سيكون له؟" وأيضا "إذا كنت لنفسك فقط، فما الغاية التي ستثري عمرك أبدا؟".. جميلة تلك العبارات، ولها مغزى عظيم، كررها: أحب نفسك لأنه اذا لم تحبها، لن يكون باستطاعة أي أحد أن يحبك.

لن تستطيع أن تحب شخص يكره نفسه.. وعلى هذه الأرض مسكينة الحال، فإن الكل تقريبا يكره نفسه.. الكل يلعن نفسه.. كيف تحب انسان دائما يوبخ نفسه؟ وإن أحببته فلن يصدقك، لأنه لم يذق طعم الحب مع نفسه.. كيف ستحبه؟ لأنه دائما سيشكك، ويظن في أن هناك خدعة ما ضده، أو مصيدة. يشكك فيك بأنك تحاول خداعه باسم الحب، سيكون دائما حذرا ويقظ.. وشكه هذا سيسمم كيانك أيضا. إذا كنت تحب شخص يكره نفسه، فأنت تحاول تدمير فكرة الكراهية اتجاه نفسه، ولا يوجد أحد يتخلى بسهوله عن صورته الذهنية عن نفسه، لأنها ترسم هويته المزيفة التي اعتاد عليها.. ولهذا ستجده يتعارك معك، وسيثبت لك إنه الصحيح وأنت الخاطئ.

هذا ما يحدث في جميع علاقات الحب.. أو ما يسمى بعلاقات الحب. هذا يحدث بين كل زوج وزوجة، كل حبيب ومحبوب.. كل امرأة ورجل.

إذا دمرت فكرته عن نفسه، فإنك تدمر هويته، تدمر الأنا Ego، تدمر الصورة التي يعرف بها نفسه.. إذا سلبتها منه فلن يعرف نفسه. بالطبع إنها مخاطرة، لأنه لن يتخلى عن صورته الذهنية بسهولة.. وسيحاول أن يثبت لك بأنه لا يستحق الحب، إنما يستحق الكره. وكذلك يحصل الأمر هذا معكأانت أيضا.. فأنت تكره نفسك.. ولن تسمح لأي أحد أن يحبك.. فأي أحد يأتي لك مع حرارة من الحب في قلبه، فإنك تنكمش على نفسك، وتحاول الهرب وتشعر بالخوف.. بهذه السلوكيات، تعرف تماما أنك لا تستحق الحب. ترى نفسك أنك تبدو بمظهر حسن، بشكل لائق، ولكن في عمق أعماقك، تحتفظ بالبشاعة. وإذا سمحت لهذا الشخص أن يحبك، فإنه عاجلا أو آجلا سيعرف من أنت وما هي حقيقتك الباطنية.

كم من الوقت سيكون بإمكانك أن تستمر بالتظاهر ولبس قناع ما، مع شخص يفترض منك أن تعيش معه حالة حب؟ قد تستطيع أن تستمر في لبس القناع هذا في السوق، أو النادي، أن توزع ابتسامات هنا وهناك طوال الوقت، قد تلعب في تلك الأماكن أدوار جميلة وتقوم بأعمال جليلة.. ولكن هل ستستمر في تلك اللعبة مع رجل أو امرأة ستعيش معها طوال اليوم أربعة وعشرين ساعة؟ بل ستشعر بالتعب والضغط المستمر، لن تستطيع أن تستمر بالابتسام طوال اليوم.. ستكون الابتسامة متعبة، ستكون الأقنعة الجميلة متعبة، لأنها مزيفة.. ستحاول أن تحافظ على عضلات وجهك مبتسمة ولكن سترهق تلك العضلات وتتعب.

كيف تستمر بالابتسام طوال اليوم؟ مرارتك وسوداويتك ستظهر للسطح في لحظة من اللحظات، لهذا السبب ينتهي كي شيء مع نهاية شهر العسل، لأن في هذا الشهر يكون الاثنان وقد عرفا بعضهما تماما، وخلعا الاقنعة التي ترهقهما، وكل شيء يظهر للسطح لا محالة.

---

[20] Hillel

كل واحد منا يخاف أن يصبح حميم مع الآخر، أن تكون حميميا يعني أن تضع القناع والدول التي تلعبها جانباً، وتبين حقيقة نفسك. ويدرك كل واحد منا بأنه لا يساوي شيئا، لا قيمة له يحملها في باطنه، بل قذارة فقط.. هذا ما قيل لك والديك ومعلميك والمتدينون حولك والسياسيين جميعهم، أخبروك بأنك عبارة عن قذارة أو حثالة، ولا قيمة لك وحدك، ولن يتقبلك أحد. إذ لم تتلق من قبل مشاعر الحب والقبول والاحترام، ولم تشعر بأهمية وجودك وبأنك ضروري، وبأن الوجود سيفتقدك ويحن إليكن وأنه لن يكون كما هو السابق لو رحلت عنه، بل سيكون الوجود خاليا من المعنى بدونك، وسيفقد جزء كبير من قصيدته تختفي النغمة من أغنيته.. لم يقل أحدهم لك مثل هذا الشيء.

هذا هو عملي هنا: أن أدمر عدم الثقة بنفسك، وأمحي كل اللوم الذي فرض عليك، لآخذه منك بعيدا، وأعطيك شعوراً بأنك محبوب ومحترم من قبل الوجود بكاملك.. الله خلقك لأنه يحبك.. لقد أحبك كثيرا بحيث أنه لم يقاوم فكرة أن يخلقك ويبتدعك!!

عندما يرسم الرسام، فإنه يرسم لأنه يحب.. "فان كوخ"[21] دائما كان يرسم الشمس.. طوال حياته أحب الشمس كثيرا.. في الحقيقة الشمس هي من قادته إلى الجنون. لمدة سنة بكاملها كان يقف دوما أمام الشمس ويرسمها.. كانت الشمس حارة.. حياته كلها تتمحور حول الشمس. يكون راضيا وممتن، عندما يرسم الرسمة التي كان دوما يتمنا أن يرسمها كما يجب.. ولكي يرسم هذه اللوحة كان عليه أن يرسم لوحات أخرى كثيرة، ولكنه لم يرضا عنها.. وفي اليوم الذي رسم رسمة ما حيث رضي وقبل بها، قال في ذلك اليوم: "نعم هذا هو الشيء الذي أريد ان أرسمه". لقد انتحر، حيث قال: "عملي انتهى، لقد حققت الأمر الذي أتيت لأجله.. قدري قد أتم ولا معنى لحياتي هنا"

كل حياته كانت مخصصة لرسمة ما، لابد إنه كان مجنون بحب الشمس، لقد كان يستمر بالنظر إلى الشمس مدة طويلة حتى دمرت الشمس عيناه ونظره، وقادته حرارتها إلى الجنون.

عندما يؤلف شاعر أغنية، يفعل ذلك بسبب حبه للأغنية. الله خلقك، ورسمك، وأغناك، لأنه يحبك.. إن كنت لا ترى أي معنى في كلمة الله، فلا تشعر بالقلق، يمكنك أن تسميه الوجود.. تسميه الكل.. الوجود يحبك، وإلا لمَ أوجدك ها هنا؟

استرخ، لأنك مدلل ومعزز من قبل الكل.. هذا الكل و هذا الوجود بحجمة الكبير يستمر في التنفس من خلالك، أنت نبض له وحياة.. مجرد أن تشعر بهذا الاحترام والحب والثقة العظيمة من الكل اتجاهك، ستبدأ حينها تنمو الجذور في عمق كيانك.. سوف تثق بنفسك.. وحينما تثق بنفسك يمكنك أن تثق بي، وتثق بأصدقائك وأبنائك وزوجتك، ستثق بالأشجار والحيوانات والنجوم والقمر. يعيش الفرد هذه الثقة.. لا يعيش بأسلوب أن يثق بهذا أو ذاك، عندما يعيش الثقة بنفسها وتصبح جزء من كيانه.. أن تثق ببساطة، هي ما نعني نحن بالتدين.

---

[21] Vincent van gogh: (1853-1890)

هذا ما هو عليه الأمر..[22] وكيف تكون حواري، صـــحابي.. هي ألا تعمل كل ما يعمله المجتمع.. فليسـت مصـادفة أن يكون جميع رجال الدين ضـدي، وكذلك السـياسـيين ضدي، والآباء ضدي وكل مؤسسات المجتمع ضدي، إنها ليست مصادفة.. بل أنا أستطيع أن أفهم هذا المنطق.. فأنا أعمل خلاف ما يعملونه معكم.. وألا أكرر ما يعملونه معكم.. وبفعلي هذا أهشم كل نظم مجتمع العبيد هذا.

جهدي هو أن أخلق ثوار، وبداية الثائر هو أن يثق بنفسـه.. إذا اسـتطعت أن أجعلك تثق بنفسك. فلن تحتاج بعد هذا شيء آخر، لأن جميع الأمور المتبقية ستأتي من تلقاء نفسها.

[22] أن تكون سانياس sannyas: وهو مصطلح لحياة التلميذ أو المريد الذي يريد أن يعرج في المقامات الروحية ويصل على درجة من النضج والبلوغ الروحي. وهذه المقامات الأربعة في الهندوسية تسمى بـ أشرام.

الحميمية مع الآخرين هي الخطوة الثانية

عندما يفتح كل عاشق بابه للآخر، عندما لا يخافا من بعضهما البعض ولا يخفيا شيئا عن بعضهما.. هذه هي الحميمية.. عندما يقول كل شيء وأي شيء دون خوف على الآخر بأن يهان أو يتألم من ذلك.. إن كان المتحدث يعتقد أن الآخر سيهان، فإن الحميمية بينهما لا تكون عميقة بشكل كافي بعد. عندها تتواجد صورة من الترتيب والتنظيم العقلي الذي بدوره قد يحطم الحميمية.

ولكن عندما يبدئان العاشقين الشعور بعدم وجود ما يخفيه عن الآخر، وأنه بإمكان كلاهما البوح بكل شيء، بحيث تكون الصلة قد وصلت إلى أعماق كليهما، وهنا سيفهمان بعضهما دون البوح بشيء.. وهنا يكون الالتحام، بحيث يصبح الاثنين واحد.

كن مرئيا للآخرين

الحياة حج، وإن لم تدرك ذلك، ولكنها حج. وإن لم تصل إلى الحب، تبقى الحياة حج. إن لم تصل إلى الحب، فلن تصل إلى أي مكان، بل تستمر بالدوران والحركة.. ولن تأتي لحظة الاكتمال والرضى طالما باستطاعة المرء أن يقول "لقد وصلت إلى هنا، لقد اصبحت ما كان يجب أن أكون، لقد صرت ما كنت أريد ان أكون، إن البذرة اكتملت الآن وقد تفتحت ازهارها..". الحب هو هدف الحياة، والحياة هي رحلة، والرحلة بدون هدف تكون رحلة عبيطة مختلة.. ستكون رحلة بلا اتجاه، فمرة تتجه للشمال ومرة تتجه للجنوب، وستبقى تتلفت يمين وشمال، وأي أمر قد يسوقك شمالا أو جنوبا.. ستكون كما هي خشبة على الماء، تتجه أينما توجه الموج.. ولكن إن كان هدفك واضح، فالاتجاه والطريق سيكون واضح. ستركز عينك على الهدف، وحينها ستكون رحلة الألف ميل ليست طويلة، خاصة إن كنت تتحرك في الاتجاه الصحيح، عندها لن تكون رحلتك بتلك الصعوبة مهما بلغت مسافتها. ولكن إن كنت تتحرك بالاتجاه الخاطئ أو أنك تكون ثابت ولا تتحرك بأي اتجاه على الاطلاق أو أنك تتحرك بكل الاتجاهات، عندها ستبدأ الحياة بالانهيار. وهذا هو مرض الأعصاب، انهيار وتحطم للقوى، ولا تعرف أين تذهب وماذا تفعل.. مرض الانهيار العصبي يخلق فجوة في داخلك، جرح أو شق، خوف ثابت متكرر دائما يتصاعد في داخلك. لهذا تجد الناس خائفين يرتجفون، ربما يخبئون هذا الخوف أو يغطونه كي لا يراه أحد، ولكنهم سيستمرون يعيشون بالخوف. لهذا تجدهم يخشون أن يلتحموا ويصبحوا حميميين مع أحد ما.. لأن الآخر سيعرف هذه الفجوة وهذا الخوف إن سمحت له بالاقتراب منك.

كلمة intimacy (الحميمية) تأتي من جذور لاتينية، والتي تعني باطنك العميق، أو صميم داخلك. إن لم يكن لديك شيء في باطنك، فلن يكون بإمكانك أن تكون حميمي مع أي أحد، ولن تسمح بالحميمية أن تقترب منك، لأنهم سوف يرون الثغرة الباطنية والخواء

والجرح الباطني فيك. سيدركون أنك لا تعرف من أنت، رجل بلا اتجاه كالمجنون الذي لا يعرف أين اتجاهه، أين هو ذاهب.. ومن هنا ستكون حياتك فوضى، وتختفي الأغنية الكونية منها.. هذا هو سبب الخوف من الحميمية.

حتى العاشقين، فإنهم نادرا ما يكونون حميميين مع بعضهما البعض! إنهم يمارسان فقط الاتصال الجنسي وليس الحميمية.. والجنس هو أمر سطحي للحب الحقيقي. كما يمكن للحميمية أن تكون في الجنس أو في غير الجنس. الحميمية هي بُعد آخر كليا. إنها تعني السماح للآخر بأن يدخل فيك، وأن يراك كما ترى نفسك بنفسك.. أن تسمح للآخر بأن يراك من الداخل.. الحميمية هي دعوة الآخر ليصل إلى أعمق لب ونواه في كيانك.. في عالمنا المعاصر، أخذت الحميمية تختفي شيئا فشيئا.. حتى العشاق ليسوا حميميين. وحتى الصداقة أصبحت مجرد كلمة.. ما هو السبب؟ السبب هو أنه لا يوجد لديك ما تشارك به، ليس لديك ما تتشارك به مع الآخرين.. فمن يا ترى يسمح للآخرين بأن يرى خواءه الداخلي؟ الواحد منا يحاول التظاهر بالغنى ويكرر أمام الآخرين: "أنا غني، أنا وصلت إلى مبتغاي، أعرف ما الذي أفعله.. أعرف اتجاهي في الحياة".

المرء الآن ليس مستعد أو شجاع بما فيه الكفاية ليفتح نفسه ويري فوضته الباطنية وضعفه وخواءه للآخرين. لأن لو أدرك الآخر ضعفك الباطني لاستطاع أن يتلاعب بك، وهنا يكون مصدر الخوف من الحميمية. يصبح الآخر مهيمن جدا حينما يرى فوضتك.. كما إنك دائما ما تبحث عن سيد ما أو قائد أو مرشد، لأنك لست سيدا بعد على كيانك، ولها يمكن للآخر أن يلعب هذا الدور ويصبح سيدك.. لهذا الكل يحاول حماية نفسه لكي لا يعرف أحد عجزه الباطني، لكي لا يتلاعب به العالم.. وهذا العالم مليء باللاعبين.

الحب هو الهدف.. وبمجرد أن يكون الهدف واضح، يبدأ نموك وغناك الداخلي.. يختفي الجرح ويصبح زهرة اللوتس.. يتحول الجرد إلى زهرة لوتس.. هذه هي معجزة الحب.. سحر الحب.. الحب هو أعظم تركيبة كيميائية في العالم. هؤلاء الذين يعرفون كيف يستخدمون الحب، يمكن أن يصلوا إلى أعلى قمة في الوجود، تلك القمة تسمى بـ الله. هؤلاء الذين لا يعرفون استخدام الحب، يبقون زاحفين في تجاويف مظلمة.. ولن يصلوا إلى جبال مضاءة قممها بنور الشمس والحياة.

الحاجة إلى الخصوصية

الكيان له وجهان، الأول الذي هو معك والثاني الذي هو من دونك.. الوجه الذي يكون دائما معك هو الكيان الباطني.. أما الوجه الذي يكون من دونك فهو الكيان الخارجي. إذا جعلت الوجه الباطني فيك مشاع أمام الآخرين، فسوف تفقد روحك، سوف تفقد وجهك الأصلي.. عندها ستعيش كمن لا يملك كيان باطني.. والحياة ستصبح متعبة، عقيمة، عبث بلا هدف أو طائل.. يحدث هذا للناس الذين يقودون حياة العامة، كالسياسيون وممثلو الأفلام.. كيانهم الداخلي في متناول أيدي العامة.. فإنهم يفقدون كيانهم الداخلي تماما، ولا يعرفون من هم.. بل يعرفون أنفسهم من خلال ما يقوله الآخرون والجمهور عنهم.. إنهم يعتمدون على آراء الآخرين.. وليس لديهم حس عما يكون عليه وجههم الباطني الأصلي.

واحده من أبرز الممثلات، هي مارلين مونرو[23] انتحرت، والمحللون النفسيون أطالوا كثيرا في البحث عن السبب.. لماذا انتحرت؟ لقد كانت واحدة من أجمل النساء، وواحدة من أنجحهن. حتى أن رئيس الولايات المتحدة جون كينيدي كان واقعاً بحبها، والملايين من الناس أحبوها.. الواحد لا يمكن أن يفكر لأن يحصل على شيء أكثر منها. لقد كانت تملك كل شيء.

لكنها كانت مادة يتداولها عامة الناس، كيانها الداخلي في متناول الجمهور.. وهي كانت تعلم بذلك. حتى في غرفة الحب مع الرئيس كينيدي، والتي كانت تسميه بـ"السيد الرئيس" وكأن المرء لا يقيم علاقة مع شخص ما بل مع مؤسسة بكاملها.. نعم كانت مارلين كالمؤسسة أو المؤتمر الذي يتداول أخباره الناس.. مؤتمر لا يمكن أن يكون فيه أمر مخفي.. شيئا فشيئا أصبحت واعية بما يجري.. فلا شيء من الخصوصية في حياتها. وفي مرة من المرات، وقفت أمام عدسة الكاميرا عارية لطباعة روزنامة إباحية. وقد سألها أحدهم: "هل كنت تضعين أي شيء خلال وقوفك للروزنامة؟"

أجابت: "نعم، كان هناك شيء ما.. الراديو"

مكشوفة عارية، لا شيء خاص لها.. لقد انتحرت، فهو الشيء الوحيد الذي كانت تستطيع القيام به بخصوصية.. كان من الممكن أن تقوم به وحدها، لم تستطع ذلك.. فكل شيء كان معلن ومشاع. لقد كان الانتحار الأمر الوحيد الذي من الممكن أن تقوم به بنفسها وحدها.. وتشعر بنوع من الحميمية والسرية مع ذاتها.

إن النماذج المشهورة كان دائما لها ميل للانتحار.. لأن عبر الانتحار يمكن لهم الحصول على شعاع من نور، يخبرهم بمن هم حقيقة.

كل ما هو جميل باطني.. باطني يعني خاص.. هل رأيت امرأة تمارس الحب؟ دائما ما يغلقون أعينهم.. إنهم يعرفون هذا تماما، فالرجل يمارس الحب بعيون مفتوحة، يبقى شاهدا منفصلا عن الحدث. إنه لم يندمج كليا مع الحدث بل يبقى منعزلا قليلا وبعيدا عنه.. ولهذا يبقى مراقباً، وكأن شخص آخر يمارس الحب عنه، بينما هو يشاهد كما لو أن الحدث هذا على التلفاز. ولكن المرأة فهي تتناغم مع باطنها، فتغلق عينيها لكي تشتم عطر الحب وشذى باطني ما.

جرب هذا الأمر مرة، عندما يحل الليل، افتح صنبور الماء ودعه يتساقط، وبعدها اطفئ أنوار الغرفة للحظات، ثم أعد تشغيل النور.. ستلاحظ بأن صوت الماء أصبح أكثر وضوحا أثناء الظلام، ولكن ستخف حدة الصوت عندما يكون الضوء مفتوح. فما الذي يحدث في الظلام؟

في الظلام، لا تستطيع أن ترى جيدا.. فكل شيء يختفي حولك، وتبقى أنت والصوت. ولهذا تجد أن كل المطاعم المشهورة إضائتها خافتة، ويضعون الشموع، ويتجنبون الأضواء الساطعة.. حيثما يكون المطعم منار بضوء خافت أو بضوء الشموع،

[23] Marilyn Monroe: (1926-1962)

يكون التذوق أعمق، وتأكل جيدا وتتذوق جيدا.. وشـــذى الطعام يحيط بك.. وإن كانت انارة المطعم ساطعة، فإن المرء سيتشتت ولن يركز على تذوق الطعام.

في أول جمله قالها أرســـطو في كتابه الميتافيزيقيا، قال: إن النظر أعلى حاســـة للإنسـان. في الحقيقة ليس كذلك، إن النظر أصـبح مهيمنا جدا، بحيث أنه احتكر النفس كلها ودمر الحواس الأخرى وأخذ مكانهم.. إن أفلاطون، وهو معلم أرســـطو يقول أن هناك ترتيب هرمي في الحواس، النظر في القمة، واللمس في القاع.. ولكنه مخطئ تماما، فلا يوجد ترتيب هرمي للحواس، كل الحواس في المستوى نفسه، وليس هناك أي ترتيب لها. ولكنك تعيش عبر العينين، بنســـبة ٨٠% من حياتك كلها، حيث تدور وتتمحور حول العين طوال الوقت، وهذا ما لا يجب أن يحدث.. يجب اعادة بناء التوازن.. يجب أيضا أن تلمس.. لأن اللمس فيه شـــيء حيث العين لا تعطيك.. حاول أن تلمس المرأة التي تحب أو الرجل الذي تحبين في ضوء ساطع، ثم أعد الكرة في الظلام.. ستجد أن في الظلام يكشف الجسد نفسه أكثر، وفي الضوء الساطع يختبئ.

هل رأيت رسـومات "رينوار"[24] لأجسـد النسـاء؟ في اجسـادهن معجزة ما.. الكثير من الرسامين رسموا الجسد النسوي، ولكن لا يوجد مقارنة بينهم وبين رينوار.. ما الفرق؟ كل الرسامين رسموا الجسد كما تراه العين.. أما رينوار رسم الجسد كما تحسه اليدين.. لهذا تجد لوحاته فيها من الدفء والقرب كما لو كن النساء حقيقة أمامك.

عندما تلمس شـيئا، فإنه يصـبح قريبا منك. عندما ترى شـيئا بعيدا في الظلام، في الخصـوصـية والسرية، فإن شيئا ما يتكشّـف، لا يمكن أن يتضـح ذلك فيه عندما تراه تحت الضـوء أو في الأماكن العامة. لو نظر الآخرون إلى ما عندك في الباطن، فإن ما تحمله في الباطن يتقلص وينكمش، ولا يمكن أن يزهر.. كما لو إنك تضـع البذور في التربة للزراعة، وتبقى تلك التربة مفتوحة والكل باســـتطاعته أن يرى البذور تلك! لن تبرعم تلك الحبوب أبدا.. تحتاج تلك البذور أن ترمى بعمق، عمق الأرض، في ظلام الأرض الدامس حيث لا يصــــلها أحد ولا يراها. في ذلك الظلام العميق تكون جذور الأزهار، هناك تكمن بذرة الشجرة العالية.

عاشـقان اثنان متناغمان يذوبان في بعضـهما، ولا يبقى منهما شـيء، بل يصـبحان واحد.. عبر الاتحاد الانسـجام والذوبان.. ولا يمكن أن يحدث ذلك إذا كان هناك من يراقبهم او يشاهدهم من بعيد.. لا يمكن أن يطلقوا العنان لأنفسهم لكي يذوب كل منهما في الآخر إذا كان هناك شخص ما ثالث يراقبهما.. إن عيون الآخرين بذاتها تتحول لحاجز مانع. ذلك لأن كل ما هو جميل، كل ما هو عميق يحدث في الظلام الدامس.

الخصـوصـية ضـرورية جدا في العلاقات الإنسـانية.. ولهذه السـرية سـبب لكي تتواجد.. تذكر ذلك، ودائما تذكر ذلك.. ســتتصــرف بحماقة في حياتك إذا لم تكل لديك خصوصية.. ستبدو كما لو أخرجت بطن جيوبك للخارج.. كل ثرواتك ستسقط في الشارع ولن تلاحظهـا. ليس هنـاك خطـأ في أن تكون اجتمـاعي تتواصــل مع النـاس.. لـكـن تـذكـر إن هـذه الـحـيـاة الـخـارجـيـة جـزء مـن الـحـيـاة الـكـلـيـة..

[24] Pierre-Augustine Renoir

وليس من المعقول أن تصبح حياتك الاجتماعية الخارجية كل حياتك الكلية.. بل حافظ على أن تكون فقط جزء بسيط من حياتك الكلية.

لا أقصد في أن تمارس تنقلاتك في الظلام.. لأن النور له جماله وله سبب لكي يتواجد.. إذا بقيت البذور في الظلام للأبد، ولن تصل إلى النور لتحصل على شمس الصباح، فإن تلك البذور ستكون ميتة.. عليها أن تبقى في الظلام لتبرعم، لتجمع القوى حتى تخرج للنور، لتصبح مليئة بالحياة، لتولد من جديد، وبعد أن تصبح جاهزة تخرج للنور وتتواجد أمام العالم وتتنفس الهواء تحت نور الشمس وتواجه الرياح والمطر.. على البذرة أن تقبل التحدي الخارجي، ولا يمكن أن تقبل التحدي الخارجي إلا إذا كانت لها جذور ضاربة في أعماق ظلام الأرض.. بقوة.

أنا لا أعني أن تهرب من النور، ولا أعني حتى أن تغمض عينك وتغوص في أعماقك ولا تخرج أبدا.. بل أعني أن تبقى في الداخل في الظلام في السر حتى تستخرج طاقتك الكامنة بحب وبرحمة ومودة.. قم برحلتك الداخلية واستغنى بثرواتك.. تعرف عليها تمتع بها.. حتى إذا خرجت للنور لن تكون متسولا.. ولكن ستخرج ملك. غص داخل نفسك واعرفها.. لكي تخرج للعالم ويكون لديك ما تشارك به وتثري به الحياة حتى تكون أجمل. حج إلى باطن أعماقك، ستصبح أغنى وأغنى.. وتذكر دائما، إذا ما شعرت بأنك مرهق، خائر القوى ضعيف، ادخل إلى باطنك، لأنه مصدر قوي للطاقة الموجودة فيك.. أغمض عينك وارحل إلى الداخل.. ارحل إلى العمق.

كوّن علاقات خارجية، وكوّن علاقات داخلية أيضا.. طبعا سيكون لديك الكثير من العلاقات الخارجية طالما أنك تتنقل وتتحرك تحت نور الشمس، سيكون لديك حتما علاقات عمل، ولكن ليس من الجيد أن تكون جميع العلاقات في حياتك علاقات عمل.. دع علاقات العمل تأخذ مجراها الطبيعي بمساحة محدودة في حياتك، ولكن لابد أن يكون لك ما هو خاص، بحيث يمكن لك أن تجد نفسك الحقيقية في تلك العلاقات.

هذا هو ما افتقدته مارلين مونرو. كانت امرأة مشهورة وحياتها معلنة عنها على كل لسان.. شخصية عامة.. شخصية ناجحة، ولكن في حقيقتها فاشلة تماما. وبينما هي في قمة نجاحها، قامت بالانتحار.. لماذا انتحرت؟ لا أحد يعرف، بقيت مسألة انتحارها كاللغز.. لأنها كانت تملك كل شيء لتعيش من أجله.. لا يمكنك الحصول على شهرة أكثر من ذلك ونجاح أكثر من ذلك وكاريزما وجمال وصحة أكثر من ذلك.. لقد توفر لها كل شيء.. ولا يمكن للأمور أن تصبح أفضل مما كانت عليه.. ولكن بقي شيء ما مفقود.. باطنها كان خاليا، خاويا.. ولهذا كان الانتحار هو الطريق الوحيد.

قد لا تكون جريء كفاية لكي تنتحر كما انتحرت مارلين مونرو! قد تكون جبان فتنتحر ببطء.. قد تطول مدة انتحارك إلى أكثر من سبعين عام.. ولكن الانتحار هو الانتحار سريعا أم بطيئا. إذا لم يتوفر لديك ما يجعلك مسرورا داخليا، فلا يمكنك الاعتماد على شيء خارجي. ولهذا السبب تنتحر ببطء.[٢٥]

[٢٥] يشير هنا أنك لو لم تنتحر بسرعة فإنك تنتحر ببطء، إن لم تعش كما يجب! حيث دائما يشير إلى أن الناس أموات ينتظرون يوم الدفن.

الحياة تشرق من هذا المصدر الداخلي، ثم تشع حياتك في السماء.. لابد أن يكون هناك توازن.. أنا دائما أشجع على التوازن.. فإذن لا أدفعك لكي تكون كتابا مفتوحا.. يمكنك أن تفتح للآخرين صفحات معدودة فقط. وليس الكتاب كله.. لو فتحت كتاب حياتك كله فستكون عاهرة، ستكون كمن يقف في السوق عاريا، وفقط سيكون بجانبك "جهاز مذياع".. كما دار الحديث مرة مع مارلين مونرو:

أحدهم سألها: هل كان معك أي شيء بينما كنت عارية للتصوير للروزنامة؟

أجابت مارلين: نعم، كان معي شيء ما.. المذياع.

إذا كان كتابك مفتوح، ستكون نهار من دون ليل، كما الصيف دائما بدون شتاء.. فأين سترتاح، وأين سيكون ملجئك.. وأين ستتوجه حينما يكون العالم كحمل ثقيل لا يحتمل؟ أين ستذهب لتصلي وتتأمل؟ حافظ على الأمور في الوسط.. اترك نصف كتابك مفتوح للجميع، في متناول الكل، واجعل النصف الآخر من الكتاب سري جدا بحيث ألا تسمح إلا للقليل من الضيوف بقراءته.

لا تدع أي شخص يدخل ليتجول في معبدك إلا نادرا. هذه هي الحالة التي يجب أن تكون. إذا كان يسمح للحشد كله بالدخول والتجوال، فعندها لن يكون المعبد معبدا.. قد يصبح غرفة انتظار في المطار.. ولكن لا يمكن أن يكون معبد.. لا تدع أحد يدخل معبدك إلا نادرا.. وهذا هو الحب.

نحن نعيش دائما مع الآخرين.. منذ أن يترك الطفل رحم الأم، لا يترك وحيدا أبدا.. بل يمضي حياته مع الأم والعائلة.. مع الأصدقاء والزملاء.. وتنموا العلاقات والصداقات أكثر وأكثر.. ويزداد الحشد حول الشخص.. هذا ما نسميه الحياة. وكلما زاد عدد الناس حولك كلما اعتقدت أن لديك حياة غنية..

عندما تبدأ بالدخول والتجوال في باطنك، فإن كل تلك الوجوه تبهت وتذهب بعيدا.. كل هذا الحشد يختفي، وعليك أن تودع الكل وتقول لهم "مع السلامة".. حتى لأقرب الأصدقاء والأحباب، عليك أن تقول: مع السلامة... بلحظة ما، حتى أقرب صديق لا يمكن أن يكون معك.. هذه هي اللحظة حيث تدخل مرة أخرى فضاء آخر، كما كنت في السابق في رحم الأم. ولكن حينما كنت في رحم الأم لم تعرف شيء عن الصحبة والجماهير، لذا لم تشعر بالوحدة.. بل يكون الطفل سعيد عندما كان في رحم الأم، لأنه لم يكن هناك مقارنة مع أقرانه، بل كان وحيدا يشعر بالمتعة.. لأنه لم يعرف الأقران والأصحاب.. لهذا لا يشعر بالوحدة.. بل كان رحم الأم هو الواقع الذي يعرفه ولا يعرف غيره.

لكنك الآن تمضي حياتك مع الحشود، والعلاقات، تعيش الفرح والحزن في العلاقات الاجتماعية.. إن التوجه مرة أخرى للداخل.. يبعدك عن العالم الخارجي هذا ويبدأ بالاختفاء تدريجيا.. يصبح كالصدى.. بل حتى الصدى يختفي رويدا رويدا.. ويصبح المرء ضائعا تماما. ولكن هذا ظاهر الأمر، إنما لو يدخل المرء أكثر نحو الباطن فإنه سيجد نفسه فجأة.. للمرة الأولى سيجد نفسه.. وعندها سيندهش.. لأنه سيعرف إنه كان ضائعا في الحشد.. والأن يعرف نفسه بعيدا عن الحشد، ويعرف إنه لن يضيع أبدا بعدها..

كان ضـائع في الأدغال، العلاقات الاجتماعية.. والآن فهو قد وصـل إلى المنزل.. وفي هذه اللحظة يمكنه أن يعود إلى العالم الخارجي ولكنه سيكون شخص آخر مختلف كليا.

بالطبع سـترتبط بأحد.. ولكن لن تعتمد عليه.. بالطبع سـوف تحب أحد، ولكن حبك لن يكون حاجة.. سـوف تحب أحد ولكنك لن تتملكه.. سـوف تحب ولكن لن تكون غيوراً.. وعندها سـيكون الحب دون غيره دون تملّك.. بل يكون حب قدسـي إلهي. وبعد أن عرفت نفسك الحقيقية، يمكنك أن تقضي الوقت مع الناس.

إن الفكرة كلها أن تكتشـف أين هو الوهم وأين الحقيقة.. الحقيقة في باطنك عليك أن تعرفها، ومن ثم يمكنك أن تعيش مع حلم العلاقات الاجتماعية بأمان.

إذا لم تعرف من أنت ولم تكن على حقيقتك الباطنية، كيف لك أن ترتبط بشـخص آخر؟ إن لم تكن على حقيقتك أنت، كيف لك أن تكون مع الآخرين؟ إن هويتنا أمام الآخرين، نحن نخلقها بأنفسنا.. إنها ضلال وخدعة.

إن لم يصـل المرء إلى مركز أعماقه، إن لم يعرف من يكون، لا يمكنه أن يرتبط بالآخرين.. العلاقة التي تسـتمر من دون معرفة النفس هي علاقة وهم فقط. إن الآخر يعتقد أنه على علاقة بك، وأنت تظن بأنه مرتبط به.. لا أنت تعرف من أنت ولا هو يعرف من هو.. إذن من الذي يرتبط بمن؟ بل تظل علاقتكما بين ظلك وظل الطرف الآخر.. لا وجود لجوهركما الداخلي النفيس. وهذا ما أشـاهده باستمرار: الناس ترتبط مع بعضـها البعض، ولكن لا شـيء جوهري بينهم.. إنهم يرتبطون مع بعضـهما البعض لأنهم يخافون أن يكونوا أحرار.. ولهذا عليهم أن يقوموا بهذا الارتباط.. وإلا فإنهم سـيكونون وحيدين ويشـعرون بالضـياع.. لذا دائما ما يبحثون عن الارتباط بالآخر. وأن يقيموا علاقات.. أي نوع من العلاقات، أفضل من لا شيء لهم. على الأقل يبقى المرء مشغول بشي ما.. وفي الحقيقة فإن حبكم وعلاقاتكم العاطفية ليسـت سـوى نوع من العدوانية.. طريقة مؤدبة للعراك والنضـال والأنين، وتكرار الأمور لحد الملل، والهيمنة على الآخر! إن العلاقات العاطفية هي طريقة متحضرة في تعذيب الآخر!

لذا عليك الولوج في هذا الفضاء في تلك المساحة، استجمع شجاعتك لتصل لما في العمق.. قد يعطيك شـعور بالحزن والوحدة.. ولكن لا يوجد ما تقلق بشـأنه، لأن هذا ما علينا أن نغوص به جميعا.. وبمجرد أن نصـل إلى مصـدر تلك الأمور، فإن كل شـيء سـيتغير كليا.. وسـتخرج من باطنك شـخص مميز جدا، هذا ما يتوجب أن ندفع ثمنه، شـئنا أم أبينا.. علينـا أن نلوج بوعينا وباختيـارنـا إلى بواطننا قبل أن نكون مجبرين على الولوج داخلا بشكل لا واعي.[26]

---

[26] وفي القرآن يقول الله ((وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون)) (البقرة ٧٢).. هو عن طريق الواقع الذي يكشف لنا حقيقة أمرنا لنا ليكون حجة علينا. وكذلك أشار اوشو في وقت آخر أن التطور فطرة الكون، فلو أن الإنسان لم يغوص إلى أعماقه بإرادته، فإن الحياة ستدفعه لذلك، حتى تحافظ على قانون التطور والتحول.

www.baytalsafa.com

هذا هو الفرق الذي دائما ما أميز به بين الشخص، والفرد.. الشخصية هي ظاهرة زائفة متأثرة بالآخرين.. إنما الفرد فهو حقيقة مميزة عن الآخرين.. الشخصيات هي الأقنعة والظلال.. إنما الفردية فهي الجوهر والأساس الخلاقة والصفوة.. ويمكن للأفراد الارتباط بالآخرين فعلا.. يستطيعوا أن يعيشوا. إنما الشخوص او الأشخاص المختلفين يستطيعوا فقط أن يقوموا بالألعاب ويؤدوا أدوار.[27]

الوصال، يختلف عن العلاقة

الحب هو حالة وعي المرء عندما يشعر بالفرح. عندما تشعر بأن كيانك يرقص، يهتز من الداخل ويرتعش، فإن هذا الاهتزاز يطفوا على السطح كالنبض من حولك.. ويصل إلى الناس، يمكن لهذا النبض أن يصل إلى النساء وإلى الرجال، ويمكن أن يصل إلى الصخور والأشجار والنجوم.

عندما أتحدث عن الحب، فإنني أتحدث عن هذا الحب.. الحب الذي لا يسمى بـــ"العلاقة" وإنما هو حالة وجود.. دائما تذكر هذه الحالة عندما أستخدم كلمة حب.. إنني أستخدمها للتعبير عن حالة وجودية، وليست علاقة اجتماعية. العلاقة العاطفية هي نظرة ضيقة للحب.. وفكرتك عن الحب بأن أساس الحب هو العلاقة.. هي نظرة ضيقة جدا عن الحب الحقيقي.

العلاقة ضرورية فقط عندما لا تستطيع أن تكون بمفردك.. لأنك غير قادر حتى الآن على التأمل. والتأمل هو واجب عليك ممارسته حتى تستطيع فعلا أن تحب. يجب أن يمتلك الفرد القدرة كي يكون وحده.. لوحده تماما، وعليه أن يستمتع بهذه الحالة أيضا. وعندها يمكن أن يحب. عندها لن يكون حبك حاجة لعلاقة وإنما يكون من باب المشاركة. لن تكون معتمد على من تحب.. بل ستشارك من تحب الحياة.. هذه هي المشاركة الطيبة.

ولكن ما يحدث عادة هو أن كلا الطرفين لا يحمل الحب في قلبه؛ لا أنت تحمل الحب ولا الشخص الذي تظن بأنك تحبه يحمل الحب في قلبه.. والكل يطلب الحب من الطرف الآخر.. كلاكما متسولان، شحاذان تطلبان الحب وتتسولان من بعضكما.. ولهذا يحدث الصراع والعراك والجدال المستمر بين العشاق.. ودائما ما يكون على سخافات، على أشياء لا جوهر لها، على أشياء غبية.. يعرفان ذلك ويستمرون في الجدال.

الجدل الأساسي هو أن الزوج يعتقد بأنه لا يحصل على ما هو حق له كفاية. والزوجة تعتقد بأنها لا تحصل على ما هو حق لها كفاية. تعتقد الزوجة بأنها مخدوعة، ويعتقد الزوج بأنه مخدوع.. أين يكمن الحب في ذلك؟ لا أحد يأبه أن يعطي،

[27] يمكن أن نتفق على أن الفردية هي حقيقة المرء، وأن الشخصية هي القناع، فلو مثلنا الحياة كمسرحية، فإن الفردية هي حقيقة الممثل التي لا تتغير، إنما الشخصيات فهي الأقنعة والأدوار التي يلعبها الممثل في المسرحية.. الشخصيات مصطنعة، خيالية، زائفة.. الفردية هي حقيقة الممثل.

الكل يريد أن يحصل.. وإذا كان الكل وراء الأخذ يلهث! فلن يحصل عليه أحد، وسيشعر الكل بالضياع والخواء والتوتر.

إن الأرضية الأساسية مفقودة.. كمن يصبغ ويزين المعبد الذي لا أعمدة له. سوف يتهدم وينهار في أي لحظة. وهل تعرف كم مرة قد تهدم حبك وتدهور.. ولا زلت في تكرار الخطأ مرة تلو الأخرى!

أنت تعيش في غفلة كبيرة.. لا ترى ما الذي تفعله بحياتك وبحياة الآخرين. تعيش بميكانيكية، مثل الرجل الآلي.. مكرر الأنماط القديمة.. وتعرف جيدا بأنك تمارس سلوك ونمط حياة قديمة موجودة في السابق، وتعرف المخرج من هذه الميكانيكية وكيف تتغير، ولكن في عمق أعماقك تحمل حذرا ما، خشية مما هو جديد.. تعيد تكرار الماضي وتحصل على النتائج نفسها دائما.

إذا تعلمت، أو استطعت التعلم من الفشل في الحب، ستصبح واعيا أكثر، وتصبح متأمل أكثر.. إن مارست التأمل ستتعلم كيف تستمتع وحيدا.. ولديك قدرة على اسعاد نفسك.. إن قلة من الناس يستطيعون أن يعيشوا راضين فرحين دون سبب محدد على الاطلاق. يجلسون بصمت ويشعرون بفرح الوجود! والآخرون يعتقدون بأن هؤلاء مجانين لان فكرة السعادة تأتي من الخارج، من شخص ما، من سبب ما؛ إن التقيت بامرأة جميلة ستصبح سعيد، إن التقيت برجل وسيم ستكوني سعيدة. ولكن أن تجلس بصمت في غرفتك وحيدا وتشعر بالنشوة والطرب والفرح؟! لابد أن تكون مجنون بهذه الحالة.. وسيشك الناس بأنك تتعاطى المخدرات.. بأنك سكران.

نعم، التأمل هو المخدر اللامحدود.. إنه يطلق كل قواك الروحية، إنه يحررك من الحدود والسجون.. وتصبح سعيدا فرح دائما.. كنوع من الاحتفال الذي يتصاعد في كيانك.. حيث تتحرر من الحاجة لأي نوع من العلاقات.. ومع ذلك يمكنك أن تتواصل مع الناس وتتشارك معهم هذا الفرح.. وهذا هو الفرق بين الوصال وبين العلاقات.

العلاقات هي شيء لتتعلق به، بينما التواصل فهو رقصة، معزوفة أغنية تغنيها مع الطرف الآخر. تحبه لأن لديك حب كبير لتمنحه الآخرين، وكلما قدمت أكثر كلما حصلت عليه أكثر.. وبمجرد أن تفهم هذه القاعدة: كلما قدمت حب أكثر، حصلت على حب أكثر.. وهذا بالضبط عكس القوانين الاقتصادية التي تدير العالم الخارجي.. بمجرد أن تعرف ذلك.. إذا كنت تريد حب أكثر، ومتعة أكثر.. يجب أن تعطي أكثر وتشارك بما لديك أكثر.. وأيا من يسمح لك بهذه المشاركة معه، ستشعر بالمتعة والامتنان له.. ولكن لن تكون كالعلاقة العادية، وإنما كالنهر الذي ينسل بينكما.

النهر يمر بجانب الشجرة، فيقول لها: اهلا وسهلا، غاسلا إياها وساقيا لها، يرقص أمامها ويرحل.. لا يتعلق بالشجرة أو يتمسك بها.. والشجرة لا تقول له: "إلا أين أنت ذاهب؟ نحن متزوجان! وقبل أن تذهب تحتاج أن تطلقني! على الأقل خلع! إلى أين أنت ذاهب؟ وإن كنت تريد تركي فلما رقصت بصورة جميلة أمامي؟ لماذا سقيتني منذ البداية؟" لا، إنما الشجرة تمطر بأزهارها في النهر بامتنان عظيم، والنهر ينهر ويرحل، والريح تأتي وتداعب الشجرة وتمضي قدما، والشجرة تفوح بعبيرها الشذي في الريح وتشكرها.

هذا هو الوصال.. إذا نضجت البشرية يوما ما، وعاشت هذا الحب بإنسانية.. فإن الناس ستتقابل، ستتشارك. لا وجود لملامح التملك والعبودية بينهم، لا ملامح للهيمنة أو سلطة الرجل على المرأة أو العكس.. وإلا سيظل الحب مجرد استعمار واستغلال.

تقبل مخاطرة أن تكون حقيقي

لا يمكن أن تنضج إذا كنت تمنع نفسك وتراقبها دائما لكي لا تخوض في المخاطرة.. فتتراجع للخلف خطوات وخطوات.. إذا استمريت في التفكير لحماية نفسك، وأن تحافظ عليها دائما في "أمان".. في هذه الحالة فإن الشخصيات تلتقي في بعضها، الأقنعة تلتقي في بعضها، وإنما جوهركم لن يلتقي أبدا.. قناعك هو من يلتقي بالآخرين وليس أنت بذاتك.. في أي علاق من هذا النوع، يكون هناك أربعة وجوه وليس اثنين.. وجهين غير أصليين لقناعين يعود إليكما. ووجهين حقيقيين يبقيان منفصلين لا يعرف أحدهما ملامح الآخر، فيبقى عالمك منفصل عن العوالم الأخرى.

المخاطرة موجودة، إذا خلعت قناعك هذا وأظهرت وجهك الحقيقي.. من يدري ما إذا لهذه العلاقة القدرة على تذوق الحقيقة والأصالة والمتانة لاستمرارها ففي الصلة بينكما حتى لو كانت العالقة تطوف تحت العواصف وبين الرياح الشديدة. نعم المخاطرة موجودة، ولأنها موجودة فالناس يبقون محترسين منها.. ولهذا يقولون الأمور التي يفترض أن تقال.. يقومون بفعل السلوكيات التي يفضل القيام بها. والحب يتحول إلى فريضة وواجب على المرأة أن يظهره للآخرين.. ولكن بعد هذا ما الذي يبقى؟ تبقى العلاقة الحقيقية جائعة، والروح العطرة تبقى عطشى.. تنغم وتتكدر.. إن أكاذيب وزيف الشخصيات تبقى عبء وثقل على الروح الخالصة العذبة.. على روح الإنسان.. نعم المجازفة موجودة ولا يوجد لها ضمانات.. ولهذا يفضل الناس البقاء في العلاقات الآمنة، ويقولون لك إن هذه العلاقات المزيفة تستحق الممارسة.

أغلب الظن أن هذه العلاقات المزيفة تنكسر.. فمن الأفضل أن يبقى المرء منفصل عن الآخرين وله وجه حقيقي، على أن يكون في علاقة مع الآخرين مع قناع مزيف.. لن ترضيك تلك العلاقات المزيفة أبدا.. والبركات الإلهية لن تأتي من تلك العلاقات أبدا.. بل ستبقى جائع وعطشان تنتظر معجزة ما أن تنقذك.

ولكي تحدث تلك المعجزة، عليك أن تفعل شيء ما، وهو أن تبدأ في **اظهار وجهك الحقيقي**. وفي حالة أن العلاقة لم تحتمل حقيقتك كما أنت دون اقنعة، أي أن العلاقة لا تحتمل حقيقتك لأن حقيقتك أكبر من العلاقة هذه.. حينها ستنهار العلاقة وتبقى علاقة عابرة لا تستحقك.. لهذا يجب اجتياز هذا الاختبار.

خاطر بكل شيء من أجل الحق، وإلا لن تبقى سعيد.. قد تفعل أمور كثيرة وقد تكسب أمور أكثر حينما تساوم في ثمن الحقيقة وتبيعها.. ولكنك لن تكون سعيدا.. ستتحرك من مكان لآخر ولكنك لن تصل.. إنها تشبه حالتك حينما تشعر بالجوع، فتتخيل ببساطة مائدة من أشهى الطعام وأطيبه. الخيال سيبقى مجرد خيال لن يتحقق في الواقع لأنه خيال..

لا يمكنك تناول الطعام الموجود في خيالك.. للحظات ما يمكن أن تخدع نفسك، يمكنك أن تعيش عالم جميل من الخيال المبدع.. ولكن لن يقدم لك الحلم شيء.. بل سيأخذ منك أمور كثيرة.. ولن يقدم لك شيء في المقابل.

الوقت الذي تمضيه وأنت متقمص شخصية زائفة.. سيضيع ببساطة ولن يأتي مرة أخرى. إن مثل هذا الوقت الذي قضيته مع الزيف، يمكنك أن تقضيه عبر حقيقتك الأصيلة.. لو تعيش حقيقتك للحظة واحدة أفضل من حياة شخصية مزيفة بكاملها.. لا، لا تخف.. إن عقلك سيستمر بإقناعك بأن تحمي نفسك والآخرين، وتحافظ على مكانك في الجانب الآمن من العلاقات.. لأن ببساطة، هكذا العالم يعيش!

إن "فرويد" في أيامه الأخيرة كتب رسالة لصديقة، يقول فيها أنه من خلال استقراءاته وملاحظته لحياة الناس -وهو فعلا لقد راقب الناس بعمق وثبات واصرار، ولم يكن أحد مثله- وصل إلى استنتاج واحد عبر مراقبته .. ويبدو أكيد جدا: إن الناس لا يستطيعوا العيش بدون أكاذيب. الحقيقة خطرة. الأكاذيب لذيذة ولكنها غير حقيقية. تستمر في قول الكلام المعسول لحبيبك، وبهذه الأثناء تنزلق الحياة من بين أصابعك ويديك، ويقترب الكل أكثر فأكثر نحو الموت.

قبل أن يأتي الموت، يجب أن تذكر شيء واحد: يجب أن يعاش الحب كما يجب قبل أن يموت المرء. على هذا أن يتحقق، وإلا ستكون حياتك هباء منثورا، عبثا باطلا.. ستكون حياتك كالصحراء الخالية. قبل أن يأتي الموت، تذكر أنه على الحب أن يتحقق في حياتك.. ولن يتحقق هذا إلا مع الحق، ولن تساوم أبدا بالحق مع أي أحد.. ليكن هذا قانونك الأساسي: حتى لو كنت سأضحى بنفسي وبحياتي.. سوف أضحي بها من أجل الحق والحب، ولن أضحي بالحق من أجل شيء آخر. بهذا ستتحقق لك السعادة القصوى.. وبركات لم تحلم بها تنهمر عليك.

بمجرد أن تكون على حقيقتك وجوهرك الأصلي، فإن كل شيء ما دون ذلك يصبح ممكناً، بينما إذا كنت زائف، ترتدي أقنعة وتتقمص شخصيات.. فلا شيء يمكن أن يحدث، لأن لا يمكن أن يحدث مع الزيف إلا الزيف نفسه.. ولا يحدث مع الحق إلا الحق نفسه.

أنا أفهم المشكلة بين كل المحبين.. يحملون في داخلهم خوف ما.. حيث يتساءلون باستمرار "هل هذه العلاقة قوية كفاية لكي تحتمل أن أكشف حقيقتي؟" ولكن كيف لك أن تعرف مسبقا إن كانت تستحمل حقيقتك أم لا؟ عليك أن تتحرك فيها لكي تعرف. وكأنك تجلس داخل المنزل وتتسائل إن كنت تستطيع مقاومة العاصفة وتقف في وجهها أم لا.. اذهب للخارج، تحرك، قف أمام العاصفة.. ومن ثم ستعرف الجواب!! إن ارتكاب الصح والخطأ هو الطريق الوحيد.. اذهب وانظر، ربما ستهزم. ولكن بهذه الهزيمة ستصبح أقوى مما أنت عليه سابقا.

إذا خسرت في تجربة واحدة، فإن تجربة أخرى ستأتي إليك.. شيئا فشيئا ستزداد التجارب صعوبة طالما إنك تمشي قدما وبشدة في العاصفة.. وهذه التجارب ستجعلك أقوى وأقوى. يوما ما سترقص أمام العاصفة، ستغني أمام الاعصار.. وحينها ستتحول العاصفة من عدو إلى صديق. هذه هي فرصتك لتكون حقيقي.

هذه الكينونة[28] لا تتحقق وأنت مستريح.. وإلا لحدثت للجميع. لا تكون حقيقي بيسر وسهولة، وإلا لحدث هذا للكل وانتهت المشاكل.

تقترب من حقيقتك عندما تقبل المخاطرة، عندما تسـير بالخطر. والحب هو أكبر خطر وأعظمه في الوجود.. يتطلب حياتك كلها للتضحية بها وليس له حدود يقف عندها.

لذا، لا تخف.. جرب الحب.. شـيء جميل أن تعيش علاقة الحب، وإذا انقطعت تلك العلاقة، فهو شـيء جميل أيضا، لأنها علاقة زائفة لم تستحق تلك المعاناة. والآن ستكسب تجربة وتصـبح لديك قدرة أكبر في المضـي بعلاقة جديدة أصـدق وأكثر صـلابة وعمقها يصل إلى عطر الروح فيكما.

ولكن تذكر دائما، الخداع والزيف لا ينفع.. يبدو أن له قيمة ولكنه لا ينتهي بإيجابية.. الحق فقط هو من يختتم الأمور بالإيجابية. وفي البداية تبدو الحقيقة لا تسـتحق ولن تفي بغرضـها، وتبدو غير جديرة بكل هذا.. هذا إذا نظرت لها من الخارج. تبدو الحقيقة خطرة جدا وفظيعة، ولكن هذا شـكلها من الخارج. ولكن إذا دخلت في باطنها، فستعرف أن الحق هو الشيء الوحيد الجميل دون غيره، وبمجرد أن بدأت بالتلذذ به وتذوقه، سوف تطلبه أكثر وأكثر لأنها ستجلب لك الرضا والقناعة والسرور والبهجة والاكتفاء.

هل لاحظت أنه من السـهل عليك أن تكون على حقيقتك مع الغرباء دون الأقرباء؟ يبدأ الناس في السفر بالتحدث مع الغرباء، ويصـرحون لهم بأمور لم يخبروها لأصـدقائهم.. إنه لأمر غريب.. لا يوجد شيء مشترك بينك وبين الغريب، وبعد نصف ساعة أو ساعتين ستركب القطار ويذهب كل في طريقه، ستنسى ما قلته له وسينسى ما سمعه منك..

الناس الذين يتحدثون مع غرباء أصـدق، حيث يكشـفون عن قلوبهم، ولكن الحديث مع الأصـدقاء والأقارب -الأم الأب، الزوج الزوجة، الأخ الأخت- يوجد خوف عميق ورهبة في اللاوعي. يقولون لك: "لا تقل له عن هذا الأمر، فقد تؤذي مشـاعره، ولا تفعل هذا إن كنت تحبه، لا تتصـرف بتلك الطريقة أمامه، فهو كبير السن وقد يصدم من ذلك.." وهكذا يبدأ الفرد بالسيطرة على نفسه وشيئا فشيئا سيرمي الحقيقة في سرداب كيانه المظلم.. ويصـبح أكثر ذكاء ودهاء بالتعامل مع الزيف وتغطية الحقيقة.. يسـتمر بالابتسـامة ولكنها ابتسـامة زائفة.. حدودها تقف عند الشـفتين.. تقول كلمات جميلة، ولكن القلب لا يعنيها.. وأنت تشـعرين بالملل من صـديقك أو من الوالد، ولكنك تسـتمرين في قول "أنا سـعيدة لرؤيتك" وحقيقتك تقول "اتركني لوحدي!".. ولكن تتظاهرين بالحب والسـرور. وكذلك الطرف الآخر يقوم بمثل هذا الأمر.. لا أحد يعي ما يدور، لأننا كلنا نتحرك ضـمن النطاق نفسه، ونبحر بالقارب نفسه.

إن الشـخص المتدين هو الذي يخرج من هذا القارب ويخاطر بحياته[29] ويقول: إما أن أكون حقيقي، أو لا أستحق الحياة.. لن أعيش كذبة زائفة". مهما كانت المجازفة، جربها، ولكن لا تمضـي في حياة الزيف.. قد تكون علاقتك هذه قوية وتتحمل حقيقة كلاكما.

---

[28] الكينونة، أن تكون، هي to be and being

[29] قد يتكشف لي معنا جديد حينما يقول الصوفي "لا تأخذ زادك للطريق، بل توكل على المنعم الرحيم".. قد يكون ما يقصده هو المخاطرة والدخول في المجهول وكسر القوالب القديمة للتعامل مع الأشياء.. حيث يحتاج المرء للوعي والانتباه المستمرين للتعامل مع تلك الأمور.

وعندها ستزداد العلاقة متانة أكثر. إذا لم تكن شخص دون أقنعة مع من تحب، فمع من ستكون؟ إذا لن تنزع القناع مع الشخص الذي تعتقد أنك تحبه، إذا كنت تخاف منه أن يكشف حقيقتك، وتخاف أن تكون عرياناً روحيا أمامه، إذا كنت تختبئ وتغطي حقيقتك مع من تحب، فأين ستجد المكان والمساحة والشخص المناسب لتكون حرا معه على سجيتك؟

هذا هو معنى الحب، في حضور شخص ما نكون عراة كليا.. نعرف بأنه يحبنا، فلن يسيء الفهم.. نعرف إنه يحبنا، لهذا يختفي الخوف في حضوره.. ولهذا يمكن له أن نفتح أبواب كياننا لندخل ونتشارك ما لدينا.

الحب مشاركة، الحب هو أن تلعب دور في حياة الآخر.. لذا وعلى الأقل، لا تكون مزيف مع الحبيب.. أنا لا أقصد أن تذهب إلى الأماكن العامة وتكون على حقيقتك الخطيرة.. فهذا سيخلق مشاكل غير ضرورية في الوقت الراهن. ولكن لما لا تبدأ أن تكون حقيقي مع من تحب، ثم مع العائلة، ثم مع الناس الأبعد والأبعد؟ شيئا فشيا ستتعلم أن تكون حقيقي.. وسيكون الحق هو سبيلك في الحياة.

الحب والحقيقة، يجب أن تتعلم عليهما وتتدرب من أجلهما مع أولئك المقربون جدا منك.. لأنهم سوف يفهمونك.

تعلم لغة الصمت

نحن موصولون بالآخرين بطريقة غير مباشرة، ولكن عندما نتصل بهم بشكل مباشر، فإننا نمضي بالدردشة والحديث عن ألف وألف أمر لا أهمية له ولا داعي.. في الحقيقة لا شيء مهم البتة، إننا نتحدث لتمضية الوقت فقط!

ولكن عندما تشعر بأنك قريب من شخص ما، تبدأ تتصاعد في داخلك مشاعر الحميمية، وعندها لن تستطيع الدردشة بسهولة عن أي شيء، لأن كل كلمة تكون مهمة. فلن تلعب بسهولة بالكلمات، فكل كلمة تأخذ لها دلالة ما ومعنى ما. وسيكون هناك فجوات من الصمت. وقد يشعر المرء بالغرابة في بداية الأمر.. فالمرء غير معتاد على الصمت. والمرء يشعر بأنه لابد أن يقول شيء وألا يكون صامتا، وإلا ما الذي سيعتقده الآخرون؟

كلما اقتربت أكثر، وكلما زاد الحب بينكما، يزداد الصمت، إلى أن يصل إلى درجة الصمت التام والطويل.. في الحقيقة، لا يوجد شيء لتقوله له. مع أن هناك الكثير لتقوله للأصدقاء، ولكن لا شيء لتقوله للحبيب.. وستشعر بالثقل لأن هناك صمت مطبق بينكما، ولم تعتاد على هذا الصمت بعد.

بالتأكيد لم تسمع عن موسيقى الصمت، عن سمفونية هذا السكون والهدوء العميق. بالتأكيد لقد مارست طوال حياتك اللغة اللفظية من خلال الكلمات والأفكار والعقل. ولكنك لم تتعرف على طريقة القلب في الحوار.. من القلب إلى القلب.. لقد كبرت على نظام قديم للتواصل، ولا يسعف هذا النظام طموحك وتطلعاتك.. بل يكون دائما مقصرا للتعبير عما يجول في خاطرك..

لهذا عليك أن تنمي فيك نوعا جديدا من التواصل غير اللفظي. كلما نضج الفرد، كلما أصبح صامت أكثر، لأنه يستخدم لغة الصمت للتواصل.

نحتاج اللغة الكلامية لأننا لا نعرف كيف نتواصل ونتحاور. عندما نعرف كيف نتواصل، فلن نحتاج إلى لغة منطوقة. ويصبح الصمت لغة اللغات. اللغة المنطوقة هي مرحلة ابتدائية، مدرسية، تعتمد عليها المدارس. إنما الوسيلة الحقيقية هي الصمت. لذا لا تفهم الموضوع بشكل خاطئ حتى لا تتوقف عن النضج والنمو.

لن تخسر شيء حينما تنقص أهمية الكلام في حياتك. وإن كنت تعتقد ذلك فهناك خطأ ما في هذا الاعتقاد. حينما تخبو اللغة رويدا رويدا، هذا يعني بأن شيء جديد قد طرأ على كيانك، وأخذ النظام القديم في التعبير تتناقص كميته وأهميته. هذا يعني بأنك تنضج، وتكبر، لهذا عليك أن تبدل ملابسك القديمة بملابس جديدة على قياسك. ولن يعني هذا بأنك تخسر شيء ما في حياتك، وإنما يعني بأن شيء ما قد أضيف لك، هدية ما من الوجود قد وصلت لك.

كلما تأملت أكثر، كلما أحببت أكثر، وصرت موصولا أكثر بالآخرين. وفي النهاية سيصل الفرد إلى لحظة يصبح فيها الصمت هو الأداة الوحيدة للوصال. لا، في المرة المقبلة، إن التقيت بالآخر ولم تتحاورا بالكلمات.. لا تشعر بالانزعاج، بل بالسعادة.. لأن الصمت قد وصل لك، وصار يخدمك.. اسمح لهذا الصمت أن يقوم بالحوار بدل الكلمات.

نحن نحتاج للغة لكي نتواصل مع أناس لا نعيش معهم حالة حب. بينما الصمت – اللا لغة- نحتاج لها مع أناس نعيش معهم الحب. على المرء أن يعود إلى حالة البراءة مرة أخرى.. كما هو الطفل الصامت.. يومئ لأمه، يبتسم، يشبك بيديها.. ويبقى صامت.. ينظر إلى عينها ولا يفعل شيء آخر غير ذلك. ويعيش المحب مع حبيبه هكذا.. يتقابل، يندمج أحدهما بالآخر، وينغمس ويغوص.. يختبر كل منهما شعور عميق غريب.. لا أحد يشعر به غيرهما، لأنه شعور عميق جدا، لا يمكن التعبير عنه بكلمات.

استمتع بهذا الصمت.. اشعر به تذوقه، استنشق عبيره.. وبعد وهلة من الزمن ستجد أنه صمت ولكنه نوع من الحوار والتواصل الجديدين عليك.. وستعرف إنه أعظم وأعلى وأعمق من أي تواصل كان.. ستشعر بأنه تواصل مقدس، وفيه نوع من الطهارة.

المزالق الأربعة

الناس يخافون من الموسيقى التي تحرك مشاعرهم، ويخافون من الشعر الجميل.. الناس يخافون من الحميمية العميقة. مبدأ علاقة الحب في عقول الناس هي "اضرب واهرب". لا يسمحون لأنفسهم أن ينغمسوا بصميم كيان الآخر، لأن بالغوص في عمق كيان الآخر، ينتج الخوف.. يوجد في الباطن بحيرة تعكس صورة الخوف فينا... لهذا يخافوا أن ينغمس كل منهما في الآخر. ولكن ماذا لو لم تعكس تلك البحيرة شيء؟

عادة رد الفعل

رد الفعل هو نتاج الماضي، ولكن التجاوب هو نتاج الحاضر. أنت تنفعل لأي أمر وترد الفعل بالفعل، نتيجة الأنماط القديمة التي اعتدت عليها. أحدهم أهانك، وبسرعة ميكانيكية تبدأ برد الفعل فتهينه. لأن في الماضي أهانك الناس وتصرفت معهم بطريقة معينة، فستتصرف بالطريقة نفسها في المرة القادمة. حينما يهينك شخص ما في الحاضر، فأنت لا تتجاوب معه أو تنفعل بهذه الإهانة، ولكنك تكرر عادة قديمة ليس إلا. لم تلتفت إلى هذا الشخص أو إلى الإهانة الجديدة، هل هي مختلفة عن سابقتها أم لا، بل تتصرف كالآلة المبرمجة. يمتلك المرء ميكانيكية خاصة في داخله، نتيجة الصور والأنماط القديمة التي عاشها أو تعرف عليها سابقا، فيضغط الزر في أي لحظة مشابهة ويقول: "هذا الرجل أهانني"، ثم يقوم برد الفعل.

إن رد الفعل ليست حالة حقيقية، إنها شيء كأنه عرض سينمائي.. لأنك أسقطت فلم الماضي كله على هذا الرجل الغريب.

> حدث مرة أن بوذا كان جالسا أسفل شجرة، يتحدث مع أتباعه. جائه رجل وبصق في وجهه. مسح بوذا البصاق ثم سأل الرجل: "ثم ماذا؟ ما الذي تريد قوله بعد ذلك؟" احتار الرجل قليلا.. لأنه للمرة الأولى في حياته يرى شخص وقد بصق أحدهم في وجهه، فيسأل المعتدي عليه "ما التالي".. لم يمر بهذه التجربة في الماضي. لأنه أهان أناس كثر، وكل شخص كان يغضب عليه ويرد هذا الفعل بفعل مشابه.. أو عندما يكونوا جبناء وضعفاء، كانوا يبتسمون محاولين تهدئة الرجل. ولكن بوذا لم يشبه أي من تلك الأنماط القديمة! لم يكن غاضبا ولم يكن مهانا أو جبان.. ولكن قالها بصدق: "ثم ماذا؟".. كان تساؤل ما، ولكن لم تكن ردة فعل.

غضب أتباع بوذا، وكان لهم ردة فعل. وأقرب تلميذ لبوذا كان اسمه "أناندا" قال: هذه إهانة كبيرة ولن نتحملها.. أكمل تعليمك بوذا ونحن سنري الرجل ما يجب أن يراه حتى لا يكرر فعلته.. يجب أن يعاقب وإلا الكل سيقوم بالتصرف نفسه معك"

قال بوذا: ابقوا صامتين، لم يهني، ولكنكم أنتم أهنتموني.. إنه جديد، غريب، لابد وأن سمع من الناس شيء ما عني، قد سمع عني بأني رجل كافر، رجل خطر، يرمي بالناس خارج المسار الصحيح، ثوري، مفسد" ولابد أن هذا الكلام قد شكل لديه فكرة خاطئة عني.. إنه لم يبصق في وجهي وإنما بصق على أفكاره.. لقد بصق على وجهات النظر والآراء التي في رأسه عني. لأنه لا يعرفني مطلقا، فكيف يبصق علي؟

إذا فكرتم وتأملتم بعمق، لقد قال بوذا: لقد بصق على عقله، وأنا لست جزء منه، وأنا أرى أن هذا الرجل المسكين لديه شيء آخر ليقوله.. لأن هذه الطريقة طريقة رجل يريد أن يقول شيء ما بعدها.. البصق هي الخطوة الأولى للتعبير عن ذلك الشيء.. لأن هناك لحظات تشعر فيها أن اللغة لا يمكن أن تسعف ما تريد قوله، أثناء الغضب، أثناء الكره، أثناء الصلاة.. ولهذا تتوتر في تلك اللحظات. ولهذا تشعر أن عليك ان تفعل شيء ما.. عندما تكون في حب عميق فإنك تقبل الشخص أو تحتضنه، وتقول بهذا التصرف بأنك تحبه.. وعندما تكون غاضبا، فإنك تضرب أحد ما أو تبصق عليه.. فتعبر عن شعور ما بهذا التصرف.. ولهذا أنا أفهم هذا الرجل وأعرف أن لديه شيء ما ليقوله.. ولهذا سألته: "ثم ماذا؟.."

صار الغريب متعجب أكثر! ثم قال بوذا لتلاميذه: "أنا مهان بسببكم، لأنكم تعرفوني، وقد عشتم سنوات معي، ولازلتم تتعاملون بردة الفعل!"

عاد الرجل الغريب إلى منزله محتار مشوش، لم يستطع النوم ليلا.. لأنك عندما ترى بوذا، فمن الصعب والمستحيل أن تنام كما اعتدت النوم من قبل. لم يستطع تفسير هذه التجربة لنفسه أصبح أسير تلك التجربة.. ما الذي حدث له؟ لم يلتق بأحد من قبل ليشوش عقله هكذا وينسيه ماضيه.

وفي صباح اليوم التالي، عاد الرجل الغريب إلى بوذا ورمى نفسه على قدميه. سأله بوذا مرة أخرى: "ثم ماذا؟" لأنك لم تقل شيئا حتى الآن، وطريقتك هذه حيث رميت نفسك على قدمي، فإنك تعبر عن شيء لم تعبر عنه بلغة، فكل الكلمات عندك أصبحت بلا معنى، ضيقة لا تعبر عما تريده وتشعر به.

قال بوذا لتلميذه أناندا: "أنظر يا أناندا، هذا الرجل حضر مرة أخرى هنا، إنه يقول شيئا ما، لديه عاطفة عميقة وقوية"

نظر الرجل إلى بوذا وقال: "سامحني لما فعلته بالأمس".
وأجاب بوذا: أسامحك؟ ولكنني لست الشخص نفسه الذي قمت بالبصق عليه بالأمس! النهر يستمر بالجريان، والماء يتغير باستمرار. وكل انسان عبارة عن نهر، فالرجل الذي بصقت عليه ليس موجدا هنا.. نعم شكلي يشبهه ولكني لست هو نفسه.. لقد حدث أمور كثيرة خلال الأربعة والعشرون ساعة الماضية! لقد استمر النهر بالجريان والتغير طوال ذلك الوقت.. لهذا لا يمكنني مسامحتك لأني لا أحمل ضغينة ضدك.. كما إنك أنت أيضا انسان آخر جديد علي.. ويمكنني أن أرى بأنك مختلف عن الرجل الذي كان بالأمس هنا، لأن ذلك الرجل كان غاضبا جدا، فقلد بصق على وجهي، ولكنك الآن على قدمي لتلمسها، فكيف تكون الرجل نفسه بالأمس؟ أنت لست ذلك الرجل، إنك مختلف عنه كليا.. لذا لننسى كل ما حدث في السابق.. لننسى ذلك الشخصان، الذي بصق والذي تلقى الإهانة.. فكلاهما قد اختفيا من الوجود.. اقترب أكثر مني ولنتحدث عن أمر آخر.."

هذا هو التجاوب.. وليس رد الفعل.

ردة الفعل تحدث بسبب الماضي. فإذا كانت ردة فعلك من منطلق العادة، من عقلك الذي يسجل الماضي ، ففي الحقيقة عقلك من يتصرف ويرد الفعل، وليس أنت. إن أردت أن تتواجد كليا في اللحظة، عليك أن تجلب الوعي بحيث تكون حي كليا هنا الآن، وتتجاوب مع مختلف المواقف بمختلف الاستجابات. إن التفاعل هو ظاهرة جميلة مليئة بالحياة إنما رد الفعل فهو ظاهرة ميتة، بشعة، تعود إلى مقبرة الماضي البعيد. إن تسعة وتسعون في المئة من حياتك تتصرف بدافع من تجاربك السابقة الماضية وتسمي ذلك استجابة حقيقية. ولكن هذا ليس صحيح، فنادرا ما تستجيب وتتفاعل مع الموقف بوعي كلي. حاول أن تتفاعل مع المواقف بوعي أكثر من السابق.. تفاعل مع المواقف ولا ترد الفعل بالفعل كما حصل مع تلاميذ بوذا.. كلما قمت في الاستجابة والتفاعل، تحصل على قبس ونور جديد، كلما قمت في ذلك تدخل إلى حياة جديدة وتغوص في المجهول الجديد.

ارجع إلى منزلك وانظر إلى زوجتك من باب التجاوب والتفاعل، وليس رد الفعل. إنني أشاهد الناس الذين عاشوا مع زوجاتهم لمدة أربعون عام، وقد توقفوا عن النظر إليهن! يعرفون بأنهن "نسوة كبيرات في السن".. يعرفون بأنهن نفس النسوة التي تزوجوا بهن منذ زمن.. وقد حفظوا شكلهن وملامحهن. ولكن كل امرأة عبارة عن نهر الذي ينهر طوال الوقت.. فهي ليس المرأة التي تزوجتها في الماضي.. فالمرأة التي تزوجتها لا وجود لها الآن، والمرأة التي أمامك هي امرأة جديدة كليا وتتجدد باستمرار، من المهم أن تنظر لها بوعي وانتباه مستمرين جديدين طوال الوقت، وتتفاعل معها.

كل لحظة تمر، يصبح المرء مولود من جديد، وفي كل لحظة تمر يموت المرء ويحيا من جديد. انظر مرة أخرى إلى زوجتك، أمك، أبوك صديقك.. انظر لهم بوعي، لأنك توقفت عن النظر إليهم لاعتقادك بأنهم أشخاص تعرفهم من الماضي وما الهدف بالنظر إليهم مجددا؟

عد وانظر إليهم نظرة واعية جديدة مرتبطة باللحظة الحالية هنا الآن. انظر لهم كما تنظر لشخص غريب. وستتعجب كيف أن تلك المرأة قد تغيرت عما في السابق.

آلاف من التغيرات الكثيرة تحدث يوميا.. الحياة تتغير باستمرار وتغير كل شيء حي.. ولكن الماضي لا يتغير، إنه ميت والعقل الذي يرتبط بالماضي ويخزنه فهو يخزن شيء ميت.. وإذا تصرفت وفق عقلك الذي يخزن ذلك الماضي فإنك تعيش حياة ميتة، لأنك تتعامل مع الحياة الحية وفق منظور حياة ماضية ميتة، ولهذا لا يمكنك أن تحيا حياتك بشكل صحيح.

ارم جانبا ردة الفعل والماضي، واسمح للتجاوب الحقيقة والتفاعل مع الحياة أكثر وأكثر.. وأن تستجيب للمواقف الجديدة والناس حولك يعني أن تكون مسؤول عن نفسك، هنا..الآن.

عالق بالأمان

لا توجد علاقة مضمونة أبدا.. ولا حتى علاقة واحدة في الوجود.. وليس من الطبيعي أن تكون العلاقات مضمونة، وإن كان في أي علاقة ما نوع من الأمان والضمان فإنها ستفقد جاذبيتها. وهذه هي الاشكالية، إن أراد المرء أن يستمتع بعلاقته، فيجب ألا يضع لها الضمانات والوعود، إن كانت العلاقة مضمونة النتيجة فلن تستمتع بها، ستفقد سحرها وكل جاذبيتها.. وإن أردت أن تقنع عقلك بهذا، فلن يرضى بهذا أو بذاك.. العقل يعيش دائما في صراع وفوضى. كيف لك أن تبحث عن علاقة جميلة حية وتكون مضمونة في الوقت نفسه؟ هذا مستحيل، لأن أي شيء مليء بالحياة، كالإنسان أو العلاقة، لا يمكن التنبؤ بهما، لا يمكن التنبؤ بما سيحدث أو يقوم به أحدهم.. ولأن الإنسان حي والعلاقة حية، سيكونا في تغير دائم مستمر، ولهذا اللحظة التي تقضيها مع انسان حي أو علاقة حية، ثراء وغنى دائما.

عليك أن تعيش هذه اللحظة بقدر الإمكان، تعيشها بكليتها.. لأن اللحظة التي بعدها قد لا تأتي أبدا، قد تكون هذه اللحظة هي آخر اللحظات، ولن يكون بعدها زمن لتقضي وقتك مع من تحب. قد لا تتواجد أنت بعد دقيقة من الآن، أو لا يتواجد حبيبك بعد دقيقة من الآن. كل الاحتمالات تبقى مفتوحة، المستقبل دائما مفتوح، مجهول، غير متنبأ به، جميع الاحتمالات واردة، بينما الماضي دائما مغلق، دائما ميت لا يمكن تغييره. وما بين المستقبل والماضي يكمن الحاضر.. ما بين المستقبل والماضي لحظة واحدة فقط، وهي "الآن" التي تعيشها وتتنفسها وتشعر بها.. الحاضر دائما يتأرجح بين الحاضر والماضي.. يهتز.. يتذبذب بفعل الحياة التي تداعبه.

الماضـــي مغلق تماما، كل ما حدث، قد حدث وانتهى، لا يمكن تغييره، كل شـــيء مغلق.. والمســـتقبل مفتوح دائما، لا يمكن التنبؤ به. بينما الحاضـــر ها هنا موجود في هذه اللحظة. ولكن العقل يضـــع قدمه الأولى في الماضـــي وأخرى في المســـتقبل، ولهذا ينفصـــم العقل وينقسم بين الطرفين.. ويعيش في شيزوفرينيا.

اليوم نحن بحاجة أن نفهم كيف تســـير الأمور.. إنها تســـير بهذا الشـــكل. ولا يمكن تغيير هذا أبدا. فإن أردت أن تحصـــل على علاقة فيها الكثير من الضـــمانات، إذن عليك أن تحب رجل ميت في القبر! ولكن لن تســـتمتع بها كما لو كان هذا الرجل على قيد الحياة. بالضبط هذا ما يحدث للرجل عندما يصبح زوج! الزوج هو المعشوق الميت، والزوجة هي المعشـــوقة الميتة. لقد حدث الحب في الماضـــي والآن أصـــبح زواج.. . وفي الحقيقة فإن الأزواج لا يملكون مستقبل لحبهم.. لأن الحب يكمن في الماضـي الميت والحاضـر يصـبح زواج. كل منهما امتلك الآخر وضـــمن الآخر. وكل شـــيء انتهى، المغامرات والمخاطرة الماضية قد انتهت، والضمان قد حل محل المغامرة. لهذا تفقد العلاقة بريقها.[30]

الأمان هو الأمر الذي نبحث عنه دائما وباســتمرار، ولكن عندما نجده نشــعر بالملل منه. التفت إلى وجوه الزوجات والأزواج.. لقد وجدوا الأمان الذي كانوا يحلمون به.. وصل لهم الضـــمان وحصـــلوا عليه.. وكان هو نهاية المطاف.. وكل شـــيء قد حل في الجيب.. القانون والمحكمة تقدم الضمانات لأي طارئ.. وكل شيء يسير على ما يرام.. في رتابة.. وكل السحر والشعر الذي يسمع من هذا وذاك، قد ضاع.. ولا وجود للرومانسية. الأزواج أصـــبحوا أموات بعد أن كانوا عشـــاق أحياء قلوبهم تنبض بالحب. لأنهم ببســـاطة يتعاملون وفق أنماط الماضـي، يتعاملون وفق صـندوق الذكريات الميتة. [ولكن ماذا لو كانوا واعيين منتبهين طوال الوقت؟] [31]

استمعت إلى الأزواج وهم يتحدثون عن بعضهما.. الزوجة تذكر دائما أن زوجها لا يحبها كما في الســابق، ثم يتحدثون عن اللحظات القديمه وشــهر العسل وأمور أخرى. يا له من هرا! لازلتِ على قيد الحياة ولا زال زوجك على قيد الحياة.. يمكن أن تعيشـــي هذه اللحظة الجميلة الآن كما هي في الســـابق وأجمل مما كانت.. يمكن أن يكون اليوم هو شـــهر العســـل. يمكن أن تعيشـــي جنتك مع زوجك الآن. ولكنك تتحدثين عن الماضـــي وتحاولين اعادته... هذا هراء!

إن وجـــود الضـــمانات، ومحاولـــة لخلـــق ظـــروف آمنـــة، لا تشـــبع ولا ترضـــي المـــرء.. وكـــذلك لا يحـــب المـــرء أن يعـــيش فـــي علاقـــة لا ضـــمان فيهـــا للمســـتقبل،

---

30 أذكر هنا أن حتى العلاقات الزوجية يجب أن يكون فيها نوع من المفارقة.. أنت معي الآن ولكن لا أضمن وجودك دائما، وأخشى أن أفقدك في يوم من الأيام. إن وجود هذه المشاعر والمفارقة دائما، تعطي لذة أكبر في العلاقة من العلاقات المضمونة التي تكون رتيبة.. وهذه الطريقة ليست برمجة للعقل، وإنما هو واقع، فالعقل يعالج الأمور ويتوقع ويضع الاحتمالات والخيارات ويعالجها، فيخلق حالة من المغامرة والمجهول الذي تلذذ العلاقات.

31 اوشو ليس ضد الزواج، وإنما هو يشرح الواقع بشكل أو بآخر لإيصال رسالته ولمحاكاة ما بطن في لاوعينا وما نحتاجه.. إنه دائما يدعوا إلى الانتباه والوعي واليقظة الدائمين. أي أن يتصرف المرء مثل بوذا، حيث يتجاوب ولا يقوم برد الفعل بدافع من معطيات الماضي وتجاربنا السابقة فقط، بل أن نكون يقظين بحيث نتعامل مع كل موقف على حدة. فما الذي سيحدث بين الأزواج حينما يتوقفوا عن معاملة أنفسهم من معطيات الماضي وذكرياته الميتة؟؟ سيكونوا يقظين للاحتمالات المفتوحة التي تكمن في مخاض المستقبل، قد يخسر أحدهم الآخر، قد يفارق أحدهم الآخر،..إلخ. هذه الاحتمالات التي تجعل المرء واعيا، وبالتالي سيعيش المغامرة التي كان يعيشها قبل وجود الزواج، المغامرات التي كانت تحمل مخاطرة وصعاب. والمغامرة الموجودة بعد إتمام الزواج هي مخاطرة لوجود احتمالية أن يفقد أحدهما الآخر بأي شكل من الأشكال.

لأنـه يمكـن أن يخسـر تلـك العلاقـة ويفقـدها للأبـد. ولكـن هـذا الجـزء.. جـزء المخـاطرة هـو الجـزء الأهـم الـذي يحفـظ لـك أن تعـيش وتحيـا العلاقـة.. نعـم، كـل شـيء يمكـن فقدانــه.. لا شــيء محــتّم أو مؤّكــد أو مضــمون.. وهــذه المخــاطرة تمــنح الأمــور تلــك بالجمــال، ومــن المهــم لــك الا تفقــد أي لحظــة أو تفــرط فيهــا وتضــيعها. إن أردت أن تحـب شـخص فأحبـه الآن، هنـا.. أحـب كـل مـن تحـبهم، لأن لا أحـد يعمـل مـا الـذي سـيحدث بعـد دقيقتـين مـن الآن. قـد لا يكـون لـك الفرصـة لتحـب بعـد دقيقتـين ومـن ثـم سـتندم طـوال حياتـك. ولقـد كـان بالإمكـان أن تحـب وتحيـا ذروة حياتـك فـي الماضـي.. وفرصــتك هــي الآن.. لأنــه بعــد أن تنقضــي الــدقيقتين تلــك وتخســر فرصــتك، ستشــفق على حالك وتندم وتشعر بذنب عميق.. كما لو كنت تقوم بالانتحار.

لا شـــيء أكيد في الحياة، ولا أحد يســتطيع تأكيد أو ضــمان أي شــيء فيها. ومن الأفضل ألا يضمن أحد فيها شيء. وإلا.. ستكون حياة ميتة، رتيبة. ولكن لأن الحياة منتعشة دائما ومتجددة، تخطو نحو المجهول، هذا هو جمالها. يحتاج المرء أن يكون شــجاع ومغامر، حتى يمضـــي ويتحرك وينضـــج في الحياة. لذا.. كن مغامر، عش بهذه اللحظة، عشـــها بذروتها. عش هذه اللحظة كما هي حتى النخاع، ولا تفكر باللحظة القادمة. إن وصلت اللحظة القادمة ستعرف ما الذي عليك فعله. فكما حييت في الماضي وعرفت كيف تتصـرف، كذلك سـتعرف في المسـتقبل كيف تتصـرف.. بل سـتتصـرف بالمسـتقبل بشـكل أفضل، لأن خبرتك قد ازدادت. لهذا لا تفكر بالمستقبل، بل عش هذه اللحظة.

لهذا، فالسؤال المهم لا يكون ما اذا سيتواجد الحبيب في المستقبل أم لا، إنما ما اذا كان متوفرا في هذه اللحظة لك أم لا؟ هذا هو الســؤال الأهم إن كان ها هنا، فاعشـــقه، ولا تضــيع هذه اللحظة في التفكير والقلق على المســتقبل.. لأن هذا عبارة عن انتحار. لا تأجل لحظة العشق للمستقبل، ولا تفكر في المستقبل، لأنك ستهدر طاقتك ووقتك.. اعشق ما لديك الآن وسيعشقك هو أيضا.

إنني أقرا الموضـــوع هكذا؛ إذا أحببت بكليتك في هذه اللحظة، فمن المحتمل جدا أن يستمر هذا الشخص معك في اللحظة القادمة أيضا ولن ينقطع عنك. أنا أقول "احتمال" ولا أوعدك بشـيء! والاحتمالية أعظم، لأن اللحظة القادمة ستُبنى على اللحظة الحاضـرة الآن. فإذا ما شـــعر المرء بأنه محبوب في هذه اللحظة وبأنه مغمور باللطف الإلهي، والعلاقة كانت جميلة جدا ورائعة ومليئة بالنشـــوة فلماذا يترك ويغادر في المســـتقبل؟ إلا اذا طرئ طارئ، نتيجة الحياة المتغيرة!

إذا ما كنت قلقه باســتمرار، فإنك في الحقيقة تجعلينه وتجبرينه على الرحيل. وبهذا ستضيع هذه اللحظة من يدك، وستكون اللحظة المستقبلية مبنية على هذه اللحظة. وسيحقق لك الفرد جميع نبوءاتك والأفكار التي تفكرين بها وتقلقين بشـــأنها! وفي المســـتقبل بعد مغادرته ستقولين: "نعم، كنت أشعر منذ البداية أن هذه العلاقة لن تدوم، ولقد تأكدت من هذا الآن!" وعندما تقولين هذا، تشـعرين بذكاء ما وبأنك حكيمة متنبئة بالمسـتقبل! في الحقيقة، كنت حمقى، لأنك لم تتنبئي بشيء، وإنما أنت من أجبرت على تحقيق هذا الحدث المؤسف، لأنك اهدرت الوقت بقلقك وتفكيرك.. خسرتِ الفرصة التي كانت متوفرة لك.

إذن، عيشـــي الحب الذي معك الآن وانســـي المســـتقبل، ارمي جانبا كل التفاهات والتفكير بشأن المستقبل. إن استطعت ان تعشقي، فاعشقي الآن. وإن لم تستطيعي عشق من بين يديك، فاتركيه واحصلي على أحد آخر.. لا تضيعي الوقت.

ليس الموضـوع متعلق بهذا الشـخص أو ذاك الشـخص.. إنما الموضـوع موضـوع الحب نفســه. أن تعيش الحب بنفســه. الأمر يعتمد عليك أنت بالدرجة الأولى، لأن ما تفعله مع هذا الشـخص، سـتسـتمر وتفعله مع شـخص آخر. فإذا جعلت شـخص ما سـعيد، فلماذا سيتركك في المستقبل؟ ولكن إن لم تجعله يشـعر بالسـعادة، فإنني أدفعه بنفسي لكي يتركك ويرحل! إن جعلته سعيد فلن يقدر أن يشـجعه أحد على تركك، لأنه سيقاتل الجميع من أجل أن يظل معك.

لهذا، كن ســـعيدا أكثر، اغتنم الفرصـــة والوقت الذي لديك، ولا حاجة للتفكير في المســتقبل.. لأن الحاضــر كافي للتفكير فيه وعيشــه. من هذه اللحظة، حاول أن تعيش بهذه اللحظة بكليتها. عش هذه اللحظة ليس من أجل أن تقلق، ولكن من أجل أن تحياها بكاملها. لأن الأمور الصـــغيرة جدا قد تتحول لأمور رائعة الجمال. فاللحظات الصـــغيرة التي تمر الآن، عن ساهمت بها بقليل من السعادة والاهتمام، بقليل من المشاركة.. تصبح الحياة كلها جميلة وعظيمة.. فما الحياة إلا هذه اللحظات التي تمر الآن.

إن كل فرد يخلق لنفســه نوع من الأنا الســيكولوجي،[32] ولا يدري بأن هذه الأنا هو سجنه. انظر إلى الناس، تجدهم يحيطون أنفسهم بكل أنواع الضمانات وصور الأمان.. لأن الرغبة بالأمان تأتي طبيعية فنصـــنع هذه الحماية لأنفســنا. ولكن هذه الحماية تصـــبح أكبر وأكبر، فكلما انتبهنا لأنواع المخاطر المختلفة حولنا، نصنع الحمايات من أجل أن نبتعد عن تلك المخاطر، فترى الحجرة التي نعيش بها تصــغر أكثر وأكثر، نعيش داخلها محميين من المخاطر. فتصبح حياتنا مستحيلة داخل تلك الغرفة الصغيرة.

تكمن الحياة بين المخاطر. من المهم أن نفهم هذا الأمر لأنه جوهري وأساسي للحياة كلها؛ إن نظرت في عمق الحياة فلن تجد الأمان. وفي الوقت ذاته تصـنع لنفسـك الضـمانات والحمايات! وبهذا تدمر حياتك كلها، لأن الحماية هي الموت لحياتك. فالموتى في قبورهم محميون جيدا، فلا أحد يؤذيهم، ولا خطأ يمكن أن يحدث. وليس من الممكن أن يقع عليهم خطر ما أبدا.

هـل تريـد صـمت القبور؟ هـل تريـد أمـان القبور؟ فـي الحقيقـة، جميع النـاس تعمـل مـن أجـل هـذا، دون أن يعلمـوا بـذلك. إن طـرقهم مختلفـة بالسـعي لهـذا، ولكـن الهـدف نفسـه، الوجهـة نفسـها.. عبـر المـال، عبـر السـلطة، عبـر البروسـتيج، عبـر الامتثــال وتقليــد المجتمــع والانــدماج معــه، عبــر الانتمــاء للقطيــع.. قطيــع الــدين، السياسـة، الفلسـفة.. الانتمـاء إلـى العائلـة، إلـى الأمـة.. عمـا تبحثـه أنـت؟ إن المخـاوف تحـيط بـك مـن كـل جانـب، وتبـدأ فـي الحمايـة نفسـك فتختلـق الحـواجز قـدر مـا تسـتطيع. ولكـن بعـض هـذه الحـواجز سـتعيقك عـن الحيـاة نفسـها. وبمجـرد أن تعـرف هـذا سـتفعل مـــا يعنـــي أن تكـــون Sannyas[33]، أن تكـــون مـــن الصـــفوة والنخبـــة الخالصـــة.

[32] النفسي

[33] راجع هامش رقم22.

هو أن تقبل الحياة بدون ضماناتها، لأنها غير آمنة في حقيقتها. يعني أن ترمي جميع الضمانات جانبا وتسمح للحياة أن تتملكك وتلتف حولك. هذه الخطوة خطيرة. ولكن هؤلاء الذين قبلوا بأن يأخذوا بزمام المخاطرة وقبول الحياة بخطورتها كما هي، يكافئوا بقدر ما للحياة من ثراء وعظمة... إنما الآخرون هم فقط يتنفسون دون أن يشعروا بثراء الحياة الحقيقية.

هناك فرق بين البقاء وبين الحياة. البقاء يعني أن تجرجر جسدك المتثاقل من المهد إلى اللحد، تنتظر موعد الدفن في القبر. ولماذا تشعر بالخوف أثناء قطعك للمسافة التي تخطوها -من المهد إلى اللحد؟- فالموت محتم على الجميع، وليس لدينا شيء ما لنخسره. فلقد أتينا منذ الولادة بدون أي شيء، وسنموت أيضا بدون أي شيء. إن المخاوف التي نشعر بها ما هي إلا اسقاطات نفسية[34]. فلو كان الموت غير محتم على الجميع، ستكون فكرة الحواجز وفكرة الضمانات فكرة رائعة لتجنب الموت، ستكون فكرة ذكية جدا، ومن الذكاء أن نخلق حواجز بيننا وبين الموت! ولكن لا أحد يستطيع أن يتجنب الموت، فالموت محتم على الجميع، وبمجرد قبولك لفكرة وجود الموت، فإنه يفقد كل سلطته وسلطانه عليك.

من المعروف جيدا، أن الجنود الذاهبون إلى الحرب يرتعدون، وفي أعماقهم يعرفون بأنهم في المساء قد لا يعودوا إلى الوطن. لا يعرفون من سيعود ومن لن يعود. ومن المحتمل أن كل جندي يشعر بأنه لن يعود إلى الوطن.. ولكن لاحظوا علماء النفس ظاهرة غريبة: عندما يصل الجنود إلى الخطوط الأمامية، فإن جميع مخاوفهم تتلاشى، ويبدئوا بالقتال بشجاعة وذكاء. أي عندما تقبل الموت، يختفي ألمه عنك.. بمجرد أن يتيقنوا الجنود من وجود الموت المحتم حولهم، فإنهم ينسونه تماما. لقد كنت مرات كثيرة مع الجيش، ولدي أصدقاء كثيرون يعملون في الجيش.. ومن الغريب أنهم من أكثر الناس استمتاعا واسترخاء.. في أي يوم، قد يسمعوا النداء "انظم إلى القوات" ومع ذلك تجدهم يلعبون الورق والجولف ويشربون ويرقصون.. يستمتعون بالحياة إلى ذروتها وبكليتها.

ومرة قلت لأحد الجنرالات الذي اعتاد أن يأتي إلي، سألته: "كيف تستطيع أن تظل سعيدا، بينما أنت تحضر نفسك للموت في كل يوم وكل لحظة؟" فقال لي: "وهل يوجد شيء آخر أستطيع عمله؟ فالموت مؤكد لا محالة".

بمجرد أن يكون الموت محتم لا تستطيع تجنبه أو الهروب منه، وعندها يتبدل البكاء والنحيب والشكوى بالرقص والاستمتاع.. لما لا نقضي حياتنا هكذا؟ لما لا نعش كل لحظة بكاملها، حتى لو لم تأتي اللحظة الأخرى في المستقبل، حتى لو نموت بهذه اللحظة.. على الأقل نكون قد عشناها بفرح وبكليتها، ولن نندم بأننا أضعناها بالبكاء والحزن. بإمكان المرء أن يموت بفرح، لأنه عاش بفرح.

---

[34] أجد أن الحياة بطبيعتنا لو نظرنا إليها، لا توجد ضمانات، لأننا لم نأتي ومعنا ثروة بل خلقنا عرايا. ولكن ما خلقه الإنسان من مال وسلطة وأبهة، تجعل فكرة الضمانات مرافقة لما صنعه الإنسان. أي أن الخوف من فقدان الأمور التي صنعها الإنسان بنفسه. ولهذا الخوف هو اسقاط نفسي على كل ما ابتكرته وصنعته النفس. ولكن في حقيقة الحياة الطبيعية، لا خوف من الغد. ولو نظرنا إلى الحيوانات سنجد السنجاب مثلا يخزن البندق تحت التراب في أماكن متفرقة، لكي لا يخسرها كلها، لأن فكرة المخاطرة موجودة ولا يوجد ضمان لديه. فلو وجد الضمان لكان قد خزن جميع حبات البندق في مكان واحد واستراح.

لكن قلة من الناس فهموا كيف تعمل حياتهم السيكولوجية في داخلهم. فبدل أن يعيشوا ويحيوا الحياة ويستمتعوا، بدؤوا في حماية أنفسهم، أخذوا يضعون الحواجز كي لا تنطلق طاقة الحياة والفرح والرقص، وصاروا مغرمون بمزيد من المال ومزيد من السلطة ومزيد من الضمانات المختلفة. بهذا فإنهم يحولون الطاقة نفسها التي من الممكن أن تكون فرح وابتهال وحب، يحولونها من الحب ويحبسونها في سجن الزواج.

الزواج حالة من ضمان الحب بحكم من الاقفال وفق القانون وبالأعراف والتقاليد الاجتماعية. ولا يمكنك أن تكسره، لأنك تراعي ما سيقوله الناس.. قد يختفي الحب يوما، ولكنك تستمر بالتظاهر أمام الناس. قد يختفي الحب، لأن الحب ليس بيت لتملكه، ولا سيارة تحصل على مفاتيحها في يدك، إنما الحب يأتي مثل النسيم، ويغادر كما يغادر النسيم. وهؤلاء من لديهم وعي وبصيرة سيرقصون مع النسيم، يتلذذون به وبعطره. وعندما يغادر، فهم لا يؤسفون ويحزنون من أجله. لقد كان هدية نسيم من المجهول، وقد يأتي مرة أخرى من المجهول أيضا. صحيح، يرقصون حتى يأتيهم النسيم ليرقصوا أكثر مرة أخرى. وبهذا يتعلمون ببطئ الصبر العميق وحسن الانتظار. ولكن معظم البشر يفعلون العكس تماما، يخافون من نسيم الحب، ويهربون منه.. يقفلون كل الشبابيك والأبواب ويسدون كل الشقوق في سقف بيتكم هربا منه. هكذا يضمنون أنفسهم بعيدا عن النسيم، لأنه يأتي من المجهول ولا يستطيعون التحكم به. يضمنون أنفسهم عبر ما يسمى بـ الزواج. ولكن الأن، بعد أن أغلقوا جميع النوافذ والأبواب، وبعد أن سدت جميع الشقوق في الجدران والسقوف.. ينتظرون أو يحاولون أن يستنشقوا عبير ما.. أو نسيم شذي يهب عليهم! لن يجدوا إلا ريح بالية، هواء ميت عكر. لأنهم فصلوا أنفسهم عن جمال النسيم العليل بأيديهم.

لا يوجد شيء ما في الحياة يمكن اصطياده وأسره وتملكه. على المرء أن يعيش في الفضاء المفتوح، سامح لكل التجارب أن تحدث، ويكون ممتنا وشاكرا حتى النخاع طالما أن التجارب مستمرة.. ممتنا شاكرا لا يقلق بشأن الغد. وإذا كان اليوم قد جلب لي صباحا مشرقا جميلا فيها من تغاريد الطيور ما فيها وعبير الزهور ما فيها، فلما القلق بشأن الغد؟ الغد سيأتي وسيكون يوما جديدا، وصباح جديد وتغريدات جديدة لطيور جديدة.. وربما قد تحمل أشعة الشمس ألوان مختلفة مختلفة، ربما تغني الطيور أغاني جديدة، ربما يصاحبها مطر، أو ريح.. هذا هو فن الجمال، فلكل يوم جماله الخاص به.

من الجيد أن تستمر الأمور بالتغيير، ولا تبقى على حالها. وكل يوم لا يكون مكررا كسابقه.. وهكذا تكون اثارة وابتهاج وانجذاب الصوفي للحياة.. وإلا سيشعر المرء بالضجر.. لهذا الناس يشعرون بالضجر.. الذين تبنوا حياتهم وجعلوها آمنة جدا.. يشعرون برتابة وملل، فقد ملّوا من زوجاتهم، وأولادهم، وملوا من أصدقائهم.. الملل اليوم أصبح تجربة الجميع، على الرغم من أنهم يتسمون ليخفوا ذلك الأمر، ويقومون بالعديد من الأنشطة ليخفوا هذا الملل.

فريدريك نيتشيه[35] يقول "لا تظن بأني رجل سعيد، أنا أبتسم لأمنع دموعي.. أنشغل بالابتسام لكي أمنع دموعي.. إن لم أبتسم فسأضطر لأن أترك دموعي تنهمر" وهذه وجهة نظر خاطئة تماماً! لقد تعلموا الناس: اخف دموعك، حافظ على المسافة بينك وبين الآخرين، ذراعا على الأقل، لا تسمح للآخرين بالاقتراب منك، فعندها سيعرفون نقاط ضعفك، ومساحة عذابك، وأنواع الأمراض التي تحملها وتخجل بسببها"[36]

جميع الإنسانية اليوم مريضة بسبب أننا لم نسمح للحياة والمخاطرة فيها أن يصبح ديناً لنا. آلهتنا أصبحت ضماننا وأعمالنا الخيرية هي ضمان لنا، علومنا هي ضمان لنا، علاقاتنا الاجتماعية ضمان لنا. نحن نضيّع حياتنا كلها في تركيب الخيال ووهمه، ونقيّد أنفسنا بين الضمانات.. إن كل الأعمال الخيرية والتقشف والزهد لا شيء سوى مجهود نقوم به لأن نعيش بأمان بعد الموت.. مجهود لندخر لنا رصيد في البنك في العالم الآخر.

ولكن في هذه الأثناء، فإن الحياة الجميلة تنهر وتنساب من بين يديك! إن الأشجار جميلة جدا لأنها لا تعرف الخوف من الغد أو من نهاية العالم. الحيوانات البرية تملك عظمة وفخامة لأنها لا تعلم إن كان هناك موت، الأزهار تتراقص تحت الشمس وتحت المطر، لأنها لا تقلق بشأن المساء وما سيحل به؛ بتلاتها ستذبل، وكما أزهرت من المجهول، ستختفي مرة أخرى إلى المجهول... ولكن في هذه الأثناء.. بين هاتين اللحظتين، من البرعم الصغير إلى الذبول والجفاف، هناك فرصة ولحظات معدودة.. إما تقضيها باليأس والتذمر أو بالرقص والابتهال.

إن المرء الحاضر أبدا، يلقي بفكرة الأمان جانبا ويبدأ يعيش الحياة التي ليس فيها من الأمان شيء.. فهذه سنة الحياة، ولا يمكنك تغييرها.. وما لا تستطيع تغييره عليك أن تقبله بفرح. إنه ليس من الضرورة أن تضرب برأسك عرض الحائط، إنما ببساطة اعبر من خلال الباب بسلام ويسر.

---

[35] Friedrich Nietzsche: (1844-1900)

[36] ينكر أوشو على "نيتشيه" ذلك، لأنه لو بكي نيتشيه لا لأفرغ الحزن من داخله، ومن ثم توازنت نفسه. اقرأ الفصل الثاني من كتاب "الألم في المسرح الديني" نظرية التطهير عند أرسطو. الموجود في مكتبة الموقع.

ملاكمة الظِل

حكاية رمزية من جانغ تزو[37]:

كان هناك رجل منزعج جدا من ظله، لم يعجبه شكل ظله.. كان منزعج وحزين.. وقرر يوما أن يتخلص منه.

قرر أن يهرب من ظله ويدعه بعيدا عنه.. لذا قام وركض سريعا جدا.. ولكن في كل مرة يضع قدمه على الأرض، ويخطو خطوته التي لا يحبها، يجد الظل قد عاد معه دون أي صعوبة.

وظن أنه لم يركض بسرعة الكافية حتى يهرب بعيدا عن ظله، لهذا ركض أسرع وأسرع، من دون توقف. وفي النهاية سقط ميتا على الأرض.

لم يدرك أنه لو لم يهرب بالاتجاه المعاكس للظل، بل أن يدنو من الظل، فإن الظل سيختفي من نفسه.. لو أنه جلس على الأرض دون أن يكون هناك خطوات، فإن ظله سيتقلص وينكمش!

الإنسان هو من يخلق همومه بنفسه، لأنه يستمر في رفض نفسه، يشعر باليأس و التذمر من نفسه، لا يقبلها كما هي.. ولهذا يغوص في سلسلة من التشويش والفوضى الداخلية والبئس والشقاء. لم لا تقبل نفسك كما أنت؟ ما الخطأ في ذلك؟ كل الوجود يقبلك كما أنت، إلا نفسك التي لا تقبل نفسها!

نعم، أعرف أن لديك أهداف عليك تحقيقها، هذه الأهداف التي تلاحقها دائما نحو المستقبل.. ولابد أن يكون الهدف في المستقبل -فلا وجود للهدف في الماضي أو الحاضر!- ولكن المستقبل لا وجود له، المستقبل لا يوجد اطلاقا، بل لم يولد بعد ولن يولد. ولكن لأنك وضعت هدف لنفسك، لهذا أنت تعيش في المستقبل، والذي هو لا شيء سوى حلم تحلمه في الحاضر! وبسبب هذا الهدف المثالي، فلا تستطيع أن تعيش هنا والآن.. بسبب هذا الهدف الذي فرضته على نفسك، فأنت تدين نفسك وترفضها.

كل الأيدولوجيات والمثل العليا تحكم عليك وتُجّرمك، لأنهم يخلقون صور في ذهنك. وعندما تتواجد هذه الصورة في ذهنك تبدأ في مقارنة نفسك مع تلك الصورة الذهنية.. ستشعر دائما أن هناك نقص فيك، وشيء ما مفقود. لا يوجد في الحقيقة شيء مفقود فيك، أنت ممتاز ورائع، رائع كما أنت، طالما أن لديك احتمالية للكمال.

حاول أن تفهم هذا الشيء، لأن لو لم تفهمه بشكل صحيح، فإنك ستأخذ القصة السابقة على إنها قصة من أجمل القصص. فتنغرس في أعماقك وعقلك وتتصرف على نحوها، وتظن أن الرجل مات في سبيل المُثل العليا والقيم الجمالية.

---

[37] Chuang tzu: فيلسوفاً صينياً واسع التأثير وقد عاش حول القرن الرابع قبل الميلاد أثناء فترة الممالك المتحاربة، أي في زمن المدارس المائة للفكر وهو العصر الذهبي للفكر الصيني.

لماذا تستمر في حمل الأهداف العليا في عقلك؟ لماذا لا تكتفي بنفسك كما أنت؟ في هذه اللحظة التي نتحدث فيها، لماذا لا تصير كما الآلهة السامية السعيدة الطاهرة؟[38] من الذي يتدخل ويعوقك؟ من الذي يمنعك في أن تسلك هذا الدرب؟ في هذه اللحظة التي نتحدث فيها، لما لا تستمتع بالعطايا والرحمة والعناية الإلهية؟ أين هو المانع والعائق لأن تتمتع بكل هذا، الآن في هذه اللحظة؟

العائق أو السد يأتيان من الأهداف العليا. كيف لك أن تستمتع وأنت مليء بكثير من الغضب ومن الشهوة والرغبة الجنسية؟ أولا على الغضب أن يختفي.. وقبل أن يختفي الغضب على الجنس أن يذهب. كيف تصبح كالإلهة التي تحتفل في هذه اللحظة وأنت مليء بكثير من الطمع والشهوة والانفعالات؟ على جميع ما سبق أن يختفوا، ومن بعدها تصير كالآلهة.

بهذه الطريقة الصحيحة يضع المرء أهدافه العليا. وإنما دون الخطوات السابقة، فإن المثل العليا ستصبح دَين عليك وستحتقر نفسك بسبب أنك ستقارن نفسك مع تلك المُثُل. قد يكون المثل فكرة ما، أو ايديولوجية ما، أو شخص ما مثال أعلى بالنسبة لك. فستظل تقارن نفسك مع هذه الصور الذهنية ولن تكون كامل.. بل من المستحيل. حتى لو قلت لي "لو.." [لو وصلت إلى المثل العليا] عندها ستكون مستحيل عليك العناية الإلهية.. لان الـــ"لو.." هي أعظم فوضى.

إذا قلت لي "لو إني وصلت إلى المثل العليا أو المثال الأعلى واستوفيتها جميعها، فالله سيرحمني ويلطف بي".. ستصبح هذه المثل مستحيلة لن تستوفى من قِبلك. ثانيا، حتى لو أن هذه المثل قد اكتملت، فسيكون الوقت قد ضـــاع ولن يكون بمقدورك أن تحتفل وتستمتع. ولو استوفيت هذه الشروط فإن عقلك لن يتوقف، وسيخلق مُثُل عُليها أخرى.

هكذا أنت دائما ولحيوات عديدة، تضيّع حياتك كلها وأنت تختلق مُثل عليا وأهداف سامية، وعندها تشعر بالإدانة والدونية والسفالة، بسبب أن عقلك يحلم بخيالات بعيدة عن واقعك الذي تكرهه.. تلك الأهداف والأحلام تجعلك مضطرب منزعج دائما.

وأنا أقول لك العكس تماما: كن كالآلهة في هذه اللحظة.. اشعر بالغضب.. اشعر بالشهوة.. اشعر بالطمع.. احتفل بالحياة. وشيئا فشيئا ستشعر بالاحتفال والنشوة أكثر، وسيمحى الغضب ويصير أقل وأقل، وتبدأ تظهر فيك الرحمة، وسيقل الطمع فيك ويبدو العطاء أكثر متعة، وستدنو شهوتك.. عندها تكون قد خطوت على الطريق الصحيح. ولا يتم بالطرق الأخرى إلا من خلال هذا الطريق. وعندها يستطيع الفرد أن يحتفل بالحياة ويحياها إلى ذروتها.. وكل ما هو خطأ سيختفي. ولكنه لن يختفي من خلال محاولتك لإخفائه والابتعاد عنه!

---

38 أشار هنا إلى الآلهة، التي تكمن في وعينا البشري وتراثنا، بأنها حرة طليقة قوية سعيدة غنية سامية، ليس كما البشر الذين يعيشون على الأرض. حيث أنه يرى أن البشر هم من فرضوا على أنفسهم واقع ما، وبعيدا عن المشهد الكبير للإنسانية جمعاء، إن التفت كل فرد على ما لديه الآن في هذه اللحظة، فسيجد أنه يعيش كالآلهة التي تشعر بالسعادة والرضا دون ألم أو معاناة. حتى لو كان دون بيت أو مال أو ولد، طالما أنه يستمتع باختبار الحياة وتذوقها. فلا شيء ليخسره.

بالضبط كما لو كنت تقاتل الظلام، وكأنك تقول: أريد أن أشعل شمعة، وقبل أن أشعل الشمعة يجب أن أطرد الظلام أولا، يجب أن أنتهي من الظلام حتى أجلب الشمعة وأشعلها. هذا ما يفعله الجميع الآن. يقولون يجب أن ننتهي من الطمع أولا وعندها سنعمل من أجل الكرم والعطاء! هم حمقى. إنهم يقولون: سنطرد الظلام أولا ومن ثم نشعل الشمعة. وكأن الظلام عائق يعيقهم عن اشعال شمعة! ليس للظلام وجود، ليس له مركز أو صلابة، إنه وهم، خيال، ولا حضور حقيقي له. إنه عبارة عن غياب الضوء.. أشعل النور.. ضوي المصباح والظلام سيختفي.

احتفل، وكن الشعلة التي تمنح السعادة العظمى، وكل ما هو خطأ سيختفي من الوجود. الغضب، الطمع، الجنس، أو أي ما كان تطلق عليه.. كل ما هو سلبي في الوجود لا يعني شيء سوى اختفاء الايجابية.. اشعر بنشوة الحياة، وجميع ما دون ذلك سيختفي إلى الأبد.

فليس بمقدورك الآن أن تشعر بالفرح الحقيقي بدون مسبب خارجي.. ولهذا تشعر بالغضب.. تشعر بالغضب ليس بسبب فلان أو فلان.. إنما السبب الحقيقي هو لأنك لا تستطيع الاستمتاع بحياتك ولهذا تشعر بالبؤس والغضب. وما غير ذلك إلا أعذار فقط، شماعة تعلق عليها غضبك الذي ينبع منك. وكل هذا لأنك لم تعرف كيف تستمتع بالحياة،[39] ولهذا لا يمكن للحب أن يتحقق معك، فتجد نفسك مهوس بالجنس.. والعقل يبدأ ويخدعك ويقول: أولا حقق الشروط المطلوبة، ومن ثم سيهبط الله عليك [ويسعدك ويشعرك بنشوة الحياة] هذه واحدة من تفاهات الإنسانية.. براءة اختراع البشرية الأولى، توارثتها الأجيال.

من الصعب عليكم في هذه اللحظة أن تكونوا كالآلهة! ولكن، اسأل نفسك.. ما الذي تفتقر إليه؟ ما الشيء الذي تفتقده لتكون كذلك؟ انظر إلى نفسك.. حي ترزق.. تتنفس.. واعٍ لمجريات الحياة.. ما الذي تحتاجه بعد؟ في هذه اللحظة كن كالآلهة، حتى لو شعرت بأنك تتصنع.. حتى لو فكرت وقلت في نفسك: "إنني أفترض بأنني إله".. افترض.. أنا أريدك أن تفترض. ابدأ في: "كما لو كنت إله".. ولا تهتم بشعورك بزيف الموضوع. فقريبا ستأتي الحقيقة إلى واقعك، لأنك موجود ها هنا. وبمجرد أن تبدأ تشعر بأنك إله، فإن كل البؤس والتشويش والظلام سيختفي ويصبح نور. وهذا التحول ليس له شروط لكي يكتمل.

سأحكي هذه الحكاية الرمزية مرة أخرى:

كان هناك رجل منزعج جدا من ظله، لم يعجبه شكل ظله.. كان منزعج وحزين.. وقرر يوما أن يتخلص منه.

تذكر، إن هذا الرجل هو أن.. هذا الرجل موجود في كل فرد. هذه هي الطريقة التي تتصرف بها دائما. وهذا هي قاعدتك: أن تهرب من الظل. لماذا؟ ما الخطأ في وجود الظل؟ هذا الرجل مضطرب من ظله وحزين. لماذا عليك أن تضطرب من ظلك؟

[39] قد يسأل سائل، نحن نستمتع بالحياة، ونتلذذ بالطعام ونسافر. فأرد عليه: لا يقصد أوشو هذه المتع الخارجية، إنما يقصد المتعة الداخلية للحياة دون أي شيء خارجي.. فالمال والأصدقاء والشهرة كلها أمور خارجية، إن اختفت، اختفت بهجة الحياة في عينك. لهذا هي بهجة خادعة ليست أصلية.

ربما قد سمعت الموهومون قد قالوا يوما "بأن الآلهة ليس لها ظلال!" هذا الرجل كان مضطرب بسبب الآلهة.

يقولون أن في الجنة تشرق الشمس والآلهة تمشي فيها، ولكن لا ظلال لها، لأن الآلهة شفافة غير مرئية. ولكني أقول لك: إن هذا مجرد حلم. لا يمكن أن يتواجد شيء ما بدون ظل، إن كان الشيء موجود فإن الظل سيتواجد معه أيضا. وإن اختفى هذا الشيء، فالظل سيختفي أيضا. أن تكون موجودا يعني أن يرافقك ظل. والغضب الذي أنت فيه، وشهوتك الجنسية، وطمعك، كلها ظلال ترافقك. ولكن تذكر، أن تلك الأمور ما هي إلا ظلال.. ولا وجود حقيقي للظلال. فلا متانة مادية للظل.. الظل يعني غياب النور. فإن وقفت أمام الشمس، فإن الظل سيكون موجود.. وإن غابت الشمس، فسيغيب الظل أيضا.

ليس للظل جوهر.. أنت هو الجوهر، ولهذا السبب يظهر الظل ويختفي ولكنك تظل موجود. ولو كنتَ شبح ما، فإنك لن تجد لك ظل.. والملائكة في الجنة ليسوا إلا أشباحاً.. أشباح يُحلَمُ بهم أمثالك ومعتنقي ايديولوجيتك ومبتكري الأهداف العليا المثالية. هذا الرجل مضطرب، لأنه قد سمع بأنك ستصبح إله، بمجرد أن يختفي ظلك!

كان هناك رجل منزعج جدا من ظله، لم يعجبه شكل ظله.. كان منزعج وحزين.. وقرر يوما أن يتخلص منه.

ما هي اضطراباتك؟ إن تفكرت بعمق ستجد إنه مجرد ظل.. لماذا يضطرب المرء من ظله؟ أنت الجوهر.. وأنت المركز، ولأنك المركز وذو كيان مادي، ليس كالشبح، فالظل عبارة عن شبح يختفي باختفائك ويظهر بوجودك، وعلى الانسان أن يقبل به. ولكنه قد سمع قصة أن الآلهة ليست مادية وليس لها ظل. إن هذا مجرد حلم، لا يتواجد إلا في العقل. ولا توجد هذه الجنة التي يتحدث عنها إلا في عقله. ولا يمكن التعامل مع تلك الجنة الموهومة، وإن حاولت أن تصل لها أو تتعامل معها فلا تستطيع، وستخطئ دائما... هذه هي الطبيعة، لا يمكنك أن تفرض مبادئك عليها، بل هي من تفرض نفسها، ومهما حاولت، في النهاية ستدرك أنك لم تصل إلى أي مكان أو هدف. والظل قانون طبيعي، إن تواجدت الأجسام المادية، فسيتواجد الظل معها. وسيرافقك الظل حتى الموت.

قبل أن يطرق الموت بابك، اقبل نفسك.. إن قَبلت نفسك فستحدث معجزة. تحدث المعجزة عندما تَقبل نفسك ولا تهرب منها. في هذه اللحظة، فإن كل واحد منكم هارب من نفسه.. حتى لو أتيت إليّ في هذا المكان[40] فهذا جزء من هروبك من نفسك. لهذا لا يمكنك الوصول إليّ إن كنت تهرب من نفسك. هذه هي الفجوة أو الحلقة المفقودة. إن أتيت إليّ كجزء من هروبك من نفسك، فلا يمكنك الوصول إليّ.. لأن كل جهدي هو ألا أجعلك تهرب من نفسك بل أن تعود مجددا إلى نفسك. فلا تحاول الهرب من نفسك. ولا يمكنك أن تصير أي أحد آخر، أنت منفرد بذاتك ونادر ومتميز.. لا تهرب من نفسك حتى تصير مثل الآخر.

كما أن إبهامك يصنع بصمة فريدة ونادرة، هذه البصمة لم تكن في الماضي ولن تكون في المستقبل، لأنها خاصة لك. فلن تجد مثل بصمتك أبدا. والفكرة نفسها مع كيانك وفردانيتك..

---

[40] يقصد إلى اوشو نفسه والمكان الخاص به.

فوجـــودك مميـــز وفريـــد ولا يمكـــن مقارنتـــه مـــع أي كـــان مـــن قبـــل أو أي ســيكون فـــي المســتقبل. لهـــذا عليـــك أن تحتفـــل بوجـــودك وحياتـــك التـــي لـــن تتكـــرر.. الله قـــد اعطـــاك هديـــة قيمـــة لا شـــبيه لهـــا.. هـــذه الهديـــة التـــي أنـــت تلعنهـــا طـــوال الوقـــت.. تطالـــب بشـــيء أفضـــل مـــن هـــذا، وكأنـــك تقـــول بأنـــك حكـــيم أكثـــر من الوجود، تحاول أن تصير أفضل من الرب؟ عندها ستضل وتخطأ.

تذكر، أن الجزء لا يمكنه أن يكون أكثر حكمة من الكل. ومهما يحاول أن يفعله الجزء، فإن الكل هو المنتهى، ولا يمكنك تغييره. يمكن للجزء أن يقوم بعمل يضيع به حياته ولكنه لن يحقق شيء بالنسبة إلى الكل.

الكل فسيح وضخم وشاسع وكبير.. أنت فقط عبارة عن خلية صغيرة، قطرة ماء في محيط عميق. كل المحيط مالح، والقطرة تحاول أن تكون حلوة الطعم؟ هذا شـيء مسـتحيل. ولكن الأنا ego تحاول أن تفعل المستحيل. يقول جانج تزو بأن "السـهل هو الصـحيح" كل شـيء يسـهل القيام به يكون هو الصـحيح. فلماذا لا تكون سـهل وتتقبل ذاتك؟ لماذا لا تقبل ظلك بدل أن تتعارك معه؟ بمجرد أن تقبل الظل فإنك سـتكف عن الاكتراث به.. وسـيختفي من أمام عينك.

فما المشـكلة من تواجد الظل؟ كيف للظل أن يخلق مشـكلة؟ لماذا نصـنع مشـكلة من وجود الظل؟ ها أنت في كل يوم تخلق مشكلة من لا شيء. هذا الرجل في القصة الذي كان مضـــطرب وحزين من ظله! كان يمكن أن يكون كالآلهة بلا ظل، كان يود أن يتخلص من ظله.

ولكن في حقيقتك أنت الآن وفي الماضـي كما الآلهة، ولا يمكنك أن تكون غير ذلك. وكل محاولتك للتقرب نحو حياة الآلهة، هذا يعني بأنك تحاول الاقتراب من كيانك الحقيقي، والذي هو موجود من أجلك.. قد تهيم، قد تجول، قد تطرق أبواب الآخرين.. ولكن لا يزال هذا عبارة عن لعبة الغميضـــة الذي قد يلعبها الأطفال مع أنفســـهم في كثير من الأوقات!.. تطرق أبواب كثيرة، وتتهوه عن منزلك، ولكن ســـيظل منزلك موجودا وســـتطرق بابك وسـتجد بأن المفتاح في يدك. أو قد تجده مفتوحا بلا أقفال! ولكن إن طال الزمان أو قصـر، فإنك سـتصـل إلى بابك، وحينها سـتتيقن بأن بابك ظل موجودا طوال رحلتك البعيدة عنه. لا أحد يستطيع أن يأخذه منك.. الوجود، الطبيعة، التاو، الألوهية، موجودة فيك وأنت موصول بها.. ولا يمكن لأحد أن يأخذها منك أبدا.

كان الرجل منزعج ومشـــوش من ظله. واختار طريقة أن يهرب بعيدا عن ظله! وهذه الطريقة هي المعتمدة في هذه الأيام من الكل... يبدو أن العقل له منطق خبيث وشـرير للتعامل مع تلك الأمور؛ مثلا، إذا شعرت بأنك غاضب، فما الذي ستفعله؟ سيقول لك العقل: "لا تغضـب، خذ العهد على نفسك وانذر".. سـتكبت هذا الغضـب.. وكل مرة سـتكبت أكثر وأكثر، وكلما كبت الغضـــب وأســـكته ســـيتجذر في أعماقك أكثر وأكثر. عندها لن تكون غاضـب من وقت لآخر. لأنه إذا كبت الكثير من الغضـب ستكون غاضـب بصـورة دائما.. سيكون كالسم الذي ينتشر في أحشائك، وسينتشر هذا السم في كل علاقاتك، حتى لو كانت علاقة الحب التي تكن لها كل التقدير والاهتمام.. سـتتدمر بسـبب ذلك الغضـب المكبوت. سيصـير الغضـب رفيقك الحميم، وسيكون الفرح والحب حالة صـعبة لا يمكن الشـعور بها.

حتى لو حاولت أن تساعد أحد ما، فإن هذه المساعدة ستكون عبارة عن سم، لأن تصرفاتك ستعكس ما تحمله في نفسك! وحينها سيقول لك عقلك: "أنت لم تتحكم بنفسك كما يجب، لم تضغط على نفسك بالشكل الكافي.. اضغط أكثر واحكم غيضك!" وهكذا سيزداد الغضب أكثر وأكثر.[41]

عقلك الآن دائما يميل إلى الجنس والشهوة، ذلك بسبب الكبت. حتى لو كنت تكره الجنس.. ليس بالضرورة أن يقودك الكبت إلى الادمان الجنسي، وإنما قد يجعلك تكره الجنس. العقل يستمر في لعبته معك ويقول: "اضغط أكثر على نفسك، ابتكر طرق وأساليب أخرى لتبتعد عن هذا وتزداد طهارتك" ولكن في الحقيقة لن تزدهر الطهارة بهذه الطريقة. كبت الجنس لن يقف عند حدود الجسد فقط، بل إنه سيصعد إلى الفكر أيضا. سيصل الكبت إلى الفكر، وسيكون الضغط فكريا أيضا، وسيستمر الفكر في التفكير بما هو ممنوع مرة تلو الأخرى.. ومن هنا جاءت فكرة الأفلام الاباحية إلى العالم!

لماذا يحب الناس رؤية صور النساء العاريات؟ ألا تكفيهم امرأة واحدة؟ بالطبع تكفي امرأة واحدة. ولكن لماذا يستمتع المرء في رؤية صور العرايا؟ ما الحاجة إلى ذلك؟ ويقول أحدهم بأن الصورة مغرية أكثر من المرأة الحقيقية. المرأة الحقيقية لها جسد وظل، وستكون خطواتها موجودة، وسيسمع المرء وقع خطاها، وسيتشكل ظلها خلفها.. بينما الصورة تكون المرأة فيها كالحلم.. مثالية ليس لها ظل. المرأة الحقيقية ستعرق حين المجامعة وقد يفرز جسدها الرائحة، بينما المرأة في الصورة لن تعرق.. قد تغضب المرأة الحقيقية، بينما الصورة لن تغضب أبدا.. قد تهرم المرأة الحقيقية وتصبح عجوز، بينما الصورة ستبقى المرأة فيها شابة للأبد.. المرأة الحقيقية سترتبط بجسد المرء.. بينما الصورة سترتبط بفكر المرء لا بجسده. وهكذا، فإن الكبت الذي يتعدى الجسد إلى الفكر فإن صاحبه سيصبح مهوس بالجنس الفكري.. بصور العرايا. سيفكرون بالجنس والشهوة، وستكون أحاديثهم مبطنة بالجنس والايحاءات الجنسية.. [وستجد أعمالهم الخيّرة يقومون بها بدافع أن يصلوا إلى العالم الآخر الذي سيمارسون فيه الجنس مع النساء] هذا هو مرض ووباء هذا العصر.

إذا كنت تشعر بالجوع والحاجة للطعام، فلا بأس في ذلك.. اذهب، وتناول الطعام. ولكن إن كنت تفكر بالطعام طوال الوقت وباستمرار.. هذا يعني بأنك تعاني من مرض ما وهوس. المرء الطبيعي يشعر بالجوع، فيفكر بالطعام، يأكل ثم تتلاشى فكرة الطعام من عقله. والمرء الذي يفكر دائما بالطعام عند الحاجة وعند غير الحاجة فهذا هو المرض والهوس.

[41] قد يتناقض في الوهلة الأولى مع ما نعرفه عن "الكاظمين للغيض" ولكن الكاظمين للغيض هم هؤلاء الذين يستطيعون تحويل الطاقة السلبية إلى ايجابية في نفسهم. وهذا لا يولد الكبت لأنهم يستطيعون تحويلها. ولكن معظمنا في حالة من الغفلة التي يسحبها العقل لما يهوى حسب مجريات الواقع والمجتمع حولنا. ولهذا نكبت الغضب ولا نحوله في معظم الأحيان إلا ما شذ وندر لمن يراقب أفكاره ويراقب الله في أفعاله وافكاره واقواله.

كانت زوجة ملا نصر الدين[42] مريضة، وقد اجريت لها عملية ما. وقد عادت إلى المنزل قبل عدة أيام.. وأخذوا الناس يسألون ملا نصر الدين: "كيف هي زوجتك الآن هل شفيت من العملية؟" وكان دائما يقول: "لا لم تتشافى بعد، فهي لا زالت تتحدث عنها!"

إن كنت تفكر في شيء ما وتتحدث عنه دائما، فسيظل موجود. وقد يصبح أخطر من السابق.. لأن الجسد قد يشفى، ولكن لا يشفى العقل وسيتمر إلى ما لا نهاية بالتفكير بالمرض والألم. الجسد قد يتعافى ولكن لو العقل لن يتعافى إن استمر المرء يفكر بالمرض أو الألم.

إذا ما قمعت الجوع في الجسد، فإنه يغير طريقه ويذهب إلى العقل. إن القمع لا يحل المشكلة ولن يطرد الجوع خارج الجسد، بل يأخذها أكثر نحو الداخل.. اكبت أي شيء وسيدخل إلى العمق أكثر، إلى الجذور أكثر. وإن حصل هذا فإن العقل سيفكر! وسيقول: إن لم تحل تلك المشكلة بالمجهود القليل عند البداية، فإنك تحتاج لمزيد من الجهد لتحل المشكلة، لمزيد من القمع لتخفي المشكلة.. والمشكلة تدخل أكثر وأكثر نحو العمق وتتجذر فيك!

لم يدرك انه لو لم يهرب بالاتجاه المعاكس للظل، بل أن يدنو من الظل، فإن الظل سيختفي من نفسه..

لدى العقل خيارين فقط: المقاومة، أو الهرب. القتال، أم الهرب. النضال أو الهرب.. عندما تظهر أي مشكلة ما، فإن العقل يفكر؛ إما أن أكافح أو أهرب من المشكلة. وكلا الخيارين خاطئين! إن قاتلت المشكلة، فستستمر متواجدا مع المشكلة بصورة دائما.. إذا قاتلت وناضلت فسيتشتت عقلك أكثر، لأن المشكلة ليست في الخارج بل في الداخل.

مثلا، إن كنت تشعر بالغضب، وحاولت مقاومته ومقاتلته، فما الذي سيحدث؟ نصف كيانك سيكون مع الغضب، والنصف الآخر سيكون ضد الغضب.. الأول متعاطف والآخر محارب. وكأنك تجعل يدك اليمنى تقاتل وتقطع يدك اليسرى! من الذي سيفوز؟ ببساطة ستتشتت وتتدهور طاقتك، ولن ينتصر أحد. قد تخدع نفسك وتقول لها بأنك المنتصر على الغضب.. ولكنك مخطأ، لأن الغضب قد يختبئ ولكن لن يموت، سيختبئ وستجد نفسك تجلس عليه.. وسيكون مطلوبا منك أن تجلس دائما على الغضب ولن يسمح لك أن تأخذ إجازة بدون أن تشعر بالغضب.. وإن سمحت لذرة من الغضب أن تطفوا على السطح وتظهر أمام الآخرين، فستخسر جميع انتصاراتك ولياليك الشاقة في أن تحافظ على جسدك الذي يدوس على الغضب ويكبته.[43]

إذن الناس الذين يكبتون شيئا، سيجلسون عليه دائما. ستجدهم دائما يجلسون على ما يكبتوه. ستجدهم متوترون لا يستطيعون الاسترخاء.. لماذا لم يعد الاسترخاء سهلا؟

---

[42] Mulla Nasruddin: هو اسم الشيخ التركي نصر الدين خوجه الرومي، والذي تنسب له معظم قصص جحا العالمية. حيث تختلف الشخصيات التي تنسب لها قصص جحا من تراث أدبي إلى تراث ادبي آخر.

[43] هذا يحدث دائما مع جميع الأحاسيس والانفعالات.

لماذا ظهرت فنون الاسترخاء ومدارسه الآن؟ لماذا لا تستطيع النوم بسهولة؟ لماذا لا تدع المشاعر والأحاسيس تمضي في طريقها وترحل؟ الجواب هو لأنك قمعت الكثير من الأحاسيس.. ولهذا تخاف أن تسترخي قليلا وترخي عضلاتك، فيطفوا من تحتك ما كبته في الماضي.. إن ما تسميهم أنت متدينون، لا يستطيعون الاسترخاء، يعلمون ما إن يسترخوا حتى يظهر العدو الذي يكرهونه، يظهر من أعماقهم.

العقل يفكر، إما أن تقاتل أو تهرب، إن قاتلت فستكبت ما تقاتله.. وإن هربت؟ فإلى أين ستهرب؟ حتى لو ذهبت إلى جبال الهمالايا، فسيلحق بك غضبك. لأنه ظلك. ستلحق بك الشهوة الجنسية، لأنها ظلك.. أينما كنت سيكون ظلك معك.

قرر أن يهرب من ظله ويدعه بعيدا عنه.. لذا قام وركض سريعا جدا.. ولكن في كل مرة يضع قدمه على الأرض، ويخطو خطوته التي لا يحبها، يجد الظل قد عاد معه دون أي صعوبة.

كان متعجبا! كان يركض بسرعة، ولكن لم يكن هناك صعوبة للظل أن يتبعه بسهولة، حتى أن الظل لم يلهث كما الرجل أو يتنفس بصعوبة. لم يكن هناك صعوبة من جانب الظل كي يلحق بالرجل. لأن الظل ليس شيئا حقيقيا، إنه لا أحد ولهذا لن يتعب في اللحاق بك. لا الهرب ولا حتى القتال والمقاومة تفيد.. أين ستهرب؟ حيثما ذهبت ستحمل نفسك مع ظلك وترحل من هذا المكان إلى مكان آخر.. سيتواجد الظل معك دائما.

ظن الرجل أنه لم يركض بسرعة الكافية حتى يهرب بعيدا عن ظله، لهذا ركض أسرع وأسرع، من دون توقف. وفي النهاية سقط ميتا على الأرض.

على الفرد أن يفهم منطق العقل. إن لم تفهمه فستكون ضحية له. إن للعقل منطق خبيث! شكلها كالدائرة تماما، الدائرة مستديرة، ليس لها بداية ولا نهاية، فإن تبعت منطق العقل فلن يأخذك نحو الداخل أو نحو الخارج، بل ستظل في حدود الدائرة بدون نهاية ولا بداية. دائرة مفرغة. هذا الرجل في القصة منطقي تماما، ولن تجد أي خطأ في تصرفه، لن تعثر على أي هفوة في منطقه. إنه منطقي تماما كما هو أرسطو. يظن بأنه بطيء في الركض ولهذا استطاع الظل أن يلحق به، وعليه أن يركض بسرعة حتى يعجب الظل باللحاق به. ولكن بقي الظل يلاحق الشخص، مهما زادت سرعته، لأن الظل هذا للشخص هذا، وليس لشخص آخر. إن كان هذا فإن المنطق صحيح تماما.

لو كان هناك أحد ما يلحق الرجل، عندها سيكون المنطق صحيحا -حيث أن الرجل لم يركض بشكل سريع حتى يهرب من صاحب الظل- ولكنه كان مخطئ، لأنه لم يكن هناك أحد غير هذا الرجل. ولهذا لم يستفد الرجل من منطقه الذي مصدره العقل.

العقل مفيد في التعامل مع الآخرين. والتأمل مفيد لنفسك. العقل للآخرين، واللاعقل لنفسك.. هذه هي القاعدة التي يؤكدها الصوفيون، والزن والجانج تزو والحاسيديم.. [44] كل هؤلاء من بوذا إلى عيسى، إلى محمد.. كلهم عرفوا هذه القاعدة.. كل تركيزهم كان لكي تستخدم عقلك للآخرين، والتأمل لنفسك.

هذا الرجل دخل في مشكلة، لأنه استخدم العقل لنفسه، والعقل له نظامه المعتاد في حل القضايا.. العقل يقول له اركض أسرع وأسرع حتى تهرب، إذا ركضت كفاية فإن الظل لن يلحق بك. لقد عزا فشله لحقيقة إنه لم يركض بالسرعة الكافية!

كان الفشل موجود في المقام الأول لأنه كان يركض! ولكن العقل لا يستطيع قول هذا. لم يتعلم العقل هذه الطريقة في التفكير.. إنه مثل الكمبيوتر الذي ينفذ الأوامر، يجب أن تعطيه البيانات والأوامر.. إنها عملية ميكانيكية.. لا يمكن للكمبيوتر أن يقدم أي شيء جديد.. وكذلك العقل لن يعطيك إلا ما قمت بتخزينه سابقا.. وأي شيء سيمنحه لك يسكون مستعار، ليس إلا. وإن كنت مدمن على سماع عقلك فستكون تلك هي مشكلتك التي اعتدت ممارستها. وسيعيقك عقلك عن التقدم والنضج أكثر.. سيضرك أكثر مما ينفعك إن لم تعرف متى وأين وكيف تستخدمه، ومتى تضعه جانبا.

> لقد سمعت أن حدث مرة أن ابن ملا نصر الدين جاء من دراسته العليا في المدرسة إلى المنزل، ومعه كتاب عن الدراسات الجنسية. كانت أمه قلقة جدا وتنتظر عودة زوجها نصر الدين ليصل إلى المنزل، على أن يقوم على ايقاف هذه المهزلة التي يقوم بها الولد الشاب، بسبب هذه الجامعة!
>
> حينما وصل نصر الدين المنزل، تحدثت معه زوجته وأرته الكتاب!
>
> ارتبك نصر الدين أيضا، وأخذ يبحث عن ولده في المنزل.. صعد إلى الأعلى، فوجد ابنه في غرفته يقبّل الخادمة! فقال له: "ابني العزيز، عندما تنتهي من هذا الواجب، تعال إلى الأسفل، سنتحدث معك بشأن أمر ما"

هذا منطقي جدا، للمنطق خطواته الخاصة، وكل خطوة تبنى على السابقة إلى ما لا نهاية. فزع الرجل من ظله، فتوجه إلى عقله ليتخلص من ظله عبر الركض أسرع وأسرع! دون أن يتوقف من الركض حتى سقط ميتا في النهاية.

هل لاحظت أن الحياة لم تتحقق لك بعد؟ أي أنك لم تعش لحظة واحدة بكاملها لتستمتع بالحياة الرائعة؟ وأؤكد لك بأنك لم تختبر ولو للحظة واحدة من اللطف والنشوة التي عاش بها بوذا ومحمد وعيسى. ما الذي ستختبره أذن؟ لن تختبر شيء سوى الموت.. كلما اقتربت من الموت كلما ركضت أسرع، لأنك تعتقد بأن كلما أسرعت بالركض كلما نجوت بنفسك بعيدا عن شبح ظلك الذي يخيفك!

---

[44] Hasids - Chuang tzu: تم تعريفهم في هوامش الصفحات السابقة.

إلى أين تركض بسرعة هكذا؟ الإنسان وعقله مهوس بالسرعة، كما لو إننا سنصل إلى مكان ما، وكأن السرعة ضرورية لتحقيق هدف ما! لهذا أصبحنا نمارس السرعة بكل شيء أكثر وأكثر.. إلى أين ستصل؟ في النهاية سواء كنت سريعا أو بطيئا، ستصل إلى الموت! والكل سيصل إلى الموت في اللحظة المناسبة.. ولن يتأخر أحد عن هذه اللحظة، ولن يهرب أحد من هذه اللحظة.. لحظة الموت! قد سمعنا أن قله من الناس قد وصلوا إلى الموت قبل موعدهم، ولكن لم نسمع بأن هناك أحد تأخر عن الموت.. لقد وصل البعض إلى الموت باكرا قبل موعدهم بسبب أطبائهم!

لقد ركض وركض حتى سقط ميتاً. لم يدرك لو أنه اتجه نحو الظل
فإن الظل سيختفي من نفسه.. لو أنه جلس على الأرض دون أن يكون هناك
خطوات، فإن ظله سيتقلص وينكمش!

سيكون من السهل عليه إن ركض باتجاه الظل حيث لا وجود للشمس، لا أن يركض باتجاه الشمس. الظل سيختفي ما إن تختفي الشمس.. إن جلست تحت شجرة والشمس فوق تلك الشجرة، فإنك ستدخل في الظل ولن تجد الظل.. ولكن إن وقفت بعيدا عن الشجرة فإنك ستقف تحت شعاع الشمس وسترى الظل موجود أمامك.

هذا الظل تحت الشجرة هو الصمت، هو ما يسمى بالسلام الداخلي. لا تستمع للعقل، فقط ادنو نحو فيء الشجرة، نحو العتمة، نحو السلام والصمت الداخلي حيث لا وجود لأشعة الشمس.

يبقى المرء دائما في الخارج، ويحرص على أن يجلس تحت النور دائما. هذه هي المشكلة. تتعامل مع الضوء، مع العالم الخارجي، ولهذا تخلق ظلك بنفسك. اغلق عينيك وتحرك نحو الظل.. إن اللحظة التي تغلق بها عينيك ستختفي الشمس من حياتك ولن تعد هناك مشكلة بين الظل والضوء. لهذا كل التأملات تحث على اغلاق العينين، تحثك على التوجه نحو الداخل، حيث أن لا وجود للظل ولا للضوء في الداخل. أما في الخارج فستجد أشعة من الألوان المختلفة وأشكال من الظلال المختلفة.. هذا هو المجتمع. هل أدركت يوما أن غضبك، وشهوتك وطمعك وطموحك ما هي إلى جزء من المجتمع؟ إن تركت المجتمع خارجا وتوجهت نحو الداخل، فلن تجد للغضب مكان، ولن تجد للشهوة نصيب!

تذكر، بأنك حتى لو أغلقت عينيك، فهما ليستا مغلقتين تماما، لأنك لا زلت تحمل صور وأصوات من الخارج على الداخل، وستجد المجتمع نفسه منعكس في باطنك. ولكن لو استمريت بالتحرك نحو الداخل، فإن عاجلا أم آجلا سيغادرك تلك المجتمع وتظل وحيدا في الباطن، حيث الصمت والسلام الداخلي.

في المركز، في وسط ذلك الباطن الهادئ، داخلك، لا وجود للغضب ولا وجود للمقاومة ولا للجنس ولا للتبتل والعزوبة ولا للطمع ولا للكرم ولا للعنف ولا للتسامح نصيب، لأن كل تلك الأمور هي عناصر تتعلق بالمجتمع. في باطنك الحقيقي النقي، لا وجود لتلك الأفكار أبدا. إن حقيقتك التي لا تتبدل ولا تتغير وفق الظروف هي حقيقتك النقية بأنك موجود وبأنك كائن ذو وعي موجود في هذا الكون.. بأنك شاهد فقط، تماما كما هو الله. هذا ما أعنيه أن تكون إله، فرد نقي بلا أفكار أو أحاسيس تصارع بعضها بعضا، بل وعي نقي خالص.

لقد فشل في إدراك أنه لو تحرك باتجاه الظل، فإن الظل سيختفي!

ولو أنه جلس، لبقي ثابتا، ولن يسمع صوت خطواته الذي كان يكره. لقد كان الحل سهل جدا. ولكن هذا الحل البسيط السهل، كان صعب على العقل أن يفهمه أو يقبله أو يدركه. لأن العقل يجد الركض أسهل، الفرار أسهل، القتال أسهل.. فمن خلال تلك الأمور يكون العقل منشغل في فعل شيء ما، في ممارسة شيء ما. ولكن إن آمرت عقلك بالتوقف عن ممارسة أي من تلك الأفعال! فإنه لن يتقبل ذلك، وسيستصعب الأمر، وقد يطلب منك أن تردد أو سبّح، أو تردد تعويذة ما، مانترا ما.. أووووم أوووم، راااام رااام. سيطلب منك أن يقوم بشيء ما، سيتساءل! "كيف لي أن أبقى صامتا دون أن أقوم بشيء ما، دون أن أفكر أو أركض أو أهرب أو أقاوم ما أجده أمامي؟"

العقل نشط.. والكينونة هي اللا-نشاط..

العقل يحب أن يعمل، يحب الركض. لكن أن يتحقق المرء في كينونته، أي أن يعيش عمق الحياة والوجود، لابد عليه أن يجلس. لأن السطح الخارجي الظاهر يحب الحركة.. بينما العمق والمركز فهو صامت لا يتحرك. انظر إلى العربة المتحركة! تجد العجلات تدور وتتحرك ولكن المركز ثابت في مكانه.. هكذا المرء، كيانك العميق ثابت لا يتحرك، وسطحك الخارجي هو الذي يتحرك. وهذا الأمر نتذكره في رقصة الدراويش الصوفية، تأمل الدوّامة. عندما تمارسها، ستجعل جسدك هو السطح الذي يدور ويتحرك، وباطنك العميق ثابت لا يتحرك.. تماما كعجلة العربة. الجسد هو العجلة.. هو الظاهر، هو السطح، وأنت هو الباطن الثابت. وبعد وهلة من الزمن ستدرك أنه على الرغم من حركة الجسد الدائرية السريعة، ستشعر بالداخل بأنك ثابت... ولكما زادت سرعة حركة الجسد كلما زادت المسافة بين باطنك وظاهرك وصار أسهل لإدراك ذلك.

ولكن المرء يتحرك دائما مع جسده، هذا لا يخلق الانفصال. والعقل دائما يدفعك لأن تقوم بعمل ما تنشغل به. هذا لا يخلق انفصال.. ولكن ماذا لو جلست ببساطة هكذا؟ دون أن تقوم بشيء! اغلق عينك واسترح جالسا، واسمح لكل شيء أن يستقر ويسكن.. سوف يستغرق هذا وقت، لأنك لم تشعر بالاستقرار لحياة عديدة.. كنت دائما تخلق الاضطرابات. لهذا سيأخذ السكون وقت كي يتحقق. ولكن المسألة مسألة وقت، لا يتوجب عليك عمل أي شيء حيال هذا. فقط اغمض عينك واسترح. يطلقون رجال الزن على هذا الأمر بـ"Za-zen".. وهي عبارة عن الجلوس دون العمل أي شيء اطلاقا.

هذا ما يقوله جانج تزو:

إنه فشل في إدراك أنه لو خطى نحو الظل فإن الظل سيختفي. ولو بقي ثابتا في مكانه فلن يكون هناك صوت وقع خطوات يكرهه.

لم يكن هناك حاجة للقتال، ولم يكن هناك حاجة للهروب. الأمر الوحيد الذي كان بحاجة له هو أن يتجه إلى العتمة أو الظل ويبقى صامتاً ثابتاً.

هذا ما عليك عمله طوال حياتك. لا تتعارك مع أي شيء. ولا تحاول الهرب من أي شيء. دع الأمور تأخذ مجراها.. ببساطة اغمض عينيك واتجه نحو باطنك، حيث لا يوجد لأشعة الشمس وجود. ولا يوجد أيضا ظل.. وهذا هو ما تعنيه أسطورة "أن ليس لله ظل"..

لا تعني أن الله يتواجد في مكان ما وأنه لو وقف أمام الشمس لما كان له ظل! إنما يعني بأن الله الذي فيك وفيني ليس له ظل، لأنه ليس شيء ظاهري خارجي.. الله دائما متواجد في داخلك.

جانج تزو يسمى الظل بالـ Tao[45]، التاو هو طبيعتك الداخلية العميقة.. في اللب، في الجوهر، في العمق، في المركز.

إذن، ما الذي يجب عمله؟

لا تستمع للعقل، هذا أول نقطة مهمة. نعم، العقل أداة جيدة للأمور الظاهرة والخارجية. ولكنه يعتبر عائق لجميع الأمور الباطنية. المنطق جيد للتعامل مع الناس من حولك، لكنه غير مفيد للتعامل مع نفسك. حينما تريد أن تعالج مشكلة مان فإن المنطق والشك ضروريين. إن جميع العلوم تعتمد على مبدأ الشك.. إنما الدين يعتمد على الأيمان والثقة. اجلس ببساطة بثقة عميقة.. صمتك وجوهرك العميق هو من له السلطة في هذه الأثناء. انتظر ببساط، واصبر.. جميعنا نحتاج للصبر في هذه اللحظات. ومهما تحدث عقلك معك لا تستمع إليه.

استمع لعقلك من أجل التعامل مع الأمور الخارجية في العالم، لا تستمع للعقل في أمورك الباطنية. بل ضعه جانبا لأنك لست بحاجة للتعامل معه أثناء التأمل. قد يؤثر عليك. ولكن ضعه جانبا مرة أخرى. هذا هو التدين والإيمان والثقة. الإيمان ليس صراع مع العقل. إن تصارعت معه فإن العدو يمكنه أن يضع بصمته عليك، وتذكر، حتى الأصدقاء لن يكون لهم تأثير عليك كما هم الأعداء. إذا تصارعت مع أحد بصورة مستمرة، ستتأثر بهم، لأنه عليك حينها أن تستخدم التقنية نفسها لتحاربهم. وفي النهاية يصبح الطرفين متشابهين، ومن الصعب أن تصارع العدو وتبقى منعزل أو مختلف معه.. دائما يتأثر العدو بعدوه.

هؤلاء الذين يتعاركون مع العقل يصبحوا فلاسفة عظام. ربما يتحدثون عن أمور يخالفون فيها العقل ويقولون "لا للعقل" ولكن يبقى حديثهم صادر من العقل. ربما يقولون "نحن ضد العقل، والعقلانية" ولكن كل ما يقولونه آتياً من العقل. حتى عدائيتهم للعقل آتية من العقل. هذا هو المبدأ، عليك أن تصير مثل أعدائك إن كان لك أعداء.. وشيئا فشيئا يستقر الأعداء ويتشابهون فيما بينهما.[46]

تذكر دائما، ألا تتقاتل مع العقل. وإلا سيتحتم عليك اللجوء إلى المصطلحات حتى تقنع عقلك، وبهذا تمارس الجدل مع عقلك حتى تقنعه أو يقنعك.. وهذا هو مربط الفرس، إن أردت اقناع عقلك بشيء، فعليك أن تستخدم الكلمات. والكلمات هي كل المشكلة. لهذا إن أردت ان تتحرر، فضع الكلمات جانبا. إن وضعت الكلمات جانبا لن تكون ضد العقل، إنما هي أبعد من حدود العقل ذاته، إنها ببساطة تعني بأنك تضع أدواتك على الطاولة ولا تحملها فوق ظهرك! أو كما لو خرجت خارج المنزل فاستخدمت حذائك للمشي،

[45] Tao أو الطاوية، أو الداوية: مؤسس هذه الديانة هو لاوتسو، ومعنى التاو حرفيا هو السبيل أو الطريق. حيث يعرف لاوتسو بأنه صاحب حكمة الصمت، لأنه اعتقد أن الطاوية هي طريقة الطبيعة، وما هي بالأصل إلا الامتناع عن التفكير، وذلك لأن التفكير عند الطاويين ما هو إلا أمر عارضي سطحي لا خير فيه، ويضر الحياة أكثر مما ينفعها. (موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس)

[46] وهنا يشير إلى أتباع مذهب الديونيزي الغير عقلاني، الغريزي أو الطبيعي، في مقابل مذهب الأبولي وهو المذهب العقلاني والمنظم. في الفلسفة والأدب اليوناني.

ثم عدت إلى المنزل ونزعت عنك الحذاء. لم تتعارك مع الحذاء ولا شيء من هذا القبيل. لن تتعارك مع الأحذية حتى تضعها جانبا! بل ببساطة تقرر أن تضع الحذاء خارج المنزل وتدخل بسلام وببساطة. وهكذا هو التعامل مع العقل.

إن الطريق السهل هو الطريق الصحيح، لا يوجد عراك.. السهل هو الصحيح، لا تحتاج للصراع والكفاح والمقاومة.. ضع عقلك جانبا، واجلس. فلن تقاوم الظل ولن تسمع صوت وقع خطواتك.. وهكذا تصبح كالإله.. وهنا تكمن فطرتك. ولهذا أقول لكم.. أنتم كالآلهة، ولا ترضون أو تقنعون بأقل من ذلك.

القيم الزائفة

الأمر الذي يجب أن تتذكره، هو أن الإنسان ذكي جدا في ابتداع القيم الكاذبة! القيم الحقيقية تكلفك كيانك كله، تكلفك حياتك كلها.. بينما القيم الخادعة فهي رخيصة جدا. نعم، إنها تبدو كالحقيقية، ولكنك لن تستخدم كيانك كله في عيشها، بل يمكنك ممارستها في الرسميات الاجتماعية فقط.

فمثلا، في حالة الحب، الثقة.. لقد خلقنا قيم زائفة لهذين الموقفين، وهو "الولاء".. فستجد الشخص الذي لديه ولاء، ستجد يمارس هذا الولاء بسطحية جدا.. نعم يقوم في جميع ايماءات الحب والوفاء، ولكنه لا يعي شيء منها، لم يذق شيء منها.. قلبه ينطق عبارات رسمية محددة صنعها المجتمع.

العبد لديه ولاء! ولكن هل تعتقد أن يحتفظ عبد بولائه لمن قللوا من قيمته الإنسانية ووضعوا من اعتزازه وكبريائه؟ هل سيحب أسياده من أعماقه؟ بالطبع سيكرههم وإن وجد الفرصة لكي يقتلهم فسيفعل! ولكن على محياه السطحي سيعبر عن ولائه الزائف.. وسيكون "موالٍ لهم" هذا الولاء لن يكون نتاج محبته وفرحته بوجود أسيادهن ولكنه نتاج الخوف.. فسيكون ولائه ليس صادرا من القلب إنما من العقل المبرمج والمشفر الذي يكرر عبارة "عليك أن تكون موالٍ لسيدك" هذا هو ولاء الكلب لسيده!

الحب يحتاج إلى استجابة أعمق من هذا. يحتاج إلى استجابة لا تأتي من فرض الواجب ولكن بفرض من ضربات القلب حينما يشعر بالفرح.. استجابة تأتي من رغبة في مشاركة الحب والحياة.

إن الولاء أمر بشع! ولكن ظل لآلاف السنين كشيء محترم وذو قيمة عالية، ذلك لأن المجتمع قد استعبد الناس بطرق شتى؛ يجب على الزوجة أن تكون موالية لزوجها، لدرجة أن وصلوا في الهند إلى درجة من التطرف المفرط، حيث يجب على الزوجة انهاء حياتها حينما تنتهي حياة زوجها عند الوفاه، فتقفز في النار التي تحرق جثمان زوجها ميتا، وتموت هي الأخرى معه. لقد كان هذا أمر محترما لدرجة أن المرأة تدان طوال حياتنا إن لم تفعل هذا. وستعامل كخادمة في عائلتها. ويفسروا عدم قفزها في النار، بأنها غير مخلصة لزوجها.

من أجل الحقيقة! يمكنك أن تنظر لها بعكس ذلك، لم يتواجد رجل واحد أن قفز في النار التي تحرق زوجته المتوفاه! ولم يتجرأ أحد أن يطرح السؤال هذا، فهل يعني هذا أن لا يوجد رجل مخلص لزوجته؟ هذا هو المجتمع ذو المعايير المزدوجة.. معيار خاص للسيد، للمالك، للرئيس ومعيار خاص للعبد، للزوجة، للمملوك.

الحب تجربة أخطر من ذلك بكثير، لأنك في حالة الحب تكون مشغوف ومأخوذ بشيء أكبر منك، لا يمكن السيطرة عليه، لا يمكنك أن تمارس الحب بمنهج ما، بخطوات معينة ما، وإلا فإن الحب سيختفي، وليس هناك طريقة لتعيده إليك من جديد. وكل ما لك هو التظاهر بالحب وتنافق من كنت تحب.

الولاء هو المنهج أو الخطوات التي تخططها لتحصل على ما تريد.. الولاء يتواجد بفعل من العقل وليس من القلب. يأتي التدريب حينما تتدرب على ممارسة ثقافة ما – بالضبط كما تمارس أي تدريب آخر، أي مكان فيه تمرين وتوجيه وترويض- يبدأ المرء بالتمثيل، وشيئا فشيئا تبدأ بتصديق تمثيلك. الولاء يتطلب منك دائما أن تخلص وتكرس حياتك ومماتك لشخص أو شيء ما.. سواء أراد قلبك ذلك أو لم يرد. وهذه هي العبودية النفسية.

إنما الحب هو الحرية.. بينما الولاء يجلب العبودية. قد يبدوان متشابهين في الظاهر، ولكن في الباطن فهم مختلفين كليا. مختلفين، متضادين بكل للكلمة من معنى. الولاء يأتي من العقل، وهم يعتبر سلوك تقوم به.. تربَيت وتثَقفت على أن تكون موالي.. ولكن الحب إن بدى، فإنه يبدو جامحا عاصفا.. وجماله يكمن في جموحه البريء.. يأتي كما النسمة التي تحمل عطر وعبق عظيم.. يملئ قلبك، وصحراء قلبك تُغطى بالزهور.. لن تعلم من أين أتت تلك الروضة إلى قلبك.. ولن تتعرف على طريقة لتجلبها من مكان ما.. هي تنتقل بنفسها وتبقى في قلبك مدى يقررها الوجود. وكما أتت في يوم ما، كالصدفة، كالضيف الغريب.. ستغادر في يوما ما... ليس هناك طريقة لتتمسك بها وليس هناك طريقة لحبسها في قلبك.

بالطبع، المجتمع لا يمكنه الاعتماد على مثل هذه التجربة التي لا يمكن التنبؤ بها، التي لا يمكن الاعتماد عليها. فالمجتمع يحتاج الضمانات، ولهذا ابتعد المجتمع عن الحب تماما ووضعوا عقد الزواج بدلا منه! الزواج يعرف الولاء.. الولاء للزوج، لابد من الولاء للزوج لأنه رسمي مصدق بالأوراق الرسمية.. والزوج كذلك سيكون بين يدي الزوجة دائما.. ولكن لا يمكن أن نقارن هذه الحالة بالحب أبدا.. بل لا يمكن أن نتخيل أن تكون علاقة الزواج تلك كقطرة في محيط الحب!

المجتمع سعيد وراضي بهذا النظام لأنه يمكن الوثوق به. يمكن للزوج الوثوق بك في اليوم وفي الغد، لأنه يعلم بأنك ستكونين مواليه له كما أنت اليوم. بينما علاقة الحب مختلفة عن علاقة الزواج، علاقة الحب لا يمكن ضمان أحد الطرفين للآخر.. والغريب في الأمر هو أن للحب الثقة والايمان العظيمين في اللحظة هذه، ولكن لا ضمان لاستمرارهما في المستقبل! في هذه اللحظة فأنا مؤمن بك وأثق بك بشكل كبير الآن، ولاكن لا أعلم غدا ما الذي سيحصل وهل سيدوم الحب والأيمان بك؟!..

تبقى اللحظة القادمة في الحب مفتوحة جميع الاحتمالات متاحة. قد ينمو الحب أكثر أو يتبخر. الزوج يريد زوجه لتكون أمامه طوال حياتها.. فهو لا يثق في الحب، فصنع المجتمع شيء مشابه للحب.. منتج عقلي منظم ومخطط وهو الزواج.. الزواج نتاج عقل الإنسان.

هذا ليس فقط في علاقة الحب، ولكن حتى في الجوانب الأخرى من الحياة.. فقد أعطيَ للولاء مكانة عظيمة على مدى التاريخ، بينما قضي على ذكاء وادراك الإنسان؛ على الجندي أن يكون موالي للدولة وللشعب. ولهذا فلا يمكن أن نلقي اللوم على الرجل الذي ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما ونكازاكي! لأنه ببساطه كان يقوم بواجبه، لأنه موالٍ لدولته! لقد أمروه بفعل ذلك! وهو موالي لمن هم في السلطة.. وهذا يمكن أن ندرك كيف يتم تدريب الجيوش جميعهم. على مدى السنوات دربوك حتى جعلوك غير قادر على الثورة.. تخاف من الثورة والتمرد.. ليس فقط في الجيش، ولكن حتى ضمن نطاق أسرتك؛ حتى لو كنت تدرك أن ما قد طلبه منك والد فعل خاطئ.. ولكنك مدرب ومروَّض حتى النخاع على تقبل أي أمر، فتقول في نفسك "حسنا، سأفعل ما هو مطلوب مني".

لا يمكن أن نتخيل أن الرجل الذي ألقى القنبلة على هيروشيما ونكازاكي كان رجل آلي! بل كان له قلب مثلك ومثلي تماما! وكان لديه زوجه وأطفال.. أمه عجوز مسنة وأبيه، كان إنسان كما هو أنت.. ما يفرق لديه هو أنه مدرب على اتباع التعليمات دون سؤال أو اعتراض! لقد طبق الأمر حينما تلقاه.. هذا كل ما في الأمر.

تفكرت مرة تلو الأخرى في عقله في تلك الأثناء! هل من المعقول أنه لم يفكر ويتخيل أن القنبلة التي بحوزته ستدمر وتقتل ما يقارب مئتي ألف شخص؟ هل من المعقول أنه لم يقل في نفسه: "لا.. لن ألقي القنبلة، ولن أقتل مئتي ألف شخص، ومن الأفضل أن يطلق عليّ الرصاص من سيدي الجنرال لأنني لم أتبع أوامره!" ربما لم تطرأ تلك الفكرة عليه أبدا.

يعامل الجيوش بطريقة خاصة حتى يخلقوا فيهم الولاء.. يبدأ هذا الولاء بأمور صغيرة.

قد يتساءل المرء، لماذا يقوم الجنود ولسنوات طويله بعرض موكب عسكري ويتبعوا أوامر سخيفة أثناء ذلك؟ "التفت يسار، التفت يمين.. ارجع للخلف.. عد إلى الأمام..." لمدة ساعات وساعات، من دون أي هدف على الاطلاق؟ إنما الهدف مخفي في تلك الأوامر السخيفة! رقي الجندي وفطنته وذكاءه كانسان، يتم تدميرها بتلك الطريقة.. بهذه الطريقة يتم تحويله إلى رجل آلي. انسان ميكانيكي. حتى يأتي اليوم الذي يعطي له الأمر: "استدر يسار.." ولن يسأل عقله "لماذا؟". لأنه لو طلب أحدهم أن تدير رأسك لليسار، فستسأل: "ما هذا الهراء؟ لماذا على الاستدارة يسار؟ أريد أن استدير إلى اليمين" ولكن الجندي لا يفترض أن يسأل تلك الأسئلة أو يشكك أو يستفسر.. بل عليه أن يتبع التعليمات ببساطة. هكذا يكون التشفير والبرمجة.. ومن ثم يُخلَق الولاء في النفوس.

إنها طريقة ممتازة من أجل طاعة الملوك والقادة.. يكون الجندي مطيع وتابع بولاء لمن هم في السلطة.. هكذا يعمل الجندي كالآلة، وليس كالبشر. من المريح والسهل أن يعيش الأبوين مع أطفال موالين لهما..

لأن الطفل المتمرد يخلق المشاكل ويعترض على الكثير من الأوامر. قد يخطأ الأبوين، وقد يكون الطفل على حق. ولكن لأنه طفل صغير، فإنه يتبرمج على أن يقوم بتنفيذ الأوامر الآتية له من الأعلى.

أنا أعلمك أن تكون انسان جديد، حيث لا وجود للولاء وبدل الولاء يكون لديك الذكاء، الفطنة، القدرة على قول "لا".. بالنسبة لي، إن لم تكن قادر على قول "لا"، فإن الـ"نعم" التي تقولها، لا معنى لها. الـ"نعم" التي تقولها تسجل فقط على آلة التسجيل، أنت تقول "نعم" لأنك لا تستطيع قول شيء آخر.

الحياة والحضارة كان من الممكن أن تختلف لو درّبنا المجتمع على الذكاء والفطنة أكثر. كان يمكن لنا أن نمنع الكثير من الحروب السابقة لو كنا مدربون على قول "لا".. الكثير من الحروب الماضية كان يمكن تجنبها لو أن الناس كانت تسأل "ما سبب الحروب؟ لماذا علينا قتل الناس الأبرياء؟. ولكنهم لديهم ولاء لبلد واحد، وأنت لديك ولاء لبلد آخر.. وكلا سياسيي البلدين يتقاتلون ويضحون بالشعب. إذا كان السياسيون يحبون القتال كثيرا، فبإمكانهم أن يحصروا قتالهم في حلبة مصارعة أو مباراة، وتذهب الناس إليهم للمشاهدة كما هي مباراة كرة القدم!

لكن رؤساء الدول والسياسيين والوزراء لا يذهبون للحرب، إنما الناس البسطاء الذي لا شيء لديهم ولا حاجة لهم لقتل الآخرين هم من يذهبون إلى الحرب، ومن ثم يكافؤون على ولاءهم.. يحصلون على صليب النصر وأنواع أخرى من المكافآت لكونهم أصبحوا غير إنسانيين، لكونهم أصبحوا بغير ذكاء ولا فطنة، يكافئوا لأنهم أصبحوا كالآلات.

الولاء ليس إلا مجموعة هذه الأمراض كلها؛ المعتقد، الواجب، والاحترام[47].. جميع تلك الأمور تغذي الأنا ego. جميع تلك الأمور ضد نموك الروحي، ولكنهم مهمون في مركزك الاجتماعي وبريقك الزائف الظاهري.

لا يريدك المتدينون أن تسأل أي أسئلة تتعلق بمعتقداتهم، لأنهم يعلمون أنك عندما تصل إلى مرحلة يمكن فيها أن تناقش المعتقدات، فإنهم بذلك يفتقرون للإجابات المناسبة لك. وأي إجابة فلن تشفي غليلك. إن الاجابات على التساؤلات حول المعتقدات تشفي غليل من لديه ولاء فقط. كل منظومة معتقدات ستجدها خادعة ومزيفة، لأنها سوف تتهدم إن كثرت التساؤلات حولها.. وهكذا تتشكل الديانات الكبيرة التي تظم تحت ابطها ملايين الناس.

البابا في الكنيسة، رجال الدين في المعابد والمساجد، ملايين الناس تحت جناحهم. ألم يتواجد بين تلك الملايين شخص يتساءل: "كيف لفتاة عذراء أن تلد طفلا؟ ما هو دليل أن عيسى هو ابن الله المختار؟

---

[47] المعتقد الديني، وتلبية الواجب الاجتماعي، واحترام الآخرين لمكانتهم الوظيفية (كالوزير) أو مكانتهم العائلية (كالجد الأكبر والأب)، كلها صور مختلفة للولاء، فالمعتقد الديني يعني بأن المرء موالي لهذا الدين، وفي لهذا الدين وينصر هذا الدين، وكذلك تلبية الواجب، يعني أن المرء يقوم بواجبه لأنه واجب عليه أن يقوم به، ما يعني بأنه موالي لهذا المجتمع، فهو يقوم به حتى لو لم يكن يرغب بذلك، كالأب مثلا عليه أن يرعى عياله حتى لو لم يحبهم، لأنه واجب عليه الاهتمام بهم. وكذلك بالنسبة لاحترام الآخرين. وحينما يقوم المرء بهذه الأمور أو غيرها من الأمور المشابهة، فهذا يغذي الأنا بشكل أو بآخر. لأن تلك الأمور تشكل هوية المرء الاجتماعية، كعضو في المجتمع الديني والعائلي والوظيفي، مما يشكل ويعزز الأنا كهوية ظاهرية مزيفة للإنسان.

لماذا اختار الله هؤلاء الأنبياء بالذات ولماذا نحن لم نحصل على هذا الهبة؟ ما هو الدليل على أن الأنبياء قد أنقذوا البشر على مر العصور من البؤس والشقاء؟" ولكن ببساطة لا تطرح هذه التساؤلات لأن جميع تلك المعتقدات ما هي إلا فرضيه، حتى الله لا شيء سوى فرضية! فرضية يحاول المتدينون اثباتها عبر آلاف السنين. وجميع الأدلة المطروحة ماهي إلا نظريات كاذبة من غير جوهر ولا فحوى ولا مادة، ولا يوجد تأييد من الوجود نفسه.. ولكن لا أحد يسأل نفسه.

منذ اليوم الأول من حياة المرء على الأرض، يتم تدريبه على الولاء، لأنه سيكون من المريح للمتدينين أن يتلاعبوا. ومريح للسياسيين أن يتلاعبوا بك، مريح للأزواج أن يتلاعبوا بالزوجات، للوالدين أن يتلاعبوا بأولادهم، للمعلمين أن يتلاعبوا بتلاميذهم. لكل من لديه مصلحة يمكن أن يستثمرها في البشر! الولاء ببساطة ضروري، ولكنه يقلل من شأن كل الإنسانية، فيكونوا معاقين متخلفين، ولا تسمح للاندفاع والانطلاق والتساؤل وفتح منافذ جديده في عقلك. لا يسمح للشك، ولا يسمح للناس بأن يكونوا أذكياء. والمرء الذي لا يكون لديه مقدرة على الشك والتساؤل وقول "لا، عندما يشعر بأمر ما خطأ.. فإن مستواه قد يتدنى إلى ما دون البشرية.

إذا كان الحب مطلوب منك، عندها يتحول الحب على ولاء. إذا قُدم الحب دون سؤال، إذا قُدم الحب كالهدية المجانية، عندها يرتقي الحب بوعيك أكثر وأكثر. إذا كانت الثقة مطلوبة منك، فتكون قد أسرت كالعبد، ولكن إذا كانت الثقة نابعة منك دون تدخل من أحد، بل نابعة من قلبك، فتكون انسان خارق للعادة. الفرق بسيط جدا، يكمن في ما إذا كان ينبع الشيء من قلبك أو تكون قد أُمرت أو دفعك أحدهم للقيام به.. وهنا يكون الحب والثقة زائفين. ولكن عندما يظهر الحب وتنشأ الثقة بنفسها في جوهرك، فستحدث حينها المعجزات. وهكذا يحررك الحب والثقة من ألا تكون عبد، بل يجعلانك أمير على نفسك، لأن الحب الذي تحبه فهو حبك، والثقة التي تكنها للغير فهي ثقة تابعة لك. وهنا تكون الثقة تابعة لك والقلب الذي يحب تابع لك وليس لشخص آخر كما يكون الولاء. لم تجبر أو توجه من قبل الآخرين. وهكذا يكون الحب والثقة نتاج حريتك وكرامتك. وكلاهما سيجعلانك أغنى إنسان.

هذه هي فكرتي للإنسانية الجديدة، الناس سيعشقون، ولكنهم لن يقبوا أن يكون الحب كالواجب المطلوب.. أن يثقوا ويؤمنوا ولكن بقناعتهم وثقتهم بأنفسهم.. وليس لأنهم موالين لكتاب مقدس ما، او لتركيبة اجتماعية ما، أو لرجل دين أو سياسي ما.

أن تعيش حياتك وفقا لما يمليه عليك قلبك.. متوجها إلى المجهول، تماما كما هو النسر المحلق نحو الشمس، بحرية تامة لا يعرف الحدود.. إنه ليس مأمور من أحد.. بل اختيار ينبع من ذاته، وتحليقه في السماء هو تمرين لروحانيته.

أدوات للتحول

هذه من أصعب وأهم الحقائق التي يجب أن نعرفها.. المرء لا يزال مرء مهما فعل.. أنا وأنت سنبقى كما أنا وأنت مهما حاولنا أن نحدث من تغيير وتطوير في أنفسنا.. الأنا تعيش عبر "التحسين والتطوير"، لهذا فإن فكرة النماء والتقدم والتطوير، فكرة الوصول إلى مكان ما في يوم ما أو إلى هدف ما.. هي فكرة تغذيها الأنا وتتغذى عليها الأنا أيضا. أن تدرك حقيقة أن ليس هناك تطوّر في العالم.. وأن الحياة ما هي إلا احتفال.. لا وجود حقيقي للمال والأعمال، الاحتفال فقط هو الحقيقة الكامنة في الحياة.. بمجرد أن تفهم هذا فإن رحلة الأنا تتوقف.. وستجد نفسك فجأة قد عدت إلى هذه اللحظة "الآن" مرة أخرى.

اقبل نفسك

في اللحظة التي تتقبل بها نفسك، تكون منطلق منفتح متحرر.. وبهذا قد تتعرض للجرح والنقد والعطب، لأنك مكشوف غير محصن.. لأنك حينما تقبل نفسك فإنك تستقبل كل ما يدور حولك. حينما تقبل نفسك يتحول كل شيء في كيانك إلى شيء صالح ومثمر، لهذا لا تحتاج للتحسين والتطوير من ذاتك، ولهذا لا تحتاج لمستقبل.. في هذه التجربة بالذات، تبدأ الحياة باتخاذ لون جديد، وموسيقى جديدة تشرق نغماتها عليك.

اذا قبلت نفسك، فستكون هذه بداية لقبول الكل. وإذا رفضت نفسك، فإنك ترفض الكون جميعه.

إذا قبلت بنفسك فإنك تقبل الوجود.. وعندما تقبل الوجود كما هو فلا شيء لديك لتفعله سوى الاستمتاع والاحتفال. لا حاجة للشكوى والتذمر، لا حاجة للحقد، بل تكون ممتنا دائما. عندها تصبح الحياة جيدة والموت جيد أيضا. عندها تصبح المتعة جيّدة والحزن أيضا جيّد.. عندها تكون اللحظة بالقرب من الحبيب جنّة واللحظة التي تكون فيها وحدك جنّة أيضا. وأي شيء آخر يحدث سيكون جيّد أيضا، لأنه يحدث بفعل من الوجود، بفعل من الكون، بفعل من الكل.

لكنك بُرمجت وشُفرت لقرون وقرون ألا تقبل بنفسك! كل الحضارات وثقافات العالم كانت ولازالت تعمل على تسميم الإنسانية. كل الحضارات تعتمد على مبدأ "حسن وطور من نفسك" وهذا ما خلق القلق في المرء. فالقلق ومحاصرة النفس ومحاولة تطويرها هي حالة من التوتر المستمر والتي يعيشها المرء اليوم. أصبح البشر مقيدون بقلق دائم يعيش في حياتهم كلها، قلق كي "يكونوا ما يجب أن يكونوا عليه" كي يصلوا إلى المثال الأعلى والهدف المثالي، وكيف يرتاح المرء ويشعر بالهدوء إن لم يصل إلى هذا الهدف المنشود؟ كيف يشعر أنه في المنزل طالما لم يصل إلى الهدف الأسمى؟ من هنا أصبح من المستحيل

أن تعيش لحظة بكليتها، لحظة كاملة إلى اقصاها، من المستحيل أن تعيش وتستمتع بالموسيقى وتذوب بها، من المستحيل أن تخشع في صلاة أو تتأمل، طالما عقلك مشغول ومتلهف دائما لكي يصل إلى ذلك الهدف البعيد، الهدف الأعلى. إلى المستقبل.

اعلم أن هذا الهدف، أو هذا المستقبل لن يصل أبدا، لا يمكنه أن يصل أبدا. و هذا الأمر ينبع من صميم رغبته بالغد.. حتى لو وصل الغد فإنك ستخلق غدا جديد.. عندما يصل المستقبل فإنك ستبدأ بتخيل مستقبل آخر جديد. وتبدأ تشعر بالرغبة للحصول على المزيد والمزيد.. و هكذا ستبقى دائما في قلق وأرق ولهفة.. في توتر واضطراب وحيرة.. هكذا تعيش الإنسانية منذ قرون وقرون.

نادرا جدا، ولمرة واحدة في زمن مديد، يهرب إنسان من هذه المصيدة.. و هذا الإنسان يسمى مرة بوذا، يسمى المسيح.. محمد. الرجل اليقظ الواعي هو الذي فلت من مصيدة المجتمع. الذي وجد أن كل ما يحيط به أمر مستحيل لا يصدق! أمر سخيف ومهول. لا يستطيع المرء أن يطور من نفسه، وأنا لا أقصد بأن التطوير لن يحدث، حتى لو توقفت من تحسين ذاتك، فالحياة ستحسنها لك. في هذا الصفاء، في هذا الاسترخاء والتناغم، في هذا القبول والرضا، ستبدأ الحياة بمداعبتك، تبدأ الحياة تجري في عروقك.. عندما لم تحمل أي ضغينة أو تذمر أو شكوى.. ستزهر غصونك وتتفتح أزهارك، ويشم عبقها كل من يمر حولك.

لهذا أقول لك: اقبل نفسك كما أنت. إن هذا لأصعب الأمور في العالم، لأنه يناقض جميع التدريبات التي مّرنت عليها؛ تعليمك، ثقافتك، عاداتك.. منذ نعومة أضفارك يأمرونك بأن تكون جيد، على هذا النحو أو ذاك. ولم يقل لك أحد بأنك جيد كما أنت. بل يحاولون أن يبرمجوا عقلك، وهكذا بدأ المرء يأخذ الأوامر من الوالدين، من المتدينين، من السياسيين، من المدرسين. لقد شُفّرتَ على برامج كثيرة، كل هذه البرامج تقول لك: استمر في تحسين نفسك أينما كنت، اندفع للعمل على شيء مان لا ترتاح أبداً، اعمل وطور من نفسك حتى الموت.

وتعليمي أنا بسيط جدا؛ لا تؤجل الحياة، لا تنتظر الغد لأنه لا يأتي أبدا.. عش الحظة الحاضرة بكليتها.

يقول عيسى لطلابه: "..تأملوا زنابق الحقل وكيف تنمو، إنها لا تتعب ولا تغزل، لكني أقول لكم، ولا حتى [النبي] سليمان في كل جلاله كان يلبس مثل واحدة منها.." ما هو جمال زهرة الزنبق؟ جمالها يكمن في صمتها التام، ليس لديها برنامج لتطوره. إنها هنا الآن، ترقص في الهواء، تأخذ حمام شمس، تتحاور مع الغيوم، تغفو في المساء دافئة، تغازل الفراشات.. مستمتعة بلحظتها.

كل الوجود يبدأ يصب كل طاقاته لك عندما تكون مفتوح، حر، خاليا من الهموم والأشغال. عندها تصبح الأشجار أكثر خضرة مما هي الآن، عندها الشمس تبدو مشرقة أكثر مما هي الآن. عندها كل شيء يصبح أجمل، والألوان تحلو أكثر. إنما الآن بانشغالك في تطوير نفسك تجد أن كل ما هو حولك رمادي باهت، رتيب.

اقبل نفسك، هذه صلاة.
اقبل نفسك، هذا هو الامتنان.

استرخ واستمتع كما أنت، هذه هي الهيئة التي أرادك الله بها. وإلا لخلقك على هيئة شخص آخر! لقد خلقك أنت، ولم يخلقك على هيئة شخص آخر. ومحاولة تطوير هذه الصنعة وتحسين نفسك يعني بالأساس محاولة التغلب على الصانع.. وهذا ما يعبر عن غباء المرء! كما حاول المرء تحسين ذاته كلما صار حانقا ومجنونا أكثر وأكثر. لن يصل إلى أي مكان ولا إلى أي مرتبه، وبهذا يكون قد فوّت فرصة عظيمة.

اجعل هذا مبدئك الرئيسي، القبول والرضا، اجعلهما جزء من حياتك، ومن سمات شخصك.. القبول والرضا التامين. وعندها ستفاجأ، سترى أن الحياة مستمرة في أن تمدك بهبات جديدة، وستدرك أن الحياة ليست شحيحة وبخيلة، بل إنها كريمة معطاءة، والوجود دائما غني ووفير وواسع، ولكن لا يمكننا استقبال هذه لوفرة أو الاستمتاع بها لأننا لا نشعر باستحقاقنا لها حتى نحصل عليها!

لهذا تجد الناس يتعلقون بالمآسي، المآسي تناسب برمجتهم التي نشئوا عليها. الناس يستمرون بمعاقبة أنفسهم بألف طريقة ماكرة، لماذا؟ لأن هذا يلائم برامجهم التي نشئوا عليها، حيث يعاقبوا أنفسهم إن لم يكونوا كما يجب وكما يتطلب منهم المجتمع، يعاقبوا أنفسهم ويخلقوا المآسي لها. لهذا الناس يشعرون براحة عندما يكونوا بائسين.

دعني أقولها: الناس يشعرون بالسعادة عندما يكونوا حزانا، ويكونوا مضطربين عندما يشعرون بالفرح. هذا ما وجدته في مراقبتي آلاف وآلاف من الناس. عندما يكونوا بائسين، يشعرون بأن حياتهم على نحو جيد جدا، ويقبلون بها لأن التعاسة تناسب شفرتهم التي نشئوا عليها، تناسب عقليتهم. يعربون بهذا كم هم بشعون ويعتقدون بأنهم مذنبون.

لقد قيل لكم بأنكم ولدتم خطاؤون، يا لها من غباوة! يا له من هراء! الإنسان لا يولد بالخطيئة، الإنسان يولد بالبراءة. لم يكن هناك أي ذنب أصلي.. ما يوجد فقط هي البراء الأصيلة. كل طفل يولد ببراءة، نحن من يجعله يشعر بالذنب، نبدأ نقول له: "يجب ألا يكون عليه الآمر هكذا، وعليك أن تصبح مهذب كما هو فلان أو فلان.." الطفل بريء ونقي وطبيعي، نحن من نؤنبه ونغير طبيعته وفطرته وبراءته، ونكافئه لكي يصبح غير طبيعي، لكي يصبح ماكر، نحن نكافئه حتى يلبس قناع غير حقيقي. وكل مكافآتنا تكون للمتصنعين من الناس، وإن كان هناك بريء نقي ما، لا نعطيه أي مكافأة، لا نعيره أي انتباه أو نضع له أي اعتبار، ولا تقدير. البريء يصبح مدان، ويعتقد فيما بعد بأنه مساو للمجرم. يعتقد البريء بأنه غبي، بينما الماكر الخداع ذو الأقنعة المزيفة يظن بأنه ذكي، لأن تصّنُعَهُ مقبول. التصنع والزيف يتماشى مع المجتمع.

عندما لا تكون حياتك سوى مجهود تبذله لتخلق عقوبات لنفسك أكثر وأكثر. وأي شيء تفعله يكون خطأ، عليك أن تخاف من أي متعه وتعاق نفسك بالقلق والخوف. حتى لو أتاك الفرح رغما عنك -عندما تأتيك المتعة دون انذار، عندما يهرول الله إليك مسرعا دون خبر، لا تستطيع منعه- وبدل أن تفرح وتهلل وتستمتع بهذه اللحظة، تبدأ بمعاتبة نفسك.. تشعر أن لابد وأن شيء ما خطأ في الموضوع؛ كيف لك أن تضحك وتفرح وأنت شخص لا يستحق هذا؟!

على شاكلة ذلك، سألني في الأمس رجل: "تتحدث أنت يا أوشو عن الحب، تتحدث عن تقديم الحب، ولكن ما الذي بحوزتي حتى أقدمه للآخر؟ ما الذي أملكه لأقدمه لحبيبي؟"

هذه هي الفكرة السرية لدى الجميع "أنا لا أملك شيء" ما الذي تريد أن تملكه؟ لم يقل لك أحد بأن لديك جمال كل الدنيا، لديك جميع أزهار الدنيا –لأن الإنسان هو أعظم وردة على هذه الأرض، أكثر المخلوقات تطورا- لا يوجد طير يمكن أن يغني مثلك! تغريد الطير مجرد أصوات قد تصل أحيانا إلى درجة الضوضاء على الرغم من جمال صوته، لأنه نابع من براءته. يمكنك الغناء بشكل أفضل منه، بمعنى أعظم منه.. ولكنك لازلت تتساءل: "ما الذي أملكه؟"

الأشجار خضراء جميلة، النجوم متلألئة وكثيرة، الأنهار تجري محتفلة.. ولكن هل رأيت شيئا أكثر جمالا من وجه إنسان؟ هل صادفت يوما شيء ما أجمل من عيني إنسان؟ على الأرض جميعها لا يوجد شيء دقيق ورقيق كعيون الإنسان، لا وردة يمكن لها أن تنافس جمال عين الإنسان، لا الجوري ولا اللوتس يمكن أن يدخلوا في منافسه معها. يا له من عمق في عيون البشر، جمال ما بعده جمال وأبعد من أي وصف. وأنت لازلت تتساءل: "ما الذي أملكه لأقدمه في الحب؟" لابد أنك عشت حياه مدينة لنفسك دائما، لابد أنك دائما تضع نفسك بأدنى مستوى تقدير، مؤنبا نفسك، مثقلا نفسك بالذنوب.

في الحقيقة، عندما يحبك شخص ما، تكون متعجب قليلاً؛ "لماذا يحبني هذا الشخص؟" تظهر هذه الفكرة في رأسك لتجيب "نعم إنه يحبني لأنه لا يعرفني، فإذا ما عرفني ورأى ما أحمله في داخلي، فلن يحبني بعدها أبدا" لهذا يبدأ العشاق يخفون بواطنهم وحقيقتهم عن بعضهم البعض. يبقون الكثير من الأمور بخصوصية، ولا يفتحون أسرارهم لأنهم يخافون في اللحظة التي ينفتحون على الآخر ويفتحون قلوبهم.. يعتقدون بأن الحب سيختفي لأنهم لم يحبون نفسهم في الأساس، فكيف يتقبلون فكرة أن يحبهم الآخر؟

الحب يبدأ في حب الفرد لنفسه، لا أن يكون المرء أناني، ولكن أن يكون ممتلئ بالغبطة في نفسه والامتنان لها. لا تكن نرجسيا، لا تكن مهووسا بنفسك، ولكن حب طبيعي لنفسك، وهذا ضروري. عندها يمكنك أن تتقبل حب الآخرين لك ويمكنك أن تمنح الحب لهم أيضا.

اقبل نفسك، أحبب نفسك، خلق الله وتوقيعه عليك، أنت مميز، فريد لم يخلق مثلك من قبل ولا في المستقبل. أنت مميز وفريد لا يمكن مقارنتك. اقبل بهذا، أحبب هذا الأمر واحتفل به.. وفي هذا الاحتفال ستبدأ برؤية التميز والفردانية في الآخرين أيضا. وسترى أيضا فيهم الجمال الذي لا يقارن ببعضه البعض. الجمال الحقيقي الذي لا يخضع لمعايير النقاد والصحافيين.

الحب ممكن فقط عندما يكون هناك تقبل عظيم للنفس والآخر والعالم. القبول والرضا يخلق بيئة حيث الحب فيها ينمو، وتربه حيث الحب فيها يتفتح ويثمر.

لا تضع لنفسك الحمايات والأسوار

يقول لاتسو:

عندما يولد إنسان، يكون طري وضعيف، بينما يموت وهو صلب متيبس؛ يولد المرء وهو لطيف ورقيق، ويموت وهو جاف متصلب. لذلك، الصلابة والخشونة مرافقة للموت، بينما النعومة واللطافة مرافقة للحياة.

عندما يكون الجيش جامح مندفع، سيخسر الحرب. عندما تكون الشجرة صلبة قاسية سوف تقطع. الكبير والصلب ينتمي لأدنى قسم من الشجرة، بينما الرقيق اللطيف ينتمي لقمة الشجرة.

الحياة نهر، انهمار، استمرار بدون بداية ولا نهاية. لن تجري الحياة لأي مكان آخر، إنها هنا متواجدة الآن دائما. لن تذهب الحياة من شخص إلى آخر، إنها آتية من هنا وإلى هنا. الوقت الوحيد للحياة هو الآن.. المكان الوحيد للحياة هو هنا.. لا تصارع من أجل أن تصل إلى حالة تحيا بها الحياة، لأنك لن تجد الحياة في مكان آخر، إنها هنا الآن. لا حاجة للكفاح والنضال للتغلب على أمر ما، لا حاجة لمجهود تقوم به.. لا يوجد شيء لتحمي نفسك منه.. إن حاولت أن تبني أسوار عالية وحصون متينة فإنك لن تحجب عنك إلا الحياة نفسها، لأن ليس هناك غير الحياة.. الحياة وحدها.. تماما وحدها.. وجميلة بوحدانيتها.. مهيبة وفاخرة بوحدتها.

بإمكانك أن تعيش الحياة بطريقتين. بإمكانك أن تنساب مع انسياب الحياة، فتصبح أنت مهيب وعظيم كما هي الحياة، تشعر بالجمال والسمو كما هي الحياة، تستطعم نعمة اللامقاومة، اللاصراع، اللاكفاح.. عندها سيكون لديك ما يشبه جمال الأطفال والورود، الجمال الناعم الرقيق، الجمال الذي لم تفسده الجاهلية والأهواء. إذا تحركت مع الحياة بانسيابية تكون متديّن. هذا ما يعنيه الدين للاوتزو، ولي أنا أيضا.

الدين الذي يعرفه الناس هو أن تصارع الحياة من أجل الله. بهذا يكون الهدف هو الله، وعليك أن تحارب الحياة وتنكرها وتتجاهلها، عليك أن تضحي بالحياة من أجل أن تصل إلى الله او تحصل على الله أو على رضاه. هذا هو الدين عند عامة الناس. هذا هو الدين الذي نجده في كل مكان. الدين هذا جزء من العقل الذي يعيش في عنف وصراع وتهجم.[48]

لا يوجد إله في ما بعد الحياة، الحياة هي الله. إذا أنكرت الحياة، أنكرت الله، إذا ضحيت بالحياة، فقد ضحيت بالله. في جميع التضحيات التي قدمتها وتقدمها في حياتك، هي تضحيات لا تقدم فيها سوى الله. سيبدو لكم ما قاله جورج غوردجييف [49] غير معقول، ولكنه حقيقة، قال: "جميع الأديان ضد الله!" إذا كانت الحياة هي الله،

---

[48] الدين هذا نجده يتماشى مع العقل العصري الذي يحسب ويفكر برصيد البنك والبورصة والتجارة، الذي يفكر في استراتيجية الحرب واقتصاد الدولة والعلاقات السياسية.. نجد الطريق واحد أو المنهج واحد؛ حيث المبدأ هو المقاومة وعدم الرضا عن النفس والواقع ومحاولة تطويره وتغييره. هذا هو مبدأ حياتها بشكل عامل. بينما ما يتحدث عنه أوشو فهو عكس ذلك تماما، كما نقرأ في هذه الصفحات.

[49] George Gurdjieff: (1872?-1912) معلم روحاني من أرمينيا. وقد صنف من أفضل الشخصيات الروحانية في القرن العشرون إلى جانب أوشو.

فعندما ننكر الحياة ونهجرها ونضحي بها، في حقيقة الأمر فإننا نهجر ونضحي بالله ونكون ضد منهجه. لكن يبدو أن غوردجييف لم يعرف الكثير عن لاوتزو، أو حتى لو عرفه لقال الأمر نفسه، لأن لاوتزو لا يبدو أنه متدين عادي، إنما تدينه كما هم الشعراء والموسيقيين والفنانين، كمبدع وليس كواعظ أو راهب أو فيلسوف. إنه يبدو عادي جدا، بحيث إن رأيته فلن تعرف إنه متدين. –حقاً؛ أن يكون المرء متدين يعني أن يكون ويبدوا عاديا جدا بدون أدنى اختلاف عن الكل، بحيث ألا يشذ الجزء عن الكل، بل الجزء ينساب يتجانس مع الكل. أن تكون متدين هي أن لا تنفصل عن دفق الفيض وجريان نهر الحياة.[50]

والعكس صحيح، ألا يكون المرء متدين هي أن يتصرف بأنا عقله ego، عقله الذي يبذل الجهد كي يكافح ويصارع ويفوز، أن يفوز ويصل إلى مكان ما، إلى هدف ما. لن تكون متدين إن كنت تفكر في الغد.. تضيع الفرصة عندما تفكر بالغد، لأن الدين حاضر ها هنا ليس له غد، لهذا يقول عيسى: "لا تفكر في الغد، انظر إلى الزنابق في المروج، وهي تتفتح الآن" كل شيء له كينونة يعيشها، كينونة أن يكون الآن حاضرا في هذه اللحظة. الآن هو الوقت الوحيد، الآن هي لحظة الخلود الوحيدة..[51]

هناك احتمالين لا ثالث لهما، الطريقة الأولى هو أن تصارع الحياة وتحصل على أهدافك الشخصية الخاصة بك.. وفي هذه الطريقة فإنك تحاول أن تفرض نمط حياة أو شيء ما من نفسك.. تحاول أن تجعل الحياة تتبع منهجك، وليس أنت إلا جزء صغير جدا في الحياة كيف لك أن تجرّ الكون كله معك؟ وبالطبع ستكون الهزيمة من نصيبك، ستفقد الجمال والسمو الذي وهبتهما الحياة لك، وتتجه بهذا نحو الصلابة والجفاف والقسوة، كما هم الأموات.

الصراع يولّد الصلابة والخشونة. بمجرد أن تفكر في العراك والمقاومة، ستشعر بالشدة والصلابة التي تحيط حولك. فكّر في المقاومة وستشعر بأن القسوة تغطيك كالشرنقة. والفكرة بذاتها التي تتحدث فيها عن أهدافك، تجعلك كالجزيرة المنعزلة عن الحياة. الأهداف لا تجعلك كالقارة الكبيرة التي لا تغرق، بل تجعلك كالجزيرة المنعزلة عن الحياة. عندما تكون مفصول عن الأرض، قد تعيش قليلا على الأغذية المتبقية من الماضي، وبالتدريج تقترب من الموت. الشجرة تحتاج إلى جذور، تحتاج أن تكون الشجرة على الأرض مختلطة ومرتبطة بالتربة.

---

50 انتبه هنا إلى أن التديّن الذي يتحدث عنه هو التدين الطبيعي الذي يكون الجزء مع الكل، بأن لا يختلف المرء مع الطبيعة.. لأن قانون الله هو قانون الطبيعة، وما يشذ عن الطبيعة فهو ليس بقانون الله. لهذا العلم لا يتناقض مع الدين الحقيقي. ويجب أن تنتبه لأمر آخر، هو أن يكون المرء جزء ينساب مع الكل لا يعني أن ينساب المرء مع المجتمع، إذ سبق وأشار أوشو أن من يخرج من مصيدة المجتمع والروتين اليومي للحياة هم ما يسمون بالأولياء أو المستنيرين.. فشذوهم كان شذوذ عن الأمور الاجتماعية المزيفة التي ليس لها صلة مع الطبيعة، والقوانين الاجتماعية صنعت من عقل الإنسان، كما هي حالة الغنى والفقر أو المركز الاجتماعي والسياسي.. بينما شذوذ المرء عن الطبيعة يعني أن يشذ الجزء عن الكل، أي أن يشذ عن قوانين الطبيعة التي وضعها الله، وهذا الدين الحقيقي الذي يتحدث عنه لاوتزو ويشير إليه أوشو.

51 الكينونة أو الصيرورة التي تشير لها الترجمات المختلفة تشير إلى الفعل "كن"، وترجمتها في الانجليزية هي "TO BE" أي أن يصبح الشيء على شاكلة ما، والكينونة هي "BEING". وهذا ما يذكرنا بالآية حيث يقول تعالى في سورة يس 82 ((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)) وتكون ترجمتها الانجليزية: ((His command is only when he intends a thing that he says to it, "BE' and it is))

تحتاج بشكل كامل أن تنضم بشكل كلي مع قارة الحياة، وتكون جزء منها، وتكون جذورك ضـاربة في أعماق باطن الحياة.. وعندما تتمسك بتربة الحياة، تصبح ناعم ويانع كأوراق الشجرة الكبيرة.. لأنك لا تشعر بالخوف أبدا. الخوف من الموت والانعزال يولد الصلابة، الخوف يولد فكرة الضمانات وتأمين الحياة، الخوف يولد فكرة بناء الأسوار العالية لحماية نفسك.. ولا شيء يقتل المرء مثل الخوف، لأن فكرة الخوف بحد ذاتها تفصلك عن الحياة وتقتلع جذورك تماما.

عندما تفكر بالماضي، وكأنك تقتات على الماضي وتحيا منه. وليست صدفه أن يكون الفعل -أي فعل، أي مجهود يقوم به المرء- يقوم على مبدأ إما الماضي أو المستقبل. نحن نفكر كثيرا في الماضي، ولماذا نفكر كثيرا به؟ إن ما قد فات فقد فات! لا يمكن للماضي أن يعود أو يتصلّح. الماضي ميّت، لماذا نستمر بالتفكير به؟ لا يوجد ما نقوم به باتجاه الماضي، لا يمكنك أن تعيد الماضي وتحيا به. لا يمكن أن تدمر الماضي وتمحوه. إنما بإمكان الماضي أن يدمر الحاضر ويمحوه!

لكن ما سبب تفكير معظم البشر في الماضي؟ لابد أن يكون هناك سبب! يعود السبب العميق أن كل فرد يعيش في صراع دائم مع الكل، مع الحياة.. يقاتل الحياة، يسبح عكس تيار النهر، كل فرد يقتلع جذوره بحيث صار بلا جذور أو بجذور ضعيفة هزيلة.. كل فرد صار منغلق على نفسه يشعر بالوحدة، لم يعد المرء جزء من الكون الواسع العظيم.. ولهذا أصبحوا الناس شحيحي اليدين، مقبوضة دائما، تتغذى وتقتات على الماضي. ولهذا يستمرون بالتفكير في الماضي.

وطالما أنك تقتات على الماضي، منغلق على نفسك، ستشعر بالخوف، وبناء على هذا فإنك تستجمع نفسك وتستعد للصراع والمقاومة والقتال، ومن هنا تفكر في المستقبل. تمنح فكرة المستقبل شعور الأمل. الماضي يمدك بالتغذية، والمستقبل يمدك بالأمل. بينما الحياة والخلود والأبدية لا تكون إلا بين هذين الإثنين. عندما تفقد الحياة الحاضرة الآن هنا، فإنك تموت، لأنك تقتات على ماضي ميت ومستقبل لم يصل بعد.

هناك طريقة أخرى لتحقق كينونتك، أي أن تكون حاضر ها هنا في هذه اللحظة دون ماضي أو مستقبل، الطريقة الوحيدة هي أن تغوص عميقا فيما تفعله الآن. لا يمكنك أن تحقق كينونتك وتكون في الحاضر عندما تقوم بالصراع والسباحة ضد النهر، إنما عليك أن تسبح مع تيار النهر، وتنساب معه، وبهذا تكون في الحاضر ولن تشعر بأنك مفصول، بل موصول معه. وتصبح جزء منه، ومغمور به، تصبح أنت النهر إذ لا انفصال أو اختلاف بينكما. عندما لا تتصارع مع الحياة تصبح الحياة كلها. عندما لا تقاوم تصبح الأعظم والأضخم. في الشرق يسمون هذه الحالة بالاستسلام، أو الثقة بالحياة، أو الايمان، في الهند نسميها shraddha؛ الثقة بالوجود، الثقة بالحياة. لا تتحقق الثقة عن طريق الاعتقاد بها في العقل المنعزل، ولكن تكمن في أن ينغمس كيان الإنسان بالحياة ويختبرها. لا يمكن أن نثق بالجزء الصغير المحدود، ولكننا نثق بالكل اللامحدود. لا أثق بالعقل، بل أثق بالوجود الذي يمكن أن أستسلم له. وهنا يصبح المرء ناعما بعدما كان قاسيا يصارع الحياة. يصبح ناعم منساب برقة، لأن لا حاجة حينها ليكون صلبا لأنه لن يقاوم الحياة. ومن هنا تختفي العدائية بينك وبين الحياة، فلا أسوار عالية لتحمي نفسك. ولا عداوة بعد اليوم ولا مقاومة ضد الحياة.

الحياة مضمونة، الحياة آمنة. إنما الأنا عند الأفراد هي الغير آمنة وغير ذي ثقة، لا يمكن أن تشعر بالأمان عند الأنا، لهذا تحتاج أن تحمي نفسك. الأنا تخاف من الموت، الأنا ترتجف دائما وتحاول أن تعظّم نفسها حتى لا تموت، ولهذا يعيش المرء في قلق وحرب.. لا يمكنه أن يحيا الحياه هكذا. حياته تفتقر للبهجة والمتعة. بمجرد أن ينفتح المرء على الحياة، بدو ضمانات وأسوار عالية، سيختبر الأمان في الحياة والثقة والإيمان بها، سيذوق رحيقها ويشتم عبقها وأريجها.

بمجرد أن ينفتح المرء على الحياة، تنهمر الحياة عليه ويشعر بالغبطة والفرح والمتعة بصورة دائمة وليست في لحظة مؤقته وبدون حساب أو سبب يذكر، لأن الحياة دائما كريمة، ومن طبيعتها أن تنشر الفرح والاحتفال دائما. وبمجرد أن يشعر المرء ويدرك بأنه ها هنا موجود في حضن الحياة، سيشعر بالسعادة مهما كان، أينما كان.

من هنا الهندوس أطلقوا اسم على المطلق اللامحدود اسم Satchitananda الحق، الوعي، النعيم، الهناء. يعني أنه لو حققت كينونتك ووصلت إلى الحياة فإنك تصل إلى النعيم. أن تعيش حقيقة الحياة وصلبها هو أن تكون في منتهى النعيم. لا يوجد طريقة أخرى ليحقق المرء كينونته سوى هذه الطريقة.

إن شعر المرء بالبؤس يعني أنه فقد الاتصال مع الحياة، أن تشعر بالبؤس والكآبة يعني أنك قطعت جذورك مع تربة الحياة وأصبحت منفصل عن النهر، كلوح الثلج الذي يطفح فوق النهر ولكنه لم يذب في النهر بعد. والأنا دائما ما تريد أن تذهب عكس التيار لتعرض عضلاتها للنهر، لتقول بأنها أقوى من النهر، لا يمكن للأنا أن تقبل بالانسياب مع النهر لأن بانسيابها يعني أنها خاضعة وضعيفة أمام النهر، ولهذا دائما تحاول الأنا أن تتحدى الكل وتعيش في صراع دائم. وإن لم تجد من تصارعه وتقاومه فستشعر بالبؤس. الأنا كي تعيش تحتاج أن تصارع أحد ما. ومن هنا ينبع شعور وفرح مزيف عندما يعيش المرء الصراع والعراك أو التحدي في كل شيء، ولكن هذا الشعور يعبر عن مرض نفسي عصبي[52]. إذا تصارعت تصبح صلبا وتحيط نفسك بجدار ميت. وتفقد معها النعومة والطراوة والانسيابية والسمو واللطافة.

"لاوتسو" يقف بجانب الاستسلام والثقة. يقول دائما: "استسلم للكون والحياة، اسمح للكون أن يرشدك ويدلك على الطريق، لا تحاول أن تتفوق على الحياة، لا تحاول أن تتلاعب وتسيطر على الحياة.. اترك الحياة تتلاعب بك وتسيطر عليك، اترك الحياة لتمتلكك.. استسلم لها ببساطة وقل في نفسك "أنا لست أنا" وقدم كل القوة للحياة وكن معها واسر معها".

إنه لأمر صعب، لأن الأنا تقول: "من أنا؟ لماذا أستسلم؟ لم أعد مفيدة بعد الآن، لم أعد موجودة بعد الآن" عندما تختفي الأنا من الوجود، تظهر حقيقتك للوجود، تتحقق كينونتك لأول مرة في الحياة وتستطعم هذا الأمر. وستشعر للمرة الأولى بأنك لست محدود أبدا وإنك أبعد من حدود الجسد هذا.. تشعر بالضخامة واللاحدود الذي يستمر بالتوسع أكثر وأكثر، لا بداية وله ولا نهاية.

---

[52] Pathological way

الأنا لا تعرف عن هذه الأمور شيء. ستردد عليك دائما قولها: "ما تفعله لن يفيدك إلا خسارة نفسك وضياعها" إن استمعت للأنا، فإنك ستقطع الطريق وتعود أدراجك إلى المرض العصابي، ستعد تبحث عن لباس جديد و"شخصية" جديدة حتى تعظّم الأنا نفسها. كلما أصبحت شخصية ما أو لبست لباس ما، كلما ابتعدت عن الحياة. أنظر إلى الشخصيات التي نجحت في الحياة، والذين صاروا مشهورين ومهمين للجمهور، الشخصيات ذو الأسماء التي لا تختفي من التاريخ، الشخصيات ذو الأسماء التي لا تختفي من أسئلة البرامج التلفزيونية والمسابقات، من فعل كذا؟ ومن قال هذه المقولة؟ من بنى ومن حقق ومن غنى.. إلخ. أنظر إلى أصحاب تلك الأسماء وراقبهم، ستجدهم يعيشون حياة مزيفة، يلبسون أقنعة، ولا يتمتعون بغنى باطني أبدا، بل فارغين تماما من الداخل، أناس مجوفين. لا يحيون الحياة ولهذا يشعرون بفراغ، فيصنعون أكذوبة لأنفسهم ليعيشوا ويقتاتوا منها.

راقب الناس الذي نجحوا في الحياة، والذين صاروا رؤساء، وزراء، زعماء، رجال دين، أغنياء، والذين حصلوا على كل ما يمكن الحصول عليه في العالم. راقبهم، انظر إليهم، تلمس حياتهم، ستجد فيها الموت. لن تجد فيها قلب يدق ويخفق. قد تسمع لهم قلب يدق ولكن دقاتهم ميكانيكية. الخفقان فقد شعوره! ينظرون إليك ولكن عيونهم فارغة، ينظرون إليك ولكن لا يرون. ولن تجد لديهم شوق شديد لكي يحيون الحياة. قد يصافحون يدك، ولكنك لن تشعر أي طاقة بأيديهم، لن تجد دفء وترحيب، بل عبارة عن يد ميتة، وثقل ستشعر به. لن تجد عندهم الحب، انظر حولهم، ستجدهم يعيشون في جحيم.. نعم لقد نجحوا وصاروا شخص ما يعرفه العالم، ولكن لن يتمتعوا بشيء حولهم سوى الجحيم.. وأنت ستكون على المسار نفسه إن حاولت أن تكون شخصية ما وتصبح أحد ما ناجح يلتف حوله الجمهور ويتحدث عنه.

يقول لاوتسو، لا تصير شخصا، بل كن اللا-أحد، وعندها ستجد الحياة اللامحدودة تنهمر عليك. وإن لبست شخصية ما فإن تلك الشخصية ستكون عائق وسد منيع. إن صرت لا-أحد ستكون واسع يمكنك ان تحتوي على كل دفق الحياة، الذي يسع النجوم والسماء. لا شيء يمكن أن يزعج أو يضيق دفق الحياة فيك. ولن تجد بعدها ما تخسره لأنك إن استلمت الحياة، فإنك حصلت على كل شيء.

في هذه اللحظة التي تستمر الحياة بالتدفق نحو الشخص، فإن الفرد يظل شاب للأبد.. قد يتقدم الجسد بالعمر ويشيخ، ولكن قلب وجوهر المرء لن يشوبه عطل أو هرم، بل يضل نضر يشع الجمال منه. بل لا يموت أيضا. إن لاوتزو وجميع المستنيرون يشيرون إلى أن هذا هو الطريق ليكون المرء متديّن. اندمج مع "التاو" لا تخلق أي أهداف خاصة بك، لأن الكل يعرف مصلحة الجزء، يعرف مصلحة الجزء أكثر من الجزء نفسه. الكل خلق الجزء وسواه بصورة جميلة، الكل تنفس في الجزء ومَنَحَهُ الحياة. لماذا يقلق الجزء ويهتم بأمور هامشية دنيوية؟ دع مسؤوليتك على عاتق الكل، واتبع الكل إلى حيث يأخذك، لا تحاول أن تخطط وتجبر الكل على أن يتبع أهدافك، ولا تسأله عن خططه أو أهدافه، لأنك بهذا ستخلق الحنق والتذمر، وعندها ستولد الصلابة فيك وتفوت فرصة أن تكون حي مع الكل.[٥٣]

---

[٥٣] الكل هنا يشير إلى الكون أو المشيئة الإلهية، ولا يعني الكل، بالمجتمع.

هذه هي المسألة، إذا سمحت للحياة بإنعاشك، فستنتعش أكثر وحياة ستجلب لك المزيد والمزيد، إذا سمحت لنفسك أن تحيا قليلا، فإن الحياة ستجلب لك المزيد والمزيد من الحيوية، فقط دع الباب مفتوح واستقبل. يقول عيسى دائما: تعال إليّ، وانا سأوريك الطريق لحياة لا نهائية، حياة غنية وافرة وغزيرة، حياة منهمرة كالشلال، حياة مليئة بالفيوضات" لكننا نعيش كمتسولين دائما. كان من الممكن أن نعيش كالأباطرة، وليس هناك مسؤول عن هذا سوى الأنا التي سببت للبشرية الشقاء والبؤس.

تقول السوترا:[54]

عندما يولد المرء، يكون هش ورقيق.

انظر إلى طفل حديث الولادة، لن تجد أي قشرة جافة حوله، ستجده رقيق وهش قابل للجرح بسهوله، ستجده متفتح للحياة، وستجد الحياة ترقص حوله بنقائها وصفائها. ولن تطول الحياة معه حتى تقترب الشخصيات الاجتماعية التي تدور حوله، وسيجد الطفل نفسه في قفص المجتمع كالأسير. قفص العائلة والمدرسة والجامعة. حينها سيعيش بعيدا عن الحياة، سيتقيد كالسجين. ستخفق الحياة في عمق أعماقه ولكنه لن يستطيع سماعها لانشغاله في قفصه الصغير.

راقب الوليد الجديد مرة أخرى، راقبه مرة تلو الأخرى.. ستحدث معجزة ما. لأن الحياة تحاول أن تريك الطريق بشكل أو بآخر، ودائما تجدد الحياة نفسها في كل لحظة؛ الكهول يموتون، والصغار يولدون في كل لحظة.. ما الهدف من ذلك؟

من الواضح أن الحياة لا تقتنع بالكهولة والعجز. ولو أن الحياة تُدار من قبل الاقتصاديين، فستكون الحياة بالنسبة لهم تجارة غير رابحة، ممارسة غير اقتصادية، وهدر للممتلكات. فالرجال الكبار في السن لديهم خبرة وتدريب طويل في الحياة والعالم، عندما يكون مستعد للاستثمار، عندما يعتقد إنه وصل إلى الحكمة، فإن الموت يأتيه ليصارعه ويسلبه حياته، وتستبدل الحياة الشيخ المسن ذو خبرات كبيرة، بطفل صغير جديد دون خبرة تذكر! تستبدل الحياة شيخ كبير ذو خبرة قديمة في الحياة بطفل صغير ليس لديه شيء، كالورقة البيضاء؟ إن سألت الاقتصاديين فسيقولون أن هذا جنون وحماقة! وعلى الله أن يستشير الاقتصاديين اولاً حتى يعرف ما الذي سيفعله؟! إنه يهدر الثروة ويسرف فيها! إنسان ما مدرب وذو خبرة في الحياة عمرها ثلاثين سنة، يموت؟ وطفل غير مدرب، ذو عقل خالي تماما نستبدله ونمنحه الحياة؟ الا يجب أن يكون الأمر عكس ذلك تماما؟ عندها سيكون الأمر ذو استثمار ناجح بدون تبذير لثروات الحياة؟!

إنما الحياة لا تؤمن بالاقتصاد. والحمد لله أنها لا تؤمن بالاقتصاد، وإلا لتحول العالم كله إلى مقبرة كبيره. الحياة تؤمن بالعيش والتمتع والاحتفال، وليس بالاقتصاد. الحياة تستمر باستبدال الناس الكهول بأطفال جديدة.. أناس أموات بشباب حيويين، أناس صلبين قاسيين بأناس لينين لطيفين. والإشارة واضحة في هذا الأمر! والمغزى مفهوم تماما؛

[54] Sutra: هي كلمة سانسكريتية، تشير إلى عبارة من العبارات أو الجمل أو النصوص المأثورة في البوذية والهندوسية. وحرفيا تعني الخيط أو الاشارة أو الجذر الذي يربط الأمور في بعضها لمزيد من الفهم. (موسوعة ويكيبيديا)

الحياة تحب الرقة واللطافة، لأن يمكن لها أن تتدفق في ذلك المخلوق الناعم، لكنها لا تتدفق في المخلوق الصلب القاسي.

عندما يولد المرء، يكون هش ورقيق.

"لاوتسو" يصر على نقطة أخرى وهي؛ أن الحياة لا تؤمن بالقوة. يكمن في الضعف جمال، لأنه ناعم ولين. عاصفة قوية تأتي، وأشجار قوية كبيرة تسقط وتتكسر، بينما الحشائش الصغيرة تنحني وترقص مع العاصفة.. تمضي العاصفة بعد حين، فتبتسم الحشائش الصغيرة وتزهر مرة أخرى. لأن العاصفة أنعشتهم ولم تزعجهم، لقد أبعدت الغبار عنهم.. هذا كل ما في الأمر. تصبح الحشائش الصغيرة منتعشة أكثر من قبل.. تصبح نضرة ونظيفة أكثر من ذي قبل. إنما الأشجار الكبيرة والقوية جدا تتكسر وتتساقط لأنها لا تستطيع المقاومة، لم تنحني مع الرياح.. لأن الأنا عندها كبيرة وقوية.

يقول لاوتسو "الحياة تحب الضعف"، وهذا يطابق ما قاله عيسى: "طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ" دائما ما تفوّت المسيحية المعاني في أقوال المسيح، لأنها أقوال "لاوتزو" مالم يعودوا إليه ويقرأوا له لن يفسروا المعنى الصحيح لأقوال المسيح. جميع تعاليم عيسى تدعو لأن يكون المرء حي وضعيف. لهذا يقول "إذا لطمك أحدهم على خدك الأيمن فحول له خدك الأيسر أيضا، إذا اراد أحدهم معطفك اعطه قميصك أيضا، وإذا ما أجبرك أحد أن تمشي معه ميلاً، فاذهب معه ميلين. ويقول: "طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ."

لماذا الضعف والنعومة مباركة؟ جميع قادة العالم يوصون الشعب بأن يكون قويا، بينما المسيح و"لاوتزو" يطلبون من الآخرين بأن يكونوا ضعاف! لابد أن هناك سر ما في الضعف! أن يكون المرء قوي يحتاج لأن يكون صلب، ولكي يكون المرء صلبا عليه أن يكون ضد الحياة. إذا أراد أن يكون المرء صلبا، عليه أن يقاتل التيار، ولهذا سيصبح قوي. لا توجد طريقة أخرى ليصبح المرء قويا إلا بهذه الطريقة. على المرء أن يسير ضد التيار، تيار النهر يصب إلى الأسفل، والمر عليه أن يسبح إلى الأعلى، وكلما تعارك المر وتحدى التيار كلما صار أقوى. انسياب المرء مع التيار والسباحة باتجاهه تجعل المرء ضعيفا، وهكذا، إذا طلب النهر منك أن تذهب معه ميل واحد، فاذهب معه ميلين، إذا طلب النهر معطفك اعطه قميصك أيضا، إذا صفعك النهر على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر أيضا.

الضعف فيه جمال وسمو ولياقة، جمال اللاعنف، جمال معني بالحب والغفران، جمال اللاصراع. لا يمكن للإنسانية أن تعيش بسلام ما لم تفهم "لاوتزو" جيدا وتشعر بما يقوله.

إذا حفزك أحدهم لأن تكون قويا، فيجب عليك القتال والعراك المستمر. كل القادة السياسيّون في العالم يقولون أنهم يحبون السلام، وكلهم يحضّرون للحرب ويستعدون له! يقولون أنهم يقفون بجانب السلام، بينما هم يستمرون بجمع أكوام من القوات الحربية. يتحدثون عن السلام بينما يعدون عدة الحرب. وعذرهم الوحيد هو أنهم يجب أن يكونوا جاهزين مستعدين لأي حرب، لأنهم يخافون من الطرف الآخر! والطرف الآخر يكرر الأمر نفسه ويردده! وهذه هي الحماقة. الصين تخاف من الهند، والهند تخاف من الصين.

لما لم يلتفت أحدهم لهذه النقطة؟ روسيا تخاف من أمريكا وأمريكا تخاف من روسيا، وكلاهما يتحدثان عن السلام، وكلاهما يعدان عدة الحرب الذي يخلقونه بأنفسهما.

تتحدثون عن السلام وكأنه قمامة. حديثكم عن السلام ما هو إلا حرب باردة. في الواقع السياسيون يحتاجون الوقت لكي يعدو عدة الحرب، وفي أثناء ذلك يتحدثون عن السلام حتى يتسنى لهم الوقت الكافي لتجهيز عدتهم للحرب. ولمدة قرون طويلة، عاشت الإنسانية بين مرحلتين لا ثالث لهما: مرحلة الحرب، ومرحلة التحضير للحرب. هاتان المرحلتان الوحيدتان التي عرفتها البشرية. التاريخ كله يبدوا أنه مريض بمرض عصابي.

ولكن هذا الوضع طبيعي طالما أن القوة تجلس على كرسي المجد، القوة ممجدة، الأنا ممجدة، ولهذا الوضع يعتبر طبيعي، لأن كلاهما نتاج الآخر. فلو كان هناك شخصين يتصارعان في الشارع، وواحد يبدو أقوى من الآخر، يسقط الضعيف على الأرض متألم، والقوي يقف على صدرة. فأيهما ستمجد وتشجع؟ هل ستشجّع الشخص الذي كسب المصارعة أم الذي خسر؟ إن كان جوابك بأنك تشجع الذي فاز فهذا يدل بأنك شخص عنيف، ودائما ستقف لصالح الحروب وتؤيدها، وتجد لها مليون عذر وتحليل.. تثير الحرب، شخص خطير ومريض بالأعصاب. لن تجد أي شخص يشجع الرجل الذي خسر المصارعة، لا أحد يقدّر الضُعفاء، لا أحد يريد أن يرتبط مع الضعيف وينتمي له، لأن في أعماقهم جميعا يريدون أن يصبحوا أقوياء.

عندما تشجع القوي، تقول في نفسك: نعم، هذا مثلي الأعلى، أود أنا أيضا أن أكون مثله. إذا مجدت القوي، فإنك تمجد العنف، إذا قدّرت القوة فإنك تقدر الموت.. لأن كل قوة تقتلك وتقتل الآخر أيضا.. القوة متهورة مجرمة انتحارية.

الضعف هي كلمة، فيها من الإدانة والحكم ما فيها. ولكن ما هو الضعف؟ الوردة ضعيفة ورقيقة. بينما الصخرة بجانب هذه الوردة تكون قوية جدا. فهل تحب أن تكون كالحجر أم كالوردة؟ تذكر أن الوردة ضعيفة جدا، ورياح بطيئة قد تكسرها أو تقتلعها من جذورها، ومعجزة إن بقيت الوردة أمام الرياح، لأنها ضعيفة ورقيقة، كيف لها أن تنجو؟ يبدوا أن الوضع مع الصخور ممتاز ومريح، لأنهم يستمرون بالبقاء، ولديهم القوة الكافية لكي يواجهوا الرياح. ولكن الوردة التي لا تجد لها دعم من أحد قد لا تنجو من الريح. الوردة الغير حقيقية المصنوعة من البلاستيك تستطيع أن تواجه الريح وتبقى للأبد، ولكنها غير حقيقية.. تبدو الوردة الصناعية قوية جدا لأنها غير حقيقية، بينما الوردة الحقيقية هي ناعمة وضعيفة وهشة، وكلما كانت الوردة الحقيقية طويلة وعالية كلما صارت أنعم وأضعف.

لا تستطيع أن تفهم الله لأن عقلك يفهم منطق الصخور. لا يمكنك أن تفهم منطق الأزهار، لأن عقلك يفهم الحسابات المرتبة، لم يمتلك عقلك بعد الحسبة الجمالية لكي تشعر بالزهور. فقط عقل الشاعر المرهف هو من يفهم منطق الله. لأن الله هو الأنعم والأرق، لذلك الله هو في أعلى مرتبة من المطلق، الزهرة المطلقة، الجمال المطلق.. الله يزهر، ولكن أزهاره تبقى أقل من ثانية واحدة، وهذا ما يسمى بـ الحضرة، اللحظة الراهنة، اللحظة الحاضرة الحالية. هي لحظة صغيرة نسبيا، يجب عليك أن تكون يقظ بشكل كلي حتى تشعر بها، وإلا ستفتقر إلى الله وتفقده. الله يزهر بشكل دائم، في كل لحظة تتفتح لله زهرة،

ولكنك لا تستطيع أن تراها لأن عقلك مشوش بالماضي والمستقبل. بينما الحاضر لحظاته دقيقة جدا وضيقة، تمر بشكل سريع، كما هي رمشة العين. في هذه اللحظات السريعة الضيقة يمكن أن تشتم زهور الله في قلبك.

إنه الأعلى، المطلق دائما، لكنه كالزهرة الرقيقة والناعمة جدا جدا، وهكذا يجب أن يكون لأنه القمة والذروة والأوج والعظمة. له المستوى الأعلى والأكمل، لا حد له ولا بعده شيء. بإمكانك أن تفهم الله فقط عندما تفهم منطق النعومة والضعف، إذا حاولت أن تكون قويا، هازما للكل ومصارع ومحارب للجميع، عندها ستعيش في عالم الأرض محاطا بالصخور وليس بالأزهار. والله سيغدو ظاهره تتحدث عنها حديثا طويلا، تحقيقه بعيد المنال عنك. لن يكون بإمكانك أن تلتقي بالله في أي مكان في هذه الحياة.

عندما يولد المرء يكون طري وضعيف، وعندما يموت المرء يكون صلبا قاسيا.

هذا ما يجب أن تكون عليه حياتك، أن تكون طريا وضعيف.. لا تحاول أن تكون صلباً خشنا، لأن بتلك الطريقة فإنك تجلب موتك أكثر وأكثر.. الموت حتما سيحل لا محالة اليوم أو غدا.. هذا ليس مهما.. الموت لا يشكل مشكلة اطلاقا. ولكن إن كنت تعيش حياة الموت بشخصيتك كل يوم، هنا تكمن المشكلة! الموت بحد ذاته رقيق ولطيف، ألطف من الحياة نفسها.. لأنه يمكن للمرء أن يسمع صوت الحياة، ولكن لا يمكنه أن يسمع صوت الموت.. لأنه ناعم جدا لا صوت له، لا يمكن أن تصمع صوته أبدا حتى لو للحظة واحدة. الموت لا يشكل مشكلة أبدا، ولكن إن كنت تخاف الموت وتعيش الموت وأنت حي تتنفس، فتلك هي المشكلة. أن تعيش حياة ميتة تلك هي المشكلة. الانغلاق، الصلابة تعني الموت. الفيلسوف "ليبنيز"[55] يسمى أسلوب الحياة الصلبة هذه بـــ Monad موناد، يعني منغلق كما هو السجن، كما هي الكبسولة، لا نوافذ لها لتنظر بها إلى الخارج، أو أن يلقي عليك أحدهم نظرة إلى الداخل. "الموناد" مغلق تماما لا شبابيك فيها، مثل خلية السجن. كلمة Monad أتت من نفس جذر كلمة Monopoly وMonastry أي الدير وmonk أي الراهب وmonogamy أي الزواج الأحادي (شريط حياة واحد طوال الحياة)؛ جميع تلك الكلمات تعني أن تكون لوحدك. الراهب هو الفرد الذي يعيش وحيدا، الدير هو المكان الذي يعيش فيه الناس منعزلين للتعبد.

عندما تكون لوحدك في خلية ميتة، تكون في دير، كأنك تعيش في كهف، لا يمكنك أن تصل للآخرين، وليس للآخرين امكانية الوصول إليك. وهذا هو الموت، حيث القسوة واليبوسة. وعندما تشعر بالكآبة والبؤس، فإنك تبحث عن وسائل للتخلص من هذا العنف، تبحث عن وسائل لتقاوم هذا البؤس والكآبة، تكون عنيدا وصارما مع شعورك الحزين. وبهذه الطريقة لا يمكنك أن تحل هذه المشكلة، لن تتخلص من الكآبة بهذه الطريقة. إنما إن جاريت شعورك وكنت لينا معه، ستتخلص منه بسهولة.

---

[55] Leibniz

كن كالطفل، بنعومته ونقائه. لا تفقد الاتصال بالطفولة. وستندهش بأن الطفل الذي كان موجودا قبل خمسين سنة، لا زال يعيش مختبئا في باطنك. إذا عرفت كيف تتصل معه، فإنك ستكون أيضا طفل بري، ولكن ليس طفل جاهل، إنما طفل بريء يتمتع بوعي.

إن لم تشعر بالطفولة ولم تتصل بالطفل الذي في باطنك، هذا لا يعني أنه مات، أو أنه بعيدا عنك أو أنه أصبح شاب أو كهل.. لا يعني إن تحولت من طفل إلى شاب إلى رجل مسن إلى كهل؛ لا يعني أن الطفل قد تحول وأن الشباب قد تغير وتبدل. لا تفقد أي من تلك المراحل أبدا، بل هي عبارة عن طبقات تتراكب في وعيك، وتختبئ في أعماقك. لا تفقد أي من تلك المراحل؛ فالوليد الذي كنت تعيش مرحلته يبقى معك إلى الأبد. ولكن مع التقدم بالعمر ونمط الحياة الاجتماعية تخلق حجب وفواصل تفصلك عن المراحل تلك، ولو أزيلت تلك الحجب ستندهش عندما ترى أن الوليد والطفل لا زال موجود فيك.. ستشعر بينبوع من الطفولة يتفجر فيك. وهذا التفجر هو ما أسميه بالنشوة والوجد.

يقول المسيح: "إن لم تعودوا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت الله" هذا ما كان يعنيه عيسى، وهذا ما أتحدث عنه. إذا اخترقت قشرتك الصلبة، وهدمت الجدران من حول باطنك، ومسحت الطبقات العديدة المتراكمة، ستفجر ينبوع الطفولة في داخلك. وستنظر مرة أخرى إلى العالم بنظرة جديدة، بعينين تملؤهما البراءة. عندها يمكنك أن ترى الله.

الله ليس نظرية فلسفية. إنما هو هذا العالم الذي لا تراه إلا بعين الطفل. العالم نفسه، الأزهار نفسها، الجبال والأنهار نفسها.. إنما أنت من يتغيّر وتحمل للدنيا نظرة جديدة، ستكون للدنيا ألوان أخرى بالنسبة لك، وتشعر بجودة سماوية، وبصمة إلهية في كل شيء عندما تنظر إليها بعيون الطفولة. الله لم يضيع ولم يموت، نحن من نبحث عن الله، نحن من نفتقد إلى الله.. الله لم يغب إنما هو حاضر أبدا.. إنما نحن من غاب عنه.

عندما يولد المرء، يكون طريا ضعيفا، وفي لحظة الموت يكون صلبا خشنا.. عندما تكون الأشياء والنباتات مفعمة بالحياة تكون ناعمة ومرنة، وعندما تموت تكون جافة وقاسية.

تعلم، فالحياة تعلمك بطرق شتى. الحياة توضح للإنسان كيف له أن يكون.

لذلك، الصلابة والخشونة هم رفيقا الموت.. بينما النعومة والضعف رفيقا الحياة.

أذا أردت أن تمتلئ بالحيوية أكثر، إذن ابحث عن رفقاء الحياة، اللين، العذوبة، اللطافة.. بينما الأمور الأخرى التي تجعلك صلبا، تكون رفيقة الموت. عش بطريقة بحيث تكون حرا أكثر من اللحظة التي تسبقها.. الإنسان يتحرر أكثر، لا أن يتقيّد أكثر مع مرور الوقت. حالتك الآن كالآتي: شخص لديه منزل كبير بغرف عديدة، وفي كل غرفة هناك آلاف من الألغاز التي يجب أن يحلها، على الطاولة لغز، وعلى الكراسي والأسرة والأرضية وأما الشبابيك ألغاز، وكذلك ألغاز متدلية من السقف وأما التلفاز والحمام.. لم يكن بإمكانه أن يحل أي منها، فيحاول أن يحل واحد من الألغاز، يعجز عن ذلك، يشعر بصعوبة، فينتقل إلى لغز آخر. فيظل اللغز الأول معلق في رأسه.. ليس ذلك فقط، أحيانا يحمل اللغز معه ليحاول حله فيما بعد.. يحاول الآن أن يحل اللغز الثاني..

ولكنه يعجز أيضـا لأنه محتار باللغز الاول، ثم يحتار باللغز الثاني.. عندها ينتقل إلى غرفة أخرى.. وهكذا يسـتمر يتقيّد بلغز فينتقل أكثر إلى لغز آخر ويتقيد بلغز جديد إلى جانب الألغاز الأخرى التي مرت عليه.

يضـطرب فكره بمجموعة من الألغاز الغير محلولة.. شـيئا فشـيئا يصـاب بمرض عصـابي. حتى الآن لم يفكك الإنسـان نقطة واحدة أو لغز واحدمن ألغاز الحياة، آلاف من الألغاز تدور حوله.. والالغاز هذه تقتل الإنسان وتقتل أخيه الإنسان.. ويزداد عدد القتلى كل يوم.

لا تحمل أمور الماضي إلى اليوم، لأن الماضي انتهى.. تخلص من الماضي في كل لحظة، تحرر من الماضـي في كل لحظة، إن كان الماضـي قد حُلّت ألغازه أم لم تُحَل. ولا تحمل أجزاء من الماضي إلى المستقبل، اترك الماضي للماضي والمستقبل للمستقبل وعش حاضرك. عش هذه اللحظة بكليتك قدر المستطاع. وفجأة ستصل إلى ادراك أنه إن عشت اللحظة بنفسها فإنها ستحل نفسها بنفسها. الحياة ليست مشكلة يجب أن نحلها.. بل أحجية يجب أن تعيشها وتندمج معها، لا أن تنفصل عنها وتفكر بها.

إذا حييت بالحياة بغموضـها فإن الغموض سـينقشـع وتكشـف اللعبة، وسـتخرج من الحياة ثريا بثراء الحياة العذبة واللطيفة، بكنوز جديدة تغني كيانك، ولن يزعجك شـيء ما بعدها.

لا تستمر بتكديس اللحظات التي لم تعشا في الماضي، وإلا ستصبح صلبا.. بإمكانك أن تبقى لينا إذا لم تحمل معك أي شـيء من الماضـي. لماذا الأطفال ناعمين يمتلؤون بالحيوية؟ لأنهم لا يحملون الماضي ولا المستقبل. طريقة عيشهم هي طريقة عيش الحكماء؛ إذا غضب الطفل، فإنه يشعر بالغضب في هذه اللحظة. لا يهتم بما قاله النبي عن الغضب ولا يهتم بما قاله بوذا عن الغضـب، حيث قال: "لا تغضـب".. إنما يعيش الطفل غضـبه بشـكل تام، وبكثافة عظيمة.. بحيث يصـبح جميلا وهو غاضـبا.. انظر إلى الأطفال وهم غاضبون، ستجد أن جميع أجزاء الجسد الصغير الناعم تنبض غضبا، كما لو كان سيدمر العالم كله وينفجر بالغضـب. وبعد لحظات من غضـبه يختفي الغضـب تماما ويعود على اللعب مجددا. انظر على وجهه مرة أخرى وهو يلعب، لن تصـدق ما يحدث.. هذا الوجه الذي كان غاضبا قبل لحظات، عاد إلى الابتسامة مرة أخرى.. وستشعر بجمالة وسعادته.

هذه هي الطريقة التي عليك أن تعيشـها، عش اللحظة بكليتها، كن في تلك اللحظة وعشـها واستهلكها ولا تترك فيها جزء لم تعشه وتشعر به.. عش الغضب بكليتك والفرح بكليتك.. الطفل يعيش لحظة الغضـب بكليتها، ثم يترك هذه اللحظة ويذهب على لحظة السـعادة ويترك اللحظة السـابقة. عندما يتطور التعليم في العالم، فلن نعلم الأطفال كيف يسيطرون على غضبهم وألا يشعرون بالغضب. بل نعلمهم كيف يكونوا غاضبين بكليتهم، ونعلمهم أيضـا بالا يحملوا غضـبهم إلى المستقبل.. لأن الغضـب بحد ذاته ليس سيئا، إنما السيئ هو أن تحمله في كل وقت وكل مكان، وبهذا يتراكم غضـب على غضـب فيشكل خطر. ومضات من الغضب شيء جميل، بل من الضروري أن نشعر بالغضب أحيانا! لأن الغضـب يعطي نغمة ورنين لطيف في الحياة، يجعلون الحياة أكثر ملوحة، وإلا سـتشـعر بالترهل والرخاوة، لولا الغضـب لن تشـعر بانسـيابية ونغم بالحياة.

إن الغضب تمرين جيد بحد ذاته.. وإن عاشه الفرد بكليته، وتركه خرج من لحظة الغضب إلى اللحظة الأخرى التي تليها، فإنه سيشعر بالسعادة والرضا والانتعاش.. لا خدش في هذا ولا خطأ أبدا.

الفرد الذي يمكنه أن يكون غاضبا بكليته، يستطيع أن يكون سعيدا بكليته أيضا، يستطيع أن يحب بكليته، لأن الموضوع لا يتعلق فيما إذا شعر المرء بالحب أو الغضب أو السعادة.. بل يتعلق في الإنسان الذي يجب أن يتعلم من كل الخبرات التي يمر بها، ولا يتعلم إلا من خلال تواجده بكليته في لحظة الغضب ولحظة الفرح ولحظة الرضا. إذا كان من المحظور عليك أن تغضب، فلن تكتمل كفرد بإنسانيتك، ستكون ناقص.. فتعيش لحظتك بشكل جزئي لا بشكل كلي، تعيش لحظتك بجزء واحد وجزء آخر معلق في العقل، فتبتسم ولكن ابتسامتك ليست صافية، بل تكون ابتسامة فاسدة، لأنها تخبئ في باطنها الغضب. تبتسم شفتاك، ولكنهما مسمومتان بالغضب.. هذا لأنك لم تترك الغضب ليرحل عنك بعيدا، لازال الماضي يتواجد في الحاضر، لم تترك الماضي حتى يغادرك. وبهذا لا تكن حرا بشكل كامل.. لا تستطيع أن تتواجد هنا الآن وتعيش لحظتك بكليتها عندما لا تترك الماضي ليرحل في حال سبيله. حينما يرافقك تعيش حاضرك وتتعلق بالماضي الذي يريد الرحيل عنك، ستشعر بالحيرة والاضطراب، ستصبح حياتك عبارة عن مخلفات هنا وهناك تجرجرها أينما كنت. ولن تستطيع أن تعيش وتحيا أي لحظة كانت، سعيدة أم حزينة، حينها لا تستطيع أن تحب! لا تستطيع أن تصلي! لا تستطيع أن تتأمل! لا تستطيع أن تستمع لموسيقى أو شعر!

يأتون الناس إليّ قائلين: "عندما نتأمل، تظهر فجأة آلاف من الأفكار، وفي حياتنا اليومية لا تظهر هذه الأفكار، فقط عندما نريد التأمل تتصاعد هذه الأفكار وتظهر، لما يحدث هذا لنا؟"

إن الخبرات الغير كاملة، اللحظات التي لم تعشها بكليتها تعيش في باطنك وتختبئ طالما أنت منشغل في شيء ما. والتأمل هو ممارسة اللاعمل، أي أن تتأمل فقط دون عمل معين أو مجهود ما. وبهذا تقفز الخبرات الغير مكتملة إلى السطح. تقفز وتقول لك: "أليس لديك عمل الآن، فابحث عن حل لمشكلتنا نحن الخبرات الغير مكتملة، أكملنا، أتممنا." هذه الخبرات الغير مكتملة لا تخرج إلى السطح إلا في وقت لا يعمل المرء فيه شيء. وهكذا ستجد أن الغضب يظهر على السطح، والحل يظهر على السطح.. ومن هنا يجب أن تكمله. رغبة ما تظهر على السطح، ابحث عن حل لها.

عندما تكون منشغل في شيء ما، ستظهر لك هذه الأمور، ولكنها لا تثير اهتمامك لأنك تركز على ما تقوم به، ولكن في حالة التأمل فإنهم يحاولون أن يظهروا أمامك ويشدوا انتباهك لأنك خالي من المشاغل، تظهر وتقول لك: "نحن أعمال غير متممة، أتمنا" هؤلاء هم أشباح من ماضيك.

عش كل لحظة بتمامها بوعي كلي، عش كل لحظة بوعي بحيث ألا تحمل الماضي إلى الحاضر. وهذا عمل سهل جدا، فقط تحتاج إلى قليل من الوعي لتنجح به، ولا تحتاج لأمر آخر أبدا. لا تمضي حياتك وأنت نائم كالرجل الآلي، بل عش وأنت حي يقظ. وعندها سترى الحياة بشكل مختلف. عندها ستصبح ناعما كالطفل، طريا كالبراعم الجديدة.

هذه النوعية من الحياة يمكن أن تحملها معك إلى آخر لحظة من حياتك، ستبقى طرية مليئة بالحيوية. وإن بقيت طريا حيويا مليء بالشباب، فإن الموت لن يحدث لك لأنك تحمل الحياة فيك. الناس الذين عاشوا كالموتى هم من يموتون، والناس الذي اختبروا الحياة بوعي هم من يراقبون ويعاينون الموت كيف يحدث لهم.. يراقبون كيف للموت يأكل الجسد، كيف الموت يداعب العقل.. ولكن لن يقترب منهم الموت لأنهم هم من يشهدون على تلك الأمور، سيبقون خارج الموت، يخترقون الموت ويصلون.[56]

عندما يكون الجيش جامح مندفع، سيخسر الحرب.

يبدو "لاوتزو" غير منطقي، حيث يقول: أن الجيش القوي هو من يخسر الحرب، ونحن نؤمن أن القوي هو من يفوز!

عندما تكون الشجرة صلبة قاسية سوف تقطع. الكبير والصلب
ينتمي لأدنى قسم من الشجرة، بينما الرقيق اللطيف ينتمي لقمة الشجرة.

الجذور جامدة وقاسية، تنتمي للأرض، للأسفل، بينما الوردة لينة يافعة، تنتمي للقمة، للسماء. هذه التركيبة الصحيحة لمجتمع صحي؛ اذا كان الناس الأقوياء ينتمون للجذور، والناس الرقيقين ينتمون للقمة، الشعراء والرسامون، والحكماء يجب أن ينتموا للقمة، أي لأعلى المجتمع. بينما الجنود، السياسيون، رجال الأعمال يجب أن ينتموا لأسفل المجتمع، وليس للقمة. ولكن العالم أصبح في فوضى عارمة، لأن الناس القاسيين الصلبين يحاولوا دائما أن يكونوا في القمة.

وكأنهم يقلبون الوردة تاجها على جذورها وجذورها على تاجها! كانت الأمور متوازنة في الماضي، فمثلا كان في الهند البراهميين ينتمون لأعلى المجتمع. البراهمي هو حكيم، اسمهم يعني أنهم من عرفوا براهما.[57] هذا لم يكن تصنيف طبقي اجتماعي، وليس لها علاقة بالمولد والنسب. هؤلاء من عرفوا المطلق عبر تأملاتهم الباطنية هم البراهماتيين. هم من كانوا ينتمون لقمة المجتمع، كانوا كتيجان الأزهار.. حتى الملوك والأباطرة العظام كان عليهم أن يأتوا لهم وينحنوا على أقدامهم. كانوا الملوك يقفون دائما عند أبواب البراهميين. كانت هذه هي الطريقة الصحيحة للمجتمع. مهما طالت وقويت عظمة الملك، إنما يبقى مجرد ملك وانسان مصاب بمرض نفسي لاهثا خلف الدنيا وخلف الطموح الدنيوية والأنا، لذا عليه أن ينحني.

> حدث مرة أن بوذا كان قادما إلى بلدة ما، وملك تلك البلدة كان متردد قليلا للذهاب لاستقباله. كان رئيس وزراءه كبير في السن ولديه الحكمة، حيث قال للملك: عليك أن تذهب إلى بوذا وتستقبله. فأجابه الملك: يبدو أن هذا غير ضروري،

[56] دائما ما نردد بأن النوم موت أصغر والموت نوم أكبر.. وهناك من يحيا حياته وهو يراقب نفسه بوعي ويعش بوعي في كل لحظة يمكنه أن ينام "الموت الأصغر" ويدرك في الوقت ذاته بأنه نائم وبأنه يحلم الآن.. يدرك بأن جسده نائم ولكنه يقظ حي.. وهكذا يمكن للشخص الميت أن يراقب الموت وهو يقترب منه. ولهذا شدد بعض المشايخ على أهمية حال المرء في لحظة الموت لأنه سيبعث يوم القيامة على حاله وقت وفاته. لأن الوعي سيرافق الإنسان إلى الحياة الأخرى.

[57] براهما هو الخالق أو المطلق في الديانة البرهمية في الهند.

إن بـوذا مـا هـو إلا متسـول، دعـه يـأتي إلـيّ! مـا الهـدف مـن ذهـابي لـه إلى حدود مملكتي لاستقبله، أنا هو الملك وهو الشحاذ الفقير".

قـدم رئـيس الـوزراء اسـتقالته علـى الفـور، وقـال لـه: اقبـل اسـتقالتي لأنـك سـقطت إلـى هـذه الطبقـة الدنيّـة، لـن أسـتطيع أن أعمـل لأجلـك، يجـب أن تتـذكر أنـك ملـك، وبـوذا قـد هجـر المُلـك.[58] نعـم لا يملـك الآن شـيء، ولهـذا ينتمـي للقمـة، عليـك أن تنحنـي أمامـه، وإلا يجـب عليـك أن تقبـل اسـتقالتي، لا يمكننـي أن أبقـى فـي المكـان نفسـه الـذي تتـواجد فيـه أنـت، مـن المسـتحيل أن يحـدث هـذا. وبهذا كان على الملك أن يذهب لاستقبال بوذا.

عنـدما انحنـى الملـك، قـال لـه بـوذا: لا حاجـة لـذلك، لقـد سـمعت بأنـك كنـت متـردد فـي القـدوم لاسـتقبالي هنـا، لـيس هنـاك حاجـة لـذلك، لأن الفـرد الـذي يتـردد، حتـى لـو حقـق مـا كـان متـردد لأجلـه، كـأنـه لـم يـأت أبـدا، كمـا أن الاحتـرام لا يمكـن فرضـه. إمـا أن تفهـم أو لا تفهـم. لـم يكـن بحاجـة لانحنائـك واسـتقبالك، كنـت قادمـاً بنفسـي لرؤيتـك. أنـا متسـول.. وأنـت امبراطـور" وبهـذه اللحظـة، بـدأ الملك بالبكاء والنحيب، لأنه فهم الدرس من ذلك.

في الشـرق، كان البراهيمي في القمة. لأنها كانت هي التركيبة الصـحيحة للمجتمع الصحي. إنما الآن في كل العالم، السياسيون هم من وصلوا إلى القمة، وبهذا خلقت المآسي والفوضى. ومن الطبيعي أن تحدث المآسي والفوضى، لأن الطرف الأعلى صار ثقيل أثقل من القاعدة. الأزهار الرقيقة اللطيفة هي من يجب أن تكون في القمة.[59] الحكماء الباحثين عن الله، العابدين والشعراء والمستنيرون.

الكبير والصلب ينتمي لأدنى قسم من الشجرة، بينما الرقيق اللطيف ينتمي لقمة الشجرة.

يقول "لاوتزو" إن أردت أن تنتمي للصـفوة، للقمة، كن رقيقا ناعما وضـعيفا، كن ضعيفا جدا ورقيقا جدا.. ولا تكن قوي كجذور وجذوع الأشجار.

---

[58] ولد بوذا عام ٥٦٤ قبل الميلاد، في بلاط ملكي، وقد غادر أسرته وطبقته وزوجته مع ولدهما الأول وهام وجهه قاصداً الغابات في جبال الهملايا ليحيا هناك مع رهبان الهندوسية حياة قاسية لا تحفل بمطالب البدن، وكان يكتفي من الطعام ببعض حبيبات تحفظ له الحياة حتى نحل بدنه وساءت حالته البدنية، وكان مع هذا النظام المعيشي يعيش حياة تفكر وتأمل وبحث عن الحقيقة. تلك الحقيقة التي تسعف الانسان كي يتخلص من الآلام والمعاناة. (موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس)

[59] وبهذا يمكن الاشارة إلى الحركة الأدبية النسوية التي صارت تظهر وتنتشر هذه الأيام، والتي تشير دائما وتبحث عن دلالات في الآداب والأثريات عن فترة الحكم النسوي التي تنتمي إلى فترة ما قبل التاريخ المكتوب، حيث تقول الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع، ككتاب (الكأس المقدسة وحد السكين) لريان إيسلر: بأن النساء، الاتي لديهن لطافة وحس شاعري واحساس جمالي، هن من كن يدرن المجتمع في الماضي، قبل حوالي عشرة آلاف سنة، وبهذه التركيبة الاجتماعية، اوشو يشير إلى طاقة الأنثى التي يجب أن تكون قمة المجتمع، طاقة الأنثى هي الاستنارة، الفن، العبادة.. بينما القوة في الأسفل. حيث تقول الكتب أن تلك الفترة كانت المجتمع متساوي وكانت الحياة وثيرة، لا حروب فيها ولا صراعات، حيث كانت الأنثى هي في قمة المجمع، من حيث الطبقة الاجتماعية والثيولوجيا أيضا. كانت الآلهة نساء وليس رجال. ويشير البعض أن هذه الفترة كانت هي الفترة التي تسبق زمن النبي سليمان وملكة سبا، حيث أن فترة ملكة سبأ هي الفترة المتأخرة من العصر النسوي.

لدى "لاوتزو" اهتمام عميق في كل شيء ليس له فائدة. ويدعوا الا تكون منك فائدة أو جدوى، يحذر جدا من أن تكون للمرء فائدة ما، لأنه لو كنت مفيدا فإن أحد ما سيأتي ليستغلك ويستعملك ويبتزك. إن كنت قوي كفاية ذو فائدة ما، فإنك ستدخل إلى الجيش.

مرّ "لاوتزو" وأتباعه يوما على قرية، ورأى رجل أحدب، قال لأتباعه: "اذهبوا إلى الأحدب هذا واسألوه عن حاله، لأنني سمعت بأنه يواجه مشكلة ما، لأن ملك هذه القرية قد أجبر كل الشباب والرجال الأقوياء على الانضمام للجيش"

ذهبوا إلى الأحدب وسألوه. فأجابهم: أنا سعيد! سعيد بسبب مظهري، لأنهم لم يجبروني على الانضمام للجيش، فأنا عديم الفائدة. وهكذا أعيش بأمان هنا" فحدثهم "لاوتزو" بعد ذلك: الأن يجب أن تتذكروا بأن تكونوا غير ذي فائدة، وإلا ستصبحوا علف للماشية في الحرب".

وفي يوم آخر، كان "لاوتزو" وأتباعه عابرين خلال الغابة، ومروا تحت شجرة ضخمة. كانت ضخمة جدا، حيث أن ظلها يسع لعربة مكونة من ألف ثور، للاستراحة تحته. كانت الغابة مقطوعة أشجارها إلا هذه الشجرة الضخمة، فطلب "لاوتزو" من أتباعه ان يسألوا عما حدث، ولما لم تقطع هذه الشجرة العملاقة كباقي الأشجار؟

ذهبوا الأتباع وسألوا النجار، حيث أجابهم: هذه الشجرة عديمة الفائدة كليا، فالأغصان ليست مستقيمة، لا يمكنك أن تصنع أثاث منها. وعندما تحرقها، ينبعث منها الكثير من الدخان، بحيث لا يمكن استخدامها كوقود للتدفئة، وأوراقها مرة جدا بحيث حتى أن الحيوانات غير مستعدة لأكلها. لهذا فهي عديمة الفائدة، فلم نقطعها ولن نقطعها"

بدأ "لاوتزو" بالضحك، وقال لأتباعه كونوا كتلك الشجرة، عديمي الفائدة، عندها لن يأتي أحد ليقطعكم، انظروا إلى هذه الشجرة كيف صارت عملاقة ومفيدة في ظلها، لم تصبح هكذا إلا لأنها ليست مفيدة في شيء آخر.

يمكن أن ننظر للحياة بطريقتين. يمكن النظر إليها كهدف منفعي؛ شيء يستخدم شيء آخر، وهنا تصبح الحياة عبارة عن وسيلة يستخدم كل منهما الأخرى، من أجل غاية ما. أو أن ننظر للحياة وكأنها احتفال مليء بالمتعة، وليس كأداة. وهنا تصبح كل لحظة مهمة بحد ذاتها بدون أي غاية أو هدف ما في المستقبل.

كنت أقرأ قصيدة في الأمس، وقد صعقت حتى النخاع من بيت منها، حيث يقول: "القصيدة يجب ألا تُعنى، بل أن تكون"[60] لقد أحببت هذا البيت. لا يجب أن يكون للحياة معنى، بل يجب أن تحيى الحياة. فلا غاية ولا هدف منها..

[60] تعود القصيدة إلى الشاعر Archibald MacLeish 1892–1982، يقصد الشاعر فيها بأن جمال القصيدة الحقيقي، ومعانيها الحقيقية لا تكمن في رسم ونظم الكلمات ومعاني الالفاظ والبلاغة، بل تكمن في احساس الشاعر أو القارء من تلك القصيدة حتى لو لم يفهم القصيدة. من قصيدة "Ars Poetica".

الهدف الوحيد هو أن تستمتع بهذه اللحظة هنا، الآن.. أن تحتفل هنا، الآن. عندها يمكنك أن تصبح لينا طريا مفعم بالحياة والحيوية. عندما تحاول أن تبحث عن فائدة أو غاية أو هدف ما، تصبح صلبا قاسيا. إذا حاولت تحقيق شيء ما، ستقاتل، ستصبح قاسي.. استسلم.. كن لينا وطريا. اسمح للحياة أن تتدفق فيك.. اسمح لها أن تأخذك إلى حيث تريد.. اسمح أن يكون هدفك هو هدف الله. أن يكون هدفك هو هدف الوجود. لا تبحث عن أي هدف خاص بك.. كن جزء من الكل.. ستحصل على جمال وسمو منقطع النظير.

حاول أن تشعر به، وأن تسمع ما يقوله.. لا يتعلق الأمر فيما لو فهمته أو لم تفهمه، لا يتعلق الأمر بذكائك أو بقدرتك العقلية أو اللغوية.. اشعر به، اسمع ما يقوله، واجعله دائما معك. اسمح لهذه العبارة أن تدخل في أعماقك وتستقر فيها: الحياة لا تكمن بمعانيها وشرحها، بل الحياة في أن تحياها وتتذوقها. فجأة ستصبح ناعما معها، وتذهب كل الصلابة بعيدا عنك. يمكن لك أن تعيد اكتشاف الطفل الذي يكمن في داخلك، وستغدو طفلا مرة أخرى. يمكنك أن تنظر إلى السماء، وستبدو أكثر زرقتا فيما مضى، والأشجار تبدوا أكثر حيوية واخضرار مما مضى. جميع التغريدات والأغاني ستبدو مختلفة وجميلة أكثر مما مضى، ستصبح لها دلالات وإشارات، ولها علاقة بالحب والنعيم.

استمتع بالحياة، وستكون طريا، انهمر مع النهر.. فتكون أنت النهر نفسه.

كن محبا لذاتك

لا يمكن لأحد بألا يحب ذاته، سوى المنافقين.

كلمة "محباً لذاتك" أو "أنانياً"، هي كلمة أُخذت على محمل سيء، لأن جميع الأديان أدانت هذه الكلمة، تريدك ألا تكون أنانيا!، لكن لماذا؟ لكي نستمر في مساعدة الآخرين.

> حدث مرة أن سمع طفل صغير وصية والدته حيث قالت له: تذكر دائما أن تساعد الآخرين. فسألها: ما الذي سيفعله الآخرون حينها؟ فأجابت الأم قائلة: هم بدورهم سيساعدون الآخرين أيضا. فتعجب الطفل: هذه خطة غريبة بالنسبة لي، لما لا نساعد أنفسنا بأنفسنا، بدل التنقل وجعل الأمور معقدة بغير ضرورة؟

إن الأنانية وحب الذات أمر طبيعي. نعم، تأتي لحظة ما، يشارك فيها المرء أنانيته مع الآخرين، فعندما يكون في حالة من الحب المنهمر والمتعة المطلقة، عندها يمكنه أن يشارك الآخرين. إنما الآن، فالناس المكتئبين يساعدون أناس مكتئبين آخرين. فيقود الأعمى أخيه الأعمى! فما المساعدة التي يمكن أن يقدمها أعمى لأعمى؟ إنها فكرة خطرة جدا، وهي التي سادت خلال قرون.

ذات يوم، حدث أن قالت مدرسة للتلاميذ: على المرء أن يفعل شيء جيّد على الأقل، مرة في الأسبوع" فسأل التلميذ الصغير: أرجوك أن تعطينا مثال للأفعال الجيدة هذه، نحن لا نعرف ما هو العمل الطيب؟ فأجابته: مثلاً، إن كانت امرأة ضريرة تحاول عبور الطريق، تساعدها في ذلك.. هذا عمل جيد وفضيلة كبيرة.

بعد أسبوع، سألت المعلمة: هل منكم أحد تذكر ما يجب فعله طوال الأسبوع الماضي؟ رفع ثلاثة أولاد أيديهم. فعلقت المدرسة: ليس أمر جيد، أن يفعل ثلاثة اولاد فعل طيب بينما باقي الفصل لم يقم بذلك! ولكن على الأقل بقي ثلاثة اولاد طيبين. فسألت الأول: قل لي ما هو العمل الخيري الذي قمت به؟ أجاب: لقد نفذت ما قلته لنا بالضبط، ساعدت عجوز ضريرة على عبور الشارع.

أجابت المعلمة: جيد جدا، بارك الله فيك، فسألت الثاني: ماذا فعلت بدورك؟ أجابها: لقد قمت بالأمر نفسه، ساعدت عجوز ضريرة لعبور الشارع. احتارت المدرسة قليلا: أين وجدوا هؤلاء الضرائر؟ ولكن تبقى مدينتهم كبيرة وفيها ما فيها من البشر العدد الكبير. فسألت الثالث: ما الذي فعلته أنت؟ فأجاب: لقد ساعدت امرأة عجوز على عبور الشارع.

حينها سألتهم المدرسة: أين وجدتم هاتن العجائز ضرائر؟ فأجابوها: لم يكن هناك ثلاث نساء، كان هناك عجز واحدة ضريرة فقط، وكان من الصعب مساعدتها لعبور الشارع، كانت تضربنا وتصرخ عليها، وتصيح لأنها لا تريد العبور، ولكننا أصررنا على فعل الفضيلة. حتى أن جميع الناس احتشدوا حوالينا، وشتمونا أيضا، ولكننا قلنا في أنفسنا: لا داعي للقلق، سنأخذها إلى الطرف الآخر من الشارع.

قيل للناس، أن مساعدة الآخرين فضيلة. بينما هؤلاء فارغين من الداخل! قيل لهم أحبوا الآخرين، أحبوا جيرانكم، أحبوا أعدائكم.. ولكن لم يقال لهم أن يحبوا أنفسهم. جميع الديانات، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يقولون للناس أن يهجروا أنفسهم إلى درجة الكراهية لها. وهنا فإن الشخص الذي يكره نفسه لا يستطيع أن يحب أي أحد آخر، بل يتظاهر في ذلك.

أن يحب المرء نفسه بشكل كلي، هو أمر أساسي هنا، يحب نفسه حتى يطفح الحب من الداخل إلى الخارج ويصل إلى الطرف الآخر. أنا لست ضد المشاركة والايثار والتضحية وحب الغير بشكل تام، بل أنا مع المشاركة. ولكن عندما تحب نفسك حتى تطفح من الحب فتشارك غيرك، مشاركتك لن تكون نتاج الاجبار والإلزام. بل ستكون بدافع من الحب. وأي شيء سيصل منك للآخرين بعد أن تحب نفسك سيكون حقيقي صادق من القلب ويصل إلى القلب. والشخص الذي يتلقى هذا منك يجب أن تشكره وتكون ممتنا له، لأنه تقبل هذا منك، بحيث كان يمكن أن يرفضك.

كل اصراري هو أن على المرء أن يكون سعيدا جدا في هذا، أن يكون سعيدا جدا، وصامتا جدا وممتنا جدا وراضيا جدا.. وبهذه الحالة من التمام والرضا يشارك الآخرين فيها. هنا يكون لديه الكثير ليقدمه، كالغيمة الماطرة التي تغسل وتطهر وتروي عطش الآخرين.. لم يطلب أحد من الغيمة ذلك بل هي تفعل هذا بطبيعة منها لأنها تريد الاحتفال مع الآخرين.. تريد أن تعطي وتقدم الكثير لهم.. لأنها تعرف أن للعطاء متعة أكبر من متعة الأخذ.

ولهذا على المبادئ أن تتغير، ليس من الجيد أن نطلب من الناس الا يحبوا أنفسهم وأن يحبوا الغير دائما، يشعروا بالبؤس، فما الذي يمكنهم أن يقدموا في هذه الحالة؟ في الأساس، لقد ضيعوا على أنفسهم فرصة عظيمة في محبة النفس، فما الذي يمكن فعله من أجل الآخرين؟ هم يستطيعون أن يقدموا ما يملكونه فقط. ولهذا يساعد المرء الآخرين بالبؤس الذي لديه، بالمعاناة التي يحملها، بالقلق الذي يعيشه. هذه هي الفضيلة هذه الأيام. أنا أود أن يكون المرء أنانيا بشكل كامل.

كل شجرة أنانية، تجلب الماء إلى جذورها، تجلب الأغذية لأغصانها فقط، لأوراقها هي فقط، لثمارها هي فقط، لأزهارها هي فقط.. وعندما تزهر وتتفتح، تنشر العطر الفواح للجميع. لمن تعرفه ومن لا تعرفه، للغريب والقريب. وعندما تحمل الثمار، فإن قطفت ثمارها ستعطرك تلك الثمار. ولكن إن قلبنا الأمر وكانت الشجرة تحب الإيثار دائما، فإن جميع تلك الأشجار ستموت حتما. كما هو الحال هذا اليوم مع الإنسانية الميتة جميعها. عبارة عن جثث تتحرك، لن يذهبوا إلى أي مكان سوى قبورهم التي تنتظرهم. حيث يرتاحون من طريق التخبط والضياع.

يجب أن تكون الحياة رقصة. يجب أن تكون موسيقى.. عندما تكون حياتك رقصة وموسيقى، يمكنك حينها أن تشاركها مع الغير، عليك أن تشارك.. ليس بالضرورة أن أتحدث عن المشاركة، لأن هذا مبدأ كوني، أحد القوانين الكونية.. كلما شاركت بألطافك وفرحك، كلما زاد لطفك وفرحك أكثر.

المحتويــــــات

المقدمة..٤

ألف باء تاء.. الحميمية
إبدا من حيث انت..١١
كن حقيقي..١٧
استمع لنفسك..٢٣
ثق بنفسك..٢٤

الحميمية مع الآخرين هي الخطوة الثانية
كن مرئياً للآخرين...٣٢
الحاجة إلى الخصوصية...٣٣
الوصال، يختلف عن العلاقة..٣٩
تقبل مخاطرة ان تكون حقيقي..٤١
تعلم لغة الصمت..٤٤

المزالق الأربعة
عادة رد الفعل..٤٦
عالق بالأمان...٤٩
ملاكمة الظِل..٥٦
القيم الزائفة...٦٨

أدوات للتحول
اقبل نفسك...٧٣
لا تضع لنفسك الحمايات والأسوار...................................٧٦
كن محبا لذاتك..٩٢
تقنية تأمل

اجابات على طريق الحميمية،
على التساؤلات هذه:
لماذا أجد أن الشخصيات الجذابة مخيفة؟
لماذا أشعر بالخجل والانعزال؟
كيف أكون أنا، أنا؟
ماهو الأخذ؟ وماهو العطاء؟
ماهي الاجابة الحقيقية لنعيش بحميمية؟[٦١]

[٦١] المحتويات المكتوبة باللون الأزرق، لم تتم ترجمتها إلى العربية.